



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الصناعة في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي

132- 656هـ / 750 - 1258م

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب

فداء عارف فرحات

إشراف الدكتورة

نهى فضل الله حميد

1443هـ / 2022م

شكر وامتنان

الشكر الجزيل والامتنان الكبير للأستاذة المشرفة على هذه الرسالة:

الدكتورة

نهى فضل الله حميد

التي تكرمت بالإشراف على هذه الرسالة، ولم تدخر جهداً ولا وقتاً في مساعدتي لإنجاز هذا العمل المتواضع، وقد كانت نعم الموجه والناقد وخير عون لي بالملاحظات الكثيرة والسديدة التي أبدتها في موضوع بحثي، وكل كلمات الشكر لا تفي برد الجميل لها.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

شكر وامتنان	أ
الفهرس	ب
ملخص الموضوع	ط
المقدمة	ك
الإشكالية البحثية وتساؤلاتها	م
هدف مشروع البحث وأسباب اختياره	ن
الدراسات السابقة	س
مناهج البحث وأدواته	ف

الفصل الأول

أولاً: لمحة عن جغرافية الجزيرة الفراتية وتضاريسها ومدنها:	3
1 - التسمية والموقع والحدود	3
2- تضاريس الجزيرة الفراتية:	5
أ - الجبال	6

- ب - السهول 8
- ج - المروج 9
- 3 - الموارد المائية..... 10
- الأنهار والأودية والعيون وقنوات المياه 10
- 4- المناخ في الجزيرة الفراتية 16
- 5 - أهم المدن في الجزيرة 17
- ثانياً: الأوضاع السياسية والإدارية في الجزيرة الفراتية زمن البحث..... 23**
- 1- العصر العباسي الأول 132 - 232 هـ / 750 - 847 م 24
- 2- الدولة الحمدانية 293 - 394 هـ / 905 - 1003 م 26
- 3 - الإمارة المروانية 372 - 478 هـ / 982 - 1085 م 28
- 4 - الدولة المرداسية 414 - 472 هـ / 1023 - 1079 م..... 28
- 5 - الدولة العقيلية في الموصل 386 - 489 هـ / 996 - 1095 م..... 29
- 6 - الأراتقة في الجزيرة الفراتية 465 - 812 هـ / 1072 - 1409 م..... 31
- 7 - الدولة الزنكية 521 - 577 هـ / 1127 - 1181 م..... 33
- 8 - الدولة الأيوبية 578 - 656 هـ / 1182 - 1258 م 36
- 9 - سقوط بغداد واستيلاء المغول على الجزيرة 656 هـ / 1258 م 38

الفصل الثاني :

الحياة الاقتصادية في الجزيرة الفراتية

لمحة عامة عن الاقتصاد 43

أولاً: الزراعة في الجزيرة الفراتية:

1- لمحة عامة عن الزراعة في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي..... 44

3- ملكية الأراضي 46

4- المرافق الزراعية..... 49

5- المحاصيل الزراعية..... 50

أ - المحاصيل الصناعية..... 51

ب - المحاصيل الأخرى..... 52

ثانياً: الثروة الحيوانية 59

ثالثاً: التجارة في الجزيرة الفراتية: 60

1 - أهم ما ذكره الرحالة والجغرافيون عن أوضاع التجارة فيها..... 61

2 - أبرز المراكز التجارية في الجزيرة الفراتية 62

3 - الأسواق في الجزيرة الفراتية 64

4- الصادرات والواردات 68

5- الأوزان والمكاييل..... 69

6- النقود 69

الفصل الثالث :

الصناعات الغذائية والنسيجية في الجزيرة الفراتية

أولاً: لمحة عن الصناعة في الجزيرة الفراتية في العصر الأموي..... 75

ثانياً: أوضاع الصناعة في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي..... 75

ثانياً: تنظيمات الصانع والحرفيين في الجزيرة الفراتية..... 78

الصناعات الغذائية:..... 80

1- صناعات على أساس مواد زراعية: 80

أ- صناعة الدقيق والخبز..... 80

ب- الزيوت 84

ج- صناعة السكر 85

د- صناعة الفواكه المجففة..... 85

2 - صناعات على أساس مواد حيوانية: 86

أ - صناعة العسل 86

ب - صناعة الجبن والسمن والزبدة والألبان 87

ج- صناعة اللحم المقدد 89

خامساً: صناعة النسيج والملابس: 89

1 - الصناعات النسيجية التي تعتمد على المنتجات النباتية: 90

أ- المنسوجات القطنية..... 90

ب- المنسوجات الحريرية..... 94

ج - المنسوجات الكتانية 97

2- الصناعات النسيجية التي تعتمد على المنتجات الحيوانية: 99

أ- المنسوجات الصوفية 99

ب- منسوجات الوبر والشعر 100

ج- صناعة المفروشات..... 101

د - صناعة السروج والأحزمة 102

3 - صناعة الملابس: 103

سادساً: الصباغة 111

الفصل الرابع :

الصناعات الاستخراجية والمعدنية والخشبية وصناعات أخرى

أولاً: الصناعات الاستخراجية:	115
1- القار والنفط والكبريت.....	115
2- الملح والكلس.....	118
3- معادن استخراجية مختلفة.....	119
ثانياً: الصناعات المعدنية والخشبية:	121
1 - الصناعات المعدنية:	121
أ - صناعة الصياغة والحلي.....	121
ب - الصناعات الحديدية.....	123
ج - الصناعات النحاسية.....	124
د - صناعة التحف المعدنية.....	125
2 - الصناعات الخشبية.....	135
ثالثاً: صناعات مختلفة:	138
1 - صناعة الزجاج.....	138

142	2 - صناعة الفخار.....
144	3- الخزف.....
149	4 - صناعة الخمور.....
151	5 - صناعة الأدوية.....“.....
155	6 - صناعة الأسمدة الزراعية.....
156	7 - صناعة الورق والأقلام ونسخ الكتب.....
160	8 - الصناعات الجلدية.....
161	9 - صناعة مواد البناء.....
169	10 - صناعة العطور.....
171	11 - صناعة الأسلحة.....
176	12 - صناعة الآلات الموسيقية.....
180	الخاتمة
185	الملاحق
230	المصادر والمراجع
257	الملخص باللغة الإنكليزية (Abstract)

ملخص الموضوع

بسم الله الرحمن الرحيم

تعد الجزيرة الفراتية من أهم المراكز الحضارية في حقبة العصر العباسي 132 - 656 هـ / 750 - 1258م؛ وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي المميز على طرق التجارة العالمية وبين نهري دجلة والفرات اللذان يعدان من أهم الموارد المائية في البلاد العربية الإسلامية وأيضاً بسبب مناخها المعتدل وترتبتها الخصبة وتضاريسها المتنوعة، وهذه المقومات أسهمت في قيام العديد من الدول واستقرارها على أرض الجزيرة وتطوير حضارات متميزة خلدها التاريخ، كانت الصناعة فيها من أهم مظاهر الحضارة؛ إذ كانت متنوعة ومتقدمة إلى حد كبير جداً، فقد شملت معظم صناعات العصر الوسيط وبعض هذه الصناعات كان للجزيرة الفراتية الفضل في انتشارها في مختلف أقاليم الخلافة وفي العالم وقد أسهمت في تقدم الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها إذ تعددت الأسواق وتنوعت وكثرت المراكز الحضارية على أرضها وازدهرت التجارة فيها وكان لها السبق العلمي في العديد من المجالات الحضارية، ونظراً إلى هذه الأهمية فقد اختيرت الصناعة موضوعاً للبحث والدراسة في الحقبة المشار إليها.

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

ت.	توفي
مج.	مجلد
ج	جزء
ط	الطبعة
د.ت	دون تاريخ
د.م	دون مكان
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
تر	ترجمة
مرا	مراجعة
P	page

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ورثت الخلافة العباسية بعد الأمويين دولة مترامية الأطراف وغنية بالمقومات الاقتصادية كافة وهذا أدى إلى الرخاء الاقتصادي إذ تعاظمت واردات الدولة، وازدهر الإنتاج الزراعي، وتطور النشاط الصناعي ومحصلة لذلك ازداد حجم التبادل التجاري، وأصبحت الرائدة في التصدير والاستيراد وفرضت السيطرة على التبادل التجاري العالمي، واهتم الخلفاء العباسيون اهتماماً كبيراً بالصناعة وازدهرت بدرجة متميزة في تلك الحقبة وكان لها أثر مهم في الحياة السياسية والإدارية، ومن هنا اختير هذا البحث لتتبع أوضاع الصناعة في الجزيرة الفراتية في حقبة العصر العباسي 132 - 656 هـ / 750 - 1258م نظراً إلى أهمية الصناعة فيها فهي تتمتع بموقع استراتيجي مهم على طرق المواصلات العالمية ومنها طريق الحرير إذ تطورت كثيراً في مجال الصناعة وأصبحت مركزاً حيوياً يزود العراق وبلاد الشام وبلاد فارس بسلع وبضائع مهمة ومثلت جسراً يصل آسيا بأوروبا بفضل موقعها المتوسط بين الشرق والغرب من جهة، ولغناها بالمواد الأولية المختلفة وتوفر المهارات الفنية والصناعية فيها من جهة أخرى.

اشتهرت الجزيرة بالصناعات الغذائية والنسيجية وذلك لتوفر المواد الأولية لقيامها بنوعيتها الزراعي والحيواني وأيضاً لتأمين حاجيات السكان من الغذاء ونظراً إلى انتشار البساتين في مناطق الجزيرة كافة وتربية الحيوان في هذه البساتين فقد عمت الصناعات الغذائية بلدانها جميعها، ونتيجة لذلك انتشرت أيضاً الصناعات النسيجية في عدة مدن في الجزيرة الفراتية وقد وجد بعضها منذ العصور القديمة وهي تتمثل بالمنسوجات الصوفية ومنسوجات الوبر والشعر واشتهرت الجزيرة الفراتية في صناعة الملابس القطنية بأنواعها جميعها وقد شملت حاجات فئات الناس كافة من العامة والخاصة وزينت بأجمل النقوش والتطريزات.

ونتيجة لتنوع أرض الجزيرة واحتوائها على المظاهر التضاريسية المختلفة كافة وامتدادها على مناطق واسعة، واحتوائها على الكثير من عيون الماء التي تتبع من باطن الأرض وتحمل معها المعادن العديدة فضلاً

عن غناها بالثروات الباطنية المتنوعة قامت على أرضها العديد من الصناعات المعدنية، وتوفرت الأخشاب بكثرة، إذ دخل الخشب كمادة خام في كثير من الصناعات، إن كان في مواد البناء أو في الحفر عليه كأحد فنون الزخرفة الفنية، وقد طوع الصناع في الجزيرة وبخاصة الموصل المعادن المختلفة وقاموا بتصنيعها وزخرفتها بالكتابات والنقوش المختلفة واحتلت الجزيرة الفراتية وخصوصاً الموصل المركز الأول في العالم الإسلامي في تصنيع المعادن وقد انتشرت أيضاً صناعة الأسلحة في الجزيرة الفراتية بسبب موقعها الاستراتيجي كمناطق تحصينات للثغور وكثرة الحروب والنزاعات عليها وخاصة من جهة بلاد الروم، وبرزت فيها صناعة العطور واشتهرت بالعديد من الصناعات المميزة ومنها صناعة الفخار والزجاج والخزف والآلات الموسيقية والأدوية وغيرها ومجال البحث هو دراسة هذه الصناعات والتعريف بها وبأماكن انتشارها وكيفية صناعتها وجودتها وإلى أي مدى وصل تطورها وتأثيرها في المستوى المعيشي ودورها في التجارة.

وقد واجه البحث عدة صعوبات أبرزها عدم وجود مصادر أو دراسات مُختصة حول الصناعة وتطورها فيما يخص موضوع البحث، وذكر بعض الصناعات في المصادر مع عدم وجود شرح مفصل عن كيفية صناعتها وعن استخداماتها، وصعوبة إيجاد معلومات في المصادر تتعلق بصناعات مهمة من أبرزها صناعة الفخار والخزف وقد اقتصر التوسع في هذا المجال على المكتشفات الأثرية الكبيرة في الجزيرة وتوفر المادة العلمية على شكل ومضات متفرقة في المصادر المتنوعة ومما تطلبت جهداً كبيراً للوصول إليها.

وفي الختام جزيل الشكر والتقدير والامتنان للأستاذة الفاضلة **الدكتورة نهى فضل الله حميد** التي تكرمت بالإشراف على هذه الرسالة، ولم يكن ليكتب لهذا البحث أن ينجز لولا جهدها الكبير وكانت معلمة وأماً حنوناً تقدم أقصى طاقاتها، جعلت من العراقيل جميعها يسيرة، وكل الشكر والاحترام للأستاذة الفاضلين أعضاء لجنة الحكم لتحملهم قراءة الرسالة وما سيقدمونه لي من تصويبات وملاحظات تفيد البحث، وكل الشكر لأستاذة قسم التاريخ في جامعة دمشق جميعاً لتقديمهم المساعدات وتسهيل عمل الباحثين وإرشادهم.

1 - الإشكالية البحثية وتسؤلاتها:

تدور إشكالية الدراسة حول تسليط الضوء على أوضاع الصناعة في الجزيرة الفراتية إذ أنها لم تحظَ بدراسة خاصة في الحقبة المعنية، والدور الذي شغلته الجزيرة في دعم الاقتصاد في العصر العباسي وتتبع أنواع الصناعات ومقوماتها وأماكن توفرها ورصد العوامل التي ساعدت على نموها وتطورها ونجاحها أو تعثرها في مناطق الجزيرة، فضلاً عن تبيان أثر الصناعة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في زمن البحث، ونظراً لأهمية الصناعة في الجزيرة الفراتية التي تقع بين نهري دجلة والفرات شمالي بلاد الشام والعراق وتتميز بكونها تحتل مركزاً متميزاً على طرق التجارة العالمية آنذاك (طريق الحرير) إذ كانت جسراً يصل آسيا بأوروبا وكانت ترد إليها كافة البضائع والمواد الأولية المختلفة من الشرق والغرب مما مكن من تصريف المصنوعات وبالتالي التشجيع على الصناعة ودفع الصانع على تطوير مهاراتهم وتتميتها.

وتحاول الدراسة الإجابة عن التسؤلات الآتية:

- 1 - ما هي أبرز الصناعات التي انتشرت في الجزيرة وإلى أي مدى وصل تطورها؟
- 2 - هل كان لموقع الجزيرة المتميز وخاصة تحكمها بطرق التجارة ومجاورتها لحضارات متميزة مؤثراً في أوضاعها الاقتصادية والسياسية؟
- 3 - أكان للأوضاع السياسية والحروب الكثيرة التي قامت على أرض الجزيرة دوراً في تأخر الصناعة في بعض الأوقات؟
- 4- هل كان تعاقب الدول الكثيرة على أرض الجزيرة عاملاً في تنوع صناعاتها وتجارتها؟
- 5 - هل قدمت الجزيرة إضافات لبعض الصناعات وخلقت صناعات جديدة؟
- 6- هل ساهمت الجزيرة في الإرث الحضاري والتطور والازدهار في العصر العباسي؟

2 - هدف مشروع البحث :

- أ - إظهار التطورات السياسية والإدارية في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي .
- ب- تبين الوضع الاقتصادي في الجزيرة الفراتية والتطور الكبير للصناعة التي ازدهرت نتيجة توفر مستلزماتها من المواد الأولية واليد العاملة والمهارات الفنية والصناعية والأسواق لتصريف المنتجات.
- ج - تسليط الضوء على أوضاع الصناعات وأماكن انتشارها وأقسامها ومميزاتها.

3 - أسباب اختيار الموضوع :

أهمية الدراسة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وأهمية الصناعات التي كانت موجودة وتأثيرها في الحياة الاقتصادية وكونها تتمتع بشهرة عالمية ومثلت جزءاً من البضائع التجارية المهمة آنذاك عدا عن تميزها من حيث الدقة وحسن الصنعة وشهرتها في ذلك العصر وما تركته من أثر على الحياة الفكرية والفنية والاجتماعية، والرغبة في البحث في هذا النوع من الدراسات للاستزادة والمعرفة في المجال الحضاري من التاريخ والطموح لإنجاز بحثاً مفيداً لمن يطلع عليه يرفد المكتبة العربية المعاصرة.

4- حدود البحث:

تبدأ المرحلة التي يتناولها البحث مع استلام العباسيين الحكم في عام 132هـ /750م، مع ذكر الصناعات والأوضاع الاقتصادية والسياسية في جميع الدول التي تعاقبت على حكم الجزيرة الفراتية التي تشمل المناطق الواقعة بين جبال أرمينيا وبلاد الروم شمالاً وعانة وتكريت جنوباً وهي تقع شمال شرقي بلاد الشام وشمال غربي العراق وجنوب شرق بلاد الروم وتنتهي المرحلة التي يعالجها البحث مع سقوط الخلافة العباسية على يد المغول في عام 656هـ/1258م.

5- الدراسات السابقة:

أ - الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان.(2007م): الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، تقديم مصطفى عبدالقادر النجار، الدار العربية للموسوعات، بيروت،

تطرق هذا البحث إلى التعريف بالأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزيرة فضلاً عن دراسة النشاط الاقتصادي في إقليم الجزيرة الفراتية وتناول النشاط الزراعي وما يرتبط بالبيئة الزراعية من حرف وأعمال، وتناولت الدراسة أهم الصناعات والفنون التي اشتهر بها إقليم الجزيرة في حقبة الدراسة.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الجزيرة كانت تحتوي على أعداد هائلة من الحرفيين المهرة في شتى المجالات المهنية وكان لأبنائها دورٌ كبيرٌ في تقدم صناعة التحف المعدنية الرائعة وفي صناعة النسيج الذي انتشر صيته في عالم العصور الوسطى، وامتلكت الجزيرة مركزاً تجارياً مرموقاً بين الشرق والغرب ووفرة في الثروات الطبيعية.

ب - حمودي، شيرين.(2008م): الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون 132-218هـ / 750-833م (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: اكتمال إسماعيل، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق.

ويتناول هذا البحث دراسة موقع الجزيرة الفراتية وحدودها وتضاريسها، وتطرق إلى أوضاعها الاقتصادية حيث قدم لمحة عن الزراعة والتجارة والصناعة في الموصل وسكان الجزيرة والنظام المالي فيها وأهم مدنها والأوضاع السياسية في الجزيرة في المرحلة المدروسة.

وتوصلت الدراسة إلى أن الجزيرة الفراتية كانت إقليماً مستقلاً بذاته اقتصادياً واجتماعياً وإدارياً وعسكرياً وأن العباسيين عملوا على الاهتمام بها حيث شكلت بوابة اتصال بين الدولة العباسية والدول الأخرى كأرمينيا

وأذربيجان ونتج عنها اتصال حضاري وثقافي وتبادل خبرات وقد حاول الخلفاء العباسيون العمل على دمج القوميات والأديان في نسيج المجتمع العربي كانت في العصر العباسي من أمارات المدن في العالم الإسلامي وتقدمت فيها المعارف والعلوم وازدهرت فيها الصناعة والتجارة والزراعة وتوسعت فيها العمارة، حتى صارت إحدى بلاد الدنيا العظام، ولم تزل في الموصل آثار شاخصة حتى العصر الحاضر، وفي متاحف العالم تحف فريدة تشهد على ما بلغت الصناعة فيها من دقة وإبداع وإتقان .

وهناك أيضاً بعض الدراسات الأخرى وأبرزها:

- الجميلي، رشيد.(1970م): دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي 521هـ-631هـ، دار النهضة العربية، بيروت.
- سيلو، أحمد.(1986م): الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في الجزيرة الفراتية 132-232هـ/750-850م، إشراف: أمينة بيطار، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق.
- حميد، نهى.(1991م): مدن شمال سورية (الجزيرة) في القرون 13-14 م، إشراف: أ.غ. بولشاكوف، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، أكاديمية العلوم السوفيتية، سانت بيوتر بورغ.
- السباعوي، حنان علي عبد الخالق،(2003م): مدينة نصيبين في العصر العباسي دراسة سياسية وحضارية، إشراف: عبد الجبار حامد أحمد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الموصل.
- سرماني، حنيفة عمر فاروق،(2006م): إقليم الجزيرة منذ الفتح حتى نهاية العصر السفلياني، إشراف: سهيل زكار، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق.
- القحطاني، عبدالله بن علي،(2012م): الحياة العلمية في الرقة خلال العصر العباسي، إشراف: عبدالعزيز بن عبدالله السلومي، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

- الاطلاع على أوضاع الجزيرة الفراتية الاقتصادية والاجتماعية في المراحل المدروسة.
- التعرف على أماكن انتشار بعض الصناعات وأنواعها وأبرز استخداماتها .
- تحديد الباحث لأهمية الدراسة وأهدافها ومن ثم محاولة الوصول إليها وتأكيد هذه الأهمية.
- الاطلاع على الواقع الصحي والعمران والأماكن الدينية في الجزيرة في القرنين السادس والسابع هجري/ القرن الثاني عشر والثالث عشر ميلادي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تبين للباحث أن الدراسة تتشابه مع الدراسات السابقة في أنها تتناول الطبيعة الجغرافية والزراعة وتؤكد على أهميتها لما لها من دور في تأمين المواد الأولية للصناعة وفي تحسين المستوى المعيشي لأهالي الجزيرة، وتؤكد أهمية وجودة بعض الصناعات في الجزيرة ومن أبرزها صناعة التحف المعدنية والنسيج التي كانت تحتل بها المراكز الأولى على مستوى البلاد العربية الإسلامية.

فيما تختلف الدراسة التي أعدها الباحث عن الدراسات السابقة في تسليط الضوء على أنواع الصناعات في الجزيرة الفراتية كافة مع التوسع في بعض الصناعات التي درست سابقاً ومع تتبع المكتشفات الأثرية الحديثة ودراساتها من خلال كتب الحوليات الأثرية، وذكر استخدامات هذه الصناعات وأنواعها وتأكيد أهميتها وأن لبلاد الجزيرة الفضل في تطوير الكثير منها وتعليم بعضها لبلدان العالم العربي الإسلامي جميعاً، وأن للجزيرة الفضل في ازدهار الحضارة العربية والسبق العلمي في العديد من المجالات الحضارية.

4 - مناهج البحث وأدواته:

تم الاعتماد في جمع المادة العلمية على المنهج الوصفي التحليلي النقدي مع مقارنة للمعلومات المتوفرة

في المصادر والمراجع ونقدها وتحليلها، وكذلك تم الرجوع إلى أبحاث المجالات والحواليات الأثرية المتوفرة حول الجزيرة الفراتية التي دونت أهم أعمال التنقيبات حيث تم استنتاج أوضاع الصناعة وأنواعها في هذه الحقبة من الزمن وأهم المكتشفات والدلائل على انتشار هذه الصناعات في الجزيرة ومدى تطورها، ومحاولة الوصول إلى معلومات جديدة عنها، مع تقسيم هذه الصناعات إلى أنواعها المختلفة استناداً إلى نوع المادة الخام التي تقوم عليها وأماكن انتشار هذه الصناعات والتطورات التي حصلت عليها.

- أدوات البحث:

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، وكان لبعضها أهمية كبيرة في إغناء البحث بالمعلومات القيمة، وسيلقى الضوء على أهمها تباعاً بدءاً بالمصادر، وفق مواضيعها ومن الأقدم إلى الأحدث:

1 - كتب الجغرافيين:

أ - ابن خردادبة ت. 280 هـ/ 893م:

وهو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الخراساني ولد سنة 205 هـ/ 820م في خراسان وينتسب إلى أسرة فارسية اعتنقت الإسلام وحصل على تعليم جيد إذ تعلم الموسيقى والأدب على يد إسحاق الموصلي الموسيقي الشهير وشغل منصب مدير البريد بنواحي الجبال في فارس ثم في بغداد وسامراء وقد كان مقرباً من الخليفة المعتمد 256-279 هـ/ 870-892م وقد ساعدته مكانته في الحصول على الوثائق التي استمد منها معلوماته⁽¹⁾.

(1) كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش. (1957م): تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، جزأين، لينينغراد، ق1، ص156، 157؛ سركييس، يوسف بن إليان بن موسى. (1928م): معجم المطبوعات العربية والمعرية، جزأين، مطبعة سركييس، القاهرة، ج1، ص92؛ حميدة، عبدالرحمن. (1995م): أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط1، دمشق، ص 106.

ويعد كتابه **المسالك والممالك** من أقدم المصادر الجغرافية وأهمها لما يحتويه من معلومات جغرافية نادرة ومعلومات عن نظم الحكم والنظام المالي بوجه خاص وإحصاءات وبيانات وافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها⁽¹⁾، وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات عن تضاريس الجزيرة ومدنها والمسافات بينها ومعلومات عن الصناعات الاستخراجية.

ب - الإصطخري ت. 340هـ/951م:

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، نشأ في مدينة إصطخر في جنوبي بلاد فارس وطلب العلم وعني بالأخبار عن البلاد وما يتعلق بها وكان تلميذاً للبلخي، ومحباً للأسفار وطاف بلاد الإسلام من بلاد العرب باتجاه الهند⁽²⁾.

وقد وصف في كتابه **المسالك والممالك** العالم الإسلامي مقسماً إياه إلى عشرين إقليم والهند وبلاد ما وراء النهر والبحار ويورد الإصطخري عن كل قطر معلومات عن الحدود والمدن والمسافات وطرق المواصلات والحاصلات والتجارة والصناعة والأجناس، وكان أسلوبه واضحاً وسلساً واعتمد على طريقة المقارنة بين المدن⁽³⁾، وقدّم هذا الكتاب معلومات مهمة عن مدن الجزيرة وأبرز محاصيلها الزراعية وثرواتها الباطنية وصناعاتها الزجاجية والنحاسية.

ج - الهمذاني ت. 340هـ/951م:

هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إبراهيم الهمذاني⁽⁴⁾، الشهير بابن الفقيه، ولد في مدينة همذان في

(1) أحمد، أحمد رمضان. (د.ت): **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي، جدة، ص56-59؛ الدفاع، علي بن عبدالله. (1990م): **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، الظهران، ص76.

(2) كحالة، عمر بن رضا بن محمد بن عبد الغني. (د.ت): **معجم المؤلفين**، 13 جزء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص104؛ سركيس. (1928م): **معجم المطبوعات**، ج2، ص453؛ أحمد. (د.ت): **الرحلة والرحالة المسلمون**، ص79.

(3) كراتشوفسكي. (1957م): **تاريخ الأدب الجغرافي**، ق1، ص199؛ الدفاع. (1990م): **رواد علم الجغرافيا**، ص102؛ حميدة. (1995م): **أعلام الجغرافيين العرب**، ص201.

(4) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الرومي. (1993م): **معجم الأديباء**، تح: إحسان عباس، 7 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، ج1؛ ص459؛ سركيس. (1928م): **معجم المطبوعات**، ج1، ص206.

فارس، وهو أديب وعالم بتقويم البلدان، من تصانيفه: كتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمقحمين

وكتاب البلدان ⁽¹⁾.

وقد ألف مختصر كتاب البلدان عام 290هـ/903م ووصف فيه البلدان الإسلامية جميعها والصين والهند والبحار المحيطة وما فيها من عجائب وغيرها، وهو مجموعة أدبية عن بلاد العالم ممتلئة بالشعر والقصص والطرائف الأدبية⁽²⁾، وقد أغنى هذا الكتاب البحث بمعلومات عن تضاريس الجزيرة وبعض صناعاتها المهمة مثل صناعة الزيوت.

د - ابن حوقل ت. 370هـ/970م:

هو أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي، ولد سنة 331هـ/942م في مدينة نصيبين وهو جغرافي وتاجر ورحالة وقد تجول في البلاد الإسلامية انطلق من بغداد وطاف في العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه وقد قرأ كل ما كتب عنه وعينه ⁽³⁾.

ويعد كتابه صورة الأرض من أغنى الكتب الجغرافية إذ قدم فيه دراسة علمية أصيلة عن المسافات والبحار والأنهار والجبال وخواص البلدان التي زارها وطبيعة الأرض والمحصولات الزراعية والحياة الاجتماعية في الحواضر والأرياف وركز على العادات والتقاليد في بلاد الإسلام واعتمد المنهج العلمي الدقيق الذي يستند على المشاهدة والاستنباطات العلمية والاستقراء المنطقي⁽⁴⁾، وقد أمد هذا الكتاب البحث

(1) كحالة (د.ت): معجم المؤلفين، ج2، ص80؛ حميدة (1995م): أعلام الجغرافيين، ص131.

(2) سركيس (1928م): معجم المطبوعات، ج1، ص206؛ كراتشكوفسكي (1957م): تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص162.

(3) سركيس (1928م): معجم المطبوعات، ج1، ص90؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (2002م): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، ج6، ص111؛ محدين، محمد محمود؛ الفراء، طه عثمان (2002م): المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، دار المريخ، ط4، الجيزة، ج1، ص45.

(4) الدفاع (1990م): رواد علم الجغرافية، ص109؛ أحمد (د.ت): الرحلة والرحالة المسلمون، ص118؛ كراتشكوفسكي (1957م): تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص1.

بمعلومات متنوعة عن أوضاع الزراعة في الجزيرة لاسيما في زمن الحمدانيين وعن أسواق الجزيرة وأبرز صناعاتها وتضاريسها ومدنها.

هـ - المقدسي ت. 375هـ / 985م:

شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي البشاري، رحالة جغرافي ولد في القدس في سنة 336 هـ / 947م وقد امتحن التجارة وكان كثير الأسفار وهذا ساعده في معرفة غوامض أحوال البلدان، إذ تنقل في معظم بلاد الإسلام⁽¹⁾.

وكتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من أمات كتب الجغرافية العربية القديمة وقد ذكر في كتابه أحوال الأقاليم الإسلامية وما فيها من بحار وبحيرات وأنهار وجبال وسهول وطرق والمسافات بينها وأحوالها جميعاً⁽²⁾ وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات قيمة عن أهم الصناعات في مدن الجزيرة والزراعات وأوضاع التجارة والأسواق والمكايل.

و - البكري ت. 487هـ / 1094م:

عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب ولد في قرطبة سنة 432هـ / 1040م وهو لغوي ومؤرخ ونسابة وعلم من أعلام الجغرافيين المسلمين واشتهر في معرفة الأدوية المفردة ومنافعها وأسمائها وله من الكتب كتاب أعيان النبات والشجريات الأندلسية ومعجم ما استعجم والمسالك والممالك وقد حظي بمكانة كبيرة لدى أمراء إشبيلية والمرية⁽³⁾.

(1) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله ت. 1067هـ / 1656م. (1941م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 6 أجزاء، مكتبة المثنى، بغداد، ج1، ص 243؛ كحالة (د.ت): معجم المؤلفين، ج8، ص 238؛ الزركلي. (2002م): الأعلام، ج5، ص 312.

(2) حاجي خليفة. (1941م): كشف الظنون، ج1، ص 243؛ سركيس. (1928م): معجم المطبوعات، ج2، ص 1773.

(3) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ت. 668هـ / 1269م. (د.ت): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ص500؛ الحموي. (1993م): معجم الأدباء، ج4، ص1534؛ الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن ت. 1167هـ / 1753م. (1990م): ديوان الإسلام، تح: سيد كسروي حسن، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص290؛ كحالة (د.ت): معجم المؤلفين، ج6، ص75.

ولم يكن كتابه المسالك والممالك من نتاج أسفاره ورحلاته وإنما اعتمد فيه على ما جمعه من الآثار العلمية التي خلفها من سبقوه وقد ذكر فيه صفات البلدان ذكرًا واقياً غير أنه لم يضبط الأسماء ولم يذكر الأطوال والعروض⁽¹⁾، وقد أفاد هذا الكتاب البحث بمعلومات عن مدن الجزيرة وأنهارها.

وكتابه معجم ما استعجم عن أسماء البلاد والمواضع هو من أشهر المعاجم الجغرافية العربية وهو مرتب معجمياً ويضم البلدان التي جاء ذكرها في أشعار العرب وفي صدره مقدمة مفيدة عن قبائل العرب⁽²⁾، وقد قدم هذا المعجم للبحث بمعلومات قيمة عن مدن الجزيرة وأوديتها وأنهارها وعيونها.

ز - الإدريسي ت. 559هـ/1165م:

محمد بن محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي ولد في مدينة سبتة سنة 493هـ/1100م ودرس في جامعة قرطبة ثم طاف في الأندلس وشمالي إفريقية وآسيا الصغرى وقد لبى دعوة الملك روجر الثاني Roger II صاحب صقلية فنزل في بلاطه وقد صنف له كتاباً في وصف أقاليم العالم المعروفة حينئذ جميعها⁽³⁾.

وقد كان كتابه نزهة المشتاق غزيراً بالمعلومات الجغرافية التي جمعها برحلاته الخاصة بوساطة الرواد الذين أرسلهم الملك روجر الثاني لاستطلاع الأقاليم ومن معلومات التجار والرحالة والحجاج فقد كتب معلومات غزيرة عن المغرب وصقلية وأيضاً عن مصر والشام ومعظم بلدان أوروبا وغيرها الكثير⁽⁴⁾، وقد أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات جيدة عن مدن الجزيرة الفراتية وأنهارها وعن صناعة النسيج والملابس فيها.

(1) حاجي خليفة. (1941م): كشف الظنون، ج2، ص1664؛ حسن. (1981م): الرحالة المسلمون، ص 45.

(2) سركيس. (1928م): معجم المطبوعات، ج2، ص579؛ محدين. (2002م): المدخل إلى علم الجغرافيا، ص48.

(3) الصفدي، صلاح الدين. (2000م): الوافي بالوفيات، تج: محمد الأرناؤوط؛ تركي مصطفى الناشر، 29 جزء، دار إحياء التراث، بيروت، ج1، ص138؛ محدين. (2002م): المدخل إلى علم الجغرافيا، ج1، ص46؛ كحالة. (د.ت): معجم المؤلفين، ج11، ص236.

(4) حاجي خليفة. (1941م): كشف الظنون، ج2، ص 1947؛ حسن، زكي محمد. (1981م): الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، ص 65؛ سركيس. (1928م): معجم المطبوعات، ج2، ص414.

د - ياقوت الحموي ت. 626هـ/1228م:

عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي، الملقب بشهاب الدين ولد في بلاد الروم سنة 574هـ/ 1174م، وهو مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين ومن العلماء باللغة والأدب، نشأ في بغداد، ورحل من بلاده صغيراً وابتاعه تاجر في بغداد يعرف بعسكر الحموي وإليه تعود نسبته بالحموي اعتقه في سنة 596هـ/ 1199م، عمل في التجارة ونسخ الكتب وتنقل بين العديد من البلدان ومنها سنجار والموصل، وتوفي في مدينة حلب⁽¹⁾.

وله من المؤلفات معجم الأدياء ومعجم البلدان الذي يعد موسوعة جغرافية كبيرة سجل فيها الحموي وصفاً للكثير من المدن والمواضع المختلفة شمل فروع الجغرافية الفلكية والوصفية واللغوية المختلفة ويعد أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي مسلم في العصور الوسطى⁽²⁾، وقد أفادت هذه الموسوعة البحث بتقديم معلومات وافية عن مدن الجزيرة وتضاريسها وأهم الصناعات فيها.

ط - القزويني ت. 682هـ/1283م:

زكريا بن محمد القزويني ولد في سنة 600هـ/ 1203م في مدينة قزوین من بلاد فارس، وقد تنقل بين بلاد فارس والعراق والشام وتولى قضاء مدينتي واسط والحلة⁽³⁾.

ويعد كتابه آثار البلاد وأخبار العباد من أهم كتب التاريخ وتقويم البلدان وقد ذكر فيه بعض البلدان الأوروبية والعلاقات التجارية بين المسلمين وسكان أوروبا الوسطى والشمالية اتصل بالكثير من الرحالة وقرأ

(1) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي ت. 681هـ/ 1282م. (1994م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، 7 أجزاء، دار صادر، بيروت، ج6، ص 127؛ الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري ت. 1089هـ/ 1678م. (1986م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرنؤوط، 11 جزء، دار ابن كثير، ط1، دمشق، ج7، ص212؛ الزركلي. (2002م): الأعلام، ص 131.

(2) محبين. (2002م): المدخل إلى علم الجغرافيا، ص 48؛ الشكعة، مصطفى. (2004م): مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، ص 557.

(3) الربيعي، أبو سليمان محمد بن عبدالله بن أحمد بن ربيعة ت. 379هـ/ 989م. (1989م): تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح: عبدالله أحمد سليمان، دار العاصمة، ط1، الرياض، ج2، ص672؛ سرقيس: معجم المطبوعات، ج2، ص1507.

آثارهم وأفاد من مشاهداتهم⁽¹⁾، قدم هذا الكتاب للبحث معلومات غنية تخص مدن الجزيرة ومواردها المائية وبعض منشآتها المعمارية.

ي - البغدادي ت. 739هـ/1338م:

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبدالله بن مسعود الحنبلي يعرف بابن عبد الحق وبابن شمائل ولد في بغداد في سنة 658هـ/1260م ودرس في المدرسة المجاهدية في بغداد وتوفي فيها⁽²⁾.

وكتابه **مرصد الاطلاع** هو مختصر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، تناول فيه معلومات عن المدن والقرى والسهول والمباني والعجائب⁽³⁾، وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات عن مدن الجزيرة الفراتية وما تشتهر به من زراعات وصناعات ومرافق زراعية.

ك - ابن سعيد المغربي ت. 685هـ/1286م:

علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ولد في غرناطة سنة 610هـ/1214م هو مؤرخ أندلسي من الشعراء العلماء بالأدب؛ تلقى العلم في إشبيلية ثم أدى فريضة الحج وأقام في الإسكندرية بضع سنوات، بعدها قام برحلات طويلة إلى العراق والشام والحجاز وتونس وأرمينيا واتصل ببعض أمراء المسلمين وعلمائهم قام بتأليف العديد من المصنفات وتوفي في تونس وقيل في دمشق⁽⁴⁾.

(1) حاجي خليفة. (1941م): **كشف الظنون**، ج1، ص1؛ حسن، زكي محمد. (1981م): **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، ص 125.

(2) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك ت. 764هـ/1362م. (1998م) : **أعيان العصر وأعوان النصر**، تج: علي أبوزيد؛ نبيل أبو عظمة؛ محمد موعد، 5 أجزاء، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، ج3، ص181؛ الصفدي. (2000م): **الوفاي بالوفيات**، ج19، ص163؛ العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ت. 852هـ/1448م. (1972م): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تج: محمد عبد المعيد ضان، 6 أجزاء، دار المعارف العثمانية، ط2، حيدر آباد، الهند، ج3، ص223؛ الغزي. (1990م): **ديوان الإسلام**، ج1، ص302.

(3) حاجي خليفة. (1941م): **كشف الظنون**، ج2، ص173؛ كحالة. (د.ت): **معجم المؤلفين**، ج6، ص197.

(4) ابن شاکر، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون ت. 764هـ/1362م. (1974م) : **فوات الوفيات**، تج: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، ج3، ص103؛ الزركلي. (2002م): **الأعلام**، ج5، ص26؛ حسن. (1981م): **الرحالة المسلمون**، ص121.

ويعد كتابه يسط الأرض في طول وعرض وكتاب الجغرافيا من أحسن الكتب التي ألفها العرب في الجغرافيا في العصر الوسيط، لأنهما يضمنان معلومات جغرافية مهمة ليس فقط عن العالم العربي الإسلامي وإنما عن بلاد الغرب أيضاً، وقد اعتمدت جغرافية ابن سعيد على الإدريسي في تبويبها فقد قسم الأقاليم إلى سبعة وكل واحد منها مجزأ إلى عشرة⁽¹⁾، وقد قدم هذا الكتاب للبحث أدلة على صناعة النحاس في الجزيرة والصناعات الاستخراجية ومنها النفط.

ل - الحَمِيرِي ت. 900هـ/1494م:

محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، ولد في مدينة سبتة المغربية تلقى تعليمه على يد كبار المفكرين فيها فنبغ في كل من التاريخ والجغرافية ويعد من كبار المفكرين في علم الجغرافية الوصفية وقد ذاع صيته في فن المعاجم⁽²⁾.

وكتابه الروض المعطار في خبر الأقطار يعد من أهم المصادر للباحثين فقد قدم فيه وصفاً دقيقاً للمدن ومعلومات في غاية الأهمية عن المحيطات والبحار والأنهار والجبال والجزر وغيرها ومعلومات شاملة عن الأندلس وثرواتها وصناعاتها⁽³⁾، وقد أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات وافية عن مدن الجزيرة وأنهارها وأوديتها وأهم محاصيلها الزراعية وصناعاتها.

2 - كتب الرحلات:

أ - ابن جبير 614هـ/1217 م:

(1) الدفاع. (1990م): رواد علم الجغرافيا، ص 190؛ حميدة. (1995م): إعلام الجغرافيين، ص 491؛ كراتشوفسكي. (1957م): تاريخ الأدب الجغرافي، ص 191؛ حسن. (1981م): الرحالة المسلمون، ص 122.

(2) حاجي خليفة. (1941م): كشف الظنون، ج 1، ص 920؛ الزركلي. (2002م): الأعلام، ج 8، ص 148؛ كحالة. (د.ت): معجم المؤلفين، ج 11، ص 238.

(3) الدفاع. (1990م): رواد علم الجغرافية، ص 227- 229، كراتشوفسكي. (1957م): تاريخ الأدب الجغرافي، ص 448.

محمد بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الكنانى ولد في مدينة بلنسية في الأندلس سنة 540هـ/1145م، وهو رحالة وأديب، برع في نظم الشعر الرقيق ودرس على أيدي العلماء في سبتة وغرناطة واستقر في الإسكندرية (1).

وقد احتوى كتابه رحلة ابن جبير على أخبار ذات شأن عظيم في دراسة التاريخ والآثار الإسلامية، بدأ رحلته إلى الأراضي الحجازية في سنة 578هـ/1183م ومراً من صقلية ومصر وصولاً إلى مكة والمسجد الحرام؛ وصفهما مع ذكر مناسك الحج وبعدها اتجه إلى بغداد ومن ثم الموصل وسامراء وتكريت ثم إلى عكا ثم عاد إلى صقلية واستمرت رحلته سنتين وثلاثة (2) وتتضمن الرحلة وصف للمناطق التي مر فيها ، وقد أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات مهمة عن أوضاع التجارة في الجزيرة الفراتية وأسواقها وصفات الجوامع فيها.

ب - ابن بطوطة ت. 777هـ/1375م:

شرف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم ولد في مدينة طنجة سنة 703هـ/1304م هو أعظم الرحالة المسلمين قاطبة وأكثرهم طوافاً في الآفاق وأشدهم عناية بالحالة الاجتماعية في البلاد التي تجول فيها وقد ظل ما يقارب ثمانية وعشرين عاماً في أسفار متصلة ورحلات متعاقبة بين العراق والشام والصين والهند وإفريقية وبلاد فارس ثم توفي في مراكش (3).

وقد وفق ابن بطوطة كل التوفيق فيما أملاه عن رحلته (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، فخلف صوراً صادقة للعصر الذي عاش فيه، ووصف الأشخاص والجماعات وصفاً يجعل المرء

(1) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ت. 748هـ/1347م. (2006م): سير أعلام النبلاء، 18 جزء، دار الحديث، القاهرة، ج17، ص158؛ الزركلي. (2002م): الأعلام، ج5، ص319؛ كحالة. (د.ت): معجم المؤلفين، ج8، ص246.

(2) حسن. (1981م): الرحالة المسلمون؛ ص83-88؛ سركيس. (1928م): معجم المطبوعات، ج1، ص61؛ محبين. (2002م): المدخل إلى علم الجغرافيا، ج1، ص46.

(3) العسقلاني. (1972م): الدرر الكامنة، ج5، ص227؛ سركيس. (1928م): معجم المطبوعات، ج1، ص48؛ الزركلي. (2002م): الأعلام، ج6، ص236؛ كحالة. (د.ت): معجم المؤلفين، ج10، ص236.

يشعر كأنه زار كل مناطق الدولة الإسلامية في عصره، ومعلومات عن الجبال والمسالك والمناخ والمحاصيل والعادات والتقاليد، وقطع في أسفاره مسافة قدرها بعض العلماء بمئة وخمسة وسبعين ألف ميل⁽¹⁾، وهي مسافة لا يظن أن رحالة غيره قطعها قبل استخدام البحار في وسائل السفر⁽²⁾، وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات مهمة عن مدن الجزيرة وصناعة النسيج والعطور فيها.

3 - كتب التواريخ العامة:

أ - ابن الأثير ت. 630 هـ/1234م:

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بعز الدين ولد في جزيرة ابن عمر في سنة 558 هـ/1163م ونشأ فيها ثم انتقل إلى الموصل مع والده وأخويه وقام برحلات إلى الشام والقدس ثم عاد إلى الموصل وانقطع للعلم والتصنيف وكان إماماً حافظاً للتواريخ خبيراً بأنسب العرب⁽³⁾.

وقد كان كتابه الكامل في التاريخ من أهم الكتب التي تناولت دراسة التاريخ الإسلامي العام، ابتداءً بالخلقة وانتهى عند آخر سنة 628 هـ/1232م وقد وازن بين أقاليم العالم الإسلامي وقارن ما يقع من الأحداث في كل منها، عاماً بعد عام، واعتمد على المتخصصين في تاريخ كل إقليم، وقد حذف التفاصيل التي لا حاجة لها وأمعن في فحص المصادر⁽⁴⁾، وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات مهمة عن الأوضاع السياسية في الجزيرة في العصر العباسي وعن الأسواق فيها أيضاً.

(1) الميل: هو مقياس للطول وهو على نوعان بري وبحري فالبري يقدر الآن بما يساوي 1609 من الأمتار، والبحري بما يساوي 1852 من الأمتار، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، ص 323.

(2) حسن. (1981م): الرحالة المسلمون، ص137؛ الدفاع. (1990م): رواد علم الجغرافية، ص208؛ كراتشوفسكي. (1957م): تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص421.

(3) سركيس. (1928م): معجم المطبوعات، ج1، ص37؛ البصيري، عبدالله بن محمد. (2001م): معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، د.م، ص82، الزركلي. (2002م): الأعلام، ج9، ص31.

(4) عبدالله، يسري عبدالغني. (1991م): معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص36.

ب - ابن شداد (عز الدين) ت. 684هـ/1285م:

محمد بن علي بن إبراهيم أبو عبدالله عز الدين الأنصاري ولد في مدينة حلب سنة 613 هـ/1217م وهو مؤرخ ومن رؤساء الكتاب قام برحلة إلى حران ومصر وكان محبوباً عند الأمراء إذ تولى ديوان الرسائل للكثير من الملوك، واستوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب وتوفي في القاهرة⁽¹⁾.

ويعد كتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة من أفضل الكتب التي صنف في جغرافية الشام وتاريخها فقد أقام فيه تخطيطاً طبوغرافياً لمدن الشام دمشق وحلب والقدس وأمّهات مدن الجزيرة وكشف عن تاريخ كل مدينة وقد صور أوضاع بلاد الشام في أثناء الغزو الصليبي والمغولي⁽²⁾، أغنى هذا الكتاب البحث بمعلومات قيمة عن مدن الجزيرة والأوضاع السياسية فيها.

ثانياً- المراجع:

اعتمد البحث على مجموعة من المراجع الخاصة بالبحث، وكان لبعضها أهمية كبيرة، إذ قدمت للبحث معلومات قيمة تتعلق بصناعات الجزيرة المختلفة ومنها: كتاب منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدياء للخطيب العمري وقد أغنى هذا الكتاب البحث بمعلومات عن الموارد المائية في الموصل وصناعاتها النسيجية والاستخراجية ومعاصر الزيوت فيها، وكتاب "موسوعة الموصل الحضارية" تأليف: نخبة من المؤلفين، وقد أمدت هذه الموسوعة البحث بمعلومات قيمة عن الصناعات النسيجية في الموصل وأشكالها، وأيضاً كتب المؤرخ سعيد الديوه جي التي أغنت البحث نظراً إلى كونه مؤرخاً محلياً من الموصل وقد اطلع على وثائقها وآثارها وأبرز هذه الكتب "أعلام الصناع المواصلّة" الذي قدم للبحث معلومات مهمة عن أهم صناعات النسيج والتحف المعدنية في الموصل وعن أوضاع صناعة الرخام، وكتاب "الموصل في العهد الأتابكي" الذي قدم للبحث معلومات قيمة عن مطاحن الحبوب والمعاصر في الجزيرة وعن

(1) الزركلي. (2002م): الأعلام، ج6، ص283؛ سركيس. (1928م): كشف الظنون، ج1، ص296؛ كحالة. (د.ت): معجم المؤلفين، ج6، ص62.

(2) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم. (1991م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص1؛ حاجي خليفة. (1941م): كشف الظنون، ج1، ص81.

الصناعات الخشبية فيها، وكتاب "الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة" تأليف: عبدالله الحارثي، الذي ألقى الضوء على أهم الحاصلات الزراعية في الجزيرة وصناعات العسل والصياغة والزجاج، وكتاب "الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية" تأليف: سوادي عبد محمد، الذي أمد البحث بمعلومات وفيرة عن أهم المرافق الزراعية في الجزيرة وعن صناعة الأسلحة والعمود، وكتاب "التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي" تأليف: صلاح حسين العبيدي، الذي أفاد البحث في التعرف على أهم التحف المعدنية في الجزيرة وأبرز صناعات التحف في الموصل، و مجلة " الحوليات الأثرية السورية" تأليف: نخبة من المؤلفين، وقد أمدت البحث بمعلومات ودلائل متميزة عن صناعة الفخار والزجاج في الرقة وصناعة الصياغة والحلي، وكتاب " المعجم الوسيط" تأليف: نخبة من المؤلفين، الذي اعتمد عليه في تعريفات كثيرة وشروح لبعض المفردات والمصطلحات الغربية الواردة في البحث، فضلاً عن عدة مراجع أخرى قيمة أسهمت بمحتوياتها في إعداد هذا البحث.

مكونات البحث:

المقدمة: وتقدم لمحة عامة عن البحث وأهميته.

الفصل الأول: يقدم هذا الفصل لمحة عن جغرافية الجزيرة الفراتية، وتضاريسها، ومدنها والأوضاع السياسية والإدارية فيها خلال حكم الدول التي تعاقبت عليها طوال حقبة العصر العباسي.

الفصل الثاني: يبحث هذا الفصل في الحياة الاقتصادية في الجزيرة الفراتية إذ يبحث في الزراعة وأوضاعها وأنواع الأراضي وأهم المحاصيل والثروة الحيوانية ويتناول أيضاً التجارة في الجزيرة وأهم تطوراتها ومقوماتها.

الفصل الثالث: وتتناول هذا الفصل التعريف بالصناعة في الجزيرة الفراتية وأوضاعها وتطور الصناعات الغذائية والنسيجية التي قُسمت إلى صناعات قامت على أساس مواد زراعية وصناعات على أساس مواد حيوانية.

الفصل الرابع: دُرِست فيه الصناعات الاستخراجية والمعدنية والخشبية وصناعات أخرى وهي صناعة الزجاج والفخار والخزف والخمور والأدوية والأسمدة الزراعية وصناعة الورق والصناعات الجلدية والعلطور والأسلحة والآلات الموسيقية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توص إليها البحث والدراسة، يليها الملاحق التي تضمنت خرائط لمنطقة الجزيرة، وصوراً لأهم الصناعات والمكتشفات فيها من أواني فخارية أو خزفية أو زجاجية أو بعض التحف المعدنية والصروح المعمارية وأنواع الألبسة المصنعة، وفي النهاية تم تدوين المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث مرتبة وفق حروف المعجم.

الفصل الأول :

أولاً: لمحة عن جغرافية الجزيرة الفراتية وتضاريسها ومدنها :

1 - التسمية والموقع والحدود

2 - تضاريس الجزيرة الفراتية:

أ - الجبال

ب - السهول

ج - المروج

3 - الموارد المائية :

- الأنهار والأودية والعيون وقنوات المياه

4- المناخ في الجزيرة الفراتية

5 - أهم المدن في الجزيرة

ثانياً: الأوضاع السياسية والإدارية في الجزيرة الفراتية في مراحل:

1- العصر العباسي الأول 132 - 232 هـ / 750 - 847 م

2- الدولة الحمدانية 293 - 394 هـ / 905 - 1003 م

- 3 - الإمارة المروانية 372 - 478 هـ / 982 - 1085 م
- 4 - الدولة المرداسية 414 - 472 هـ / 1023 - 1079 م
- 5 - الدولة العقيلية في الموصل 386 - 489 هـ / 996 - 1095 م
- 6 - الأراتقة في الجزيرة الفراتية 465 - 812 هـ / 1072 - 1409 م
- 7 - الدولة الزنكية 521 - 577 هـ / 1127 - 1181 م
- 8 - الدولة الأيوبية 578 - 656 هـ / 1182 - 1258 م
- 9 - سقوط بغداد واستيلاء المغول على الجزيرة 656 هـ / 1258 م

الفصل الأول:

أولاً: لمحة عن جغرافية الجزيرة الفراتية:

1- التسمية والموقع والحدود: الجزيرة الفراتية اسم يطلق على الإقليم الشمالي لبلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وتعرف باسم الجزيرة لأنها بين نهري دجلة والفرات ⁽¹⁾ أما الفراتية فقد أجمع الكثير من المؤرخين والرحالة على هذه التسمية التي وردت عند ابن خلكان 681هـ/1282م في أثناء ذكره لقصة بين المعتصم ورجل من الجزيرة ⁽²⁾ وورد ذكرها عند ابن خلدون 808 هـ/1406م في أثناء تتبعه لبطون العرب ⁽³⁾ و ربما سميت بذلك لأن نهر الفرات وروافده تتفرع في أراضي الجزيرة الفراتية بينما روافد نهر دجلة معظمها تقع خارج أراضي الجزيرة الفراتية التي ربما سميت بذلك لتمييزها عن الجزيرة العربية، وأيضاً تسمى جزيرة آقور وقد سماها بهذا الاسم المقدسي 366هـ/977م حين كتب عن إقليم آقور ⁽⁴⁾ وأخذها منه الحموي 626هـ/1229م في كتابه معجم البلدان ⁽⁵⁾ واتفق معه البغدادي 739 هـ/1338م في هذه التسمية ⁽⁶⁾ وقد سميت آثور وهي ديار آشور ⁽⁷⁾ وتعرف بجزيرة آثور نسبة إلى مدينة كانت بها تسمى بهذا الاسم وإليها ينتسب الملوك

(1) البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي ت. 487هـ/1094م. (1983م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 4 أجزاء، عالم الكتب، ط3، بيروت، ج2، ص 381.

(2) ابن خلكان. (1994م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص 83 .

(3) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت. 808هـ/1406م. (1988م): تاريخ ابن خلدون، تج: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، ج2، ص 360.

(4) المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت. 366هـ/977م. (1991م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، ص 136.

(5) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله ت. 626هـ/1229م. (1995م): معجم البلدان، 7 أجزاء، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج2، ص 134.

(6) البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت. 739هـ/1338م. (1991م): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3 أجزاء، دار الجبل، ط1، بيروت، ج1، ص 331.

(7) جزيرة آقور: هي ديار آشور وبالإفريقية أن القاف لغة هي الثاء ولعل أصلها الفاء ولذلك أن الفاء ترد لغة في ألفاظ جملة إذ كان يصعب على كثيرين أن يميزوا بينهما وأيضاً ذكرت باسم آثوريا . عواد، يوسف. (د.ت): أسئلة وأجوبة، مجلة لغة العرب العراقية، مطبعة الآداب، بغداد، العدد 77، ص 60 - 61 .

الآشوريون من الجرامقة (1).

أما بالنسبة إلى الموقع والحدود فتشمل الجزيرة الفراتية المناطق الواقعة بين جبال أرمينيا وبلاد الروم شمالاً وعانة وتكريت جنوباً وهي تقع شمال شرقي بلاد الشام وشمال غربي العراق وجنوب شرق بلاد الروم وحدودها وفق البلدان التي تعد نهايات الجزيرة وعلى أطرافها فهي تبدأ من الشمال الشرقي من مخرج الفرات من داخل بلد الروم من ملطية ثم سميساط والرها وجسر منبج إلى الجنوب وباتجاه الشرق حيث بالس ومن ثم الرقة وقرقيسيا والرحبة وهيت والأنبار ومن ثم عانة في الجنوب على الفرات وبعدها تكريت وهي على نهر دجلة وتنتهي عندها الحدود الجنوبية ومن ثم تبدأ حدودها الشرقية حيث تتوضع مدن الحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر وبعدها بلدة إسعرد⁽²⁾ ومن ثم مدينة ميفارقين في الشمال وبعدها تتجاوز مدينة آمد فينقطع حد دجلة بجانب أرمينيا ثم باتجاه الغرب إلى مدينة سميساط ثم إلى مخرج ماء الفرات من حيث بدأت الحدود ، وغربي الفرات مدن وقرى تنسب إلى الجزيرة وهي خارجة عنها وذلك بسبب قربها منها ولأنها على حدودها⁽³⁾، أما ابن حوقل فقد أضاف ثغور الجزيرة وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصيصة وأذنة وطرسوس⁽⁴⁾ وسوف ينحصر البحث بالمناطق الواقعة بين نهري دجلة والفرات وهي موضحة في الملحق رقم (1) + (2) ص 185 و 186 .

(1) الجرامقة: هم قوم من العجم ينتهي نسبهم إلى باسل بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام وهم أهل الموصل في الزمن القديم أو من ولد جرموق بن آشور بن سام، ابن العبري، أبو الفرج يوحنا ابن هارون الملطي ت. 685هـ/1286م. (1992م) : تاريخ مختصر تاريخ الدول، تح : أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط3، بيروت، ص 77؛ الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت 817هـ/1414م. (2005م) : القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، ص 871؛ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ت 845هـ/1441م. (1997م) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص 269.

(2) لقد اختلفت المصادر حول اسم هذه المدينة فقد وردت عند ابن خرداذبة باسم سعرت أما البغدادي فسمها إسعرد وذكرها في مكان آخر باسم أسعرت والاسم الأصح هو إسعرد نتيجة اتفاق المؤرخين عليه وأيضاً لأنه ارتبط به أشخاص عديدين في الجزيرة، ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت. 280هـ/893م. (1889م) : المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ص233؛ ابن شداد. (1991م) : الأعلاق الخطيرة ، ج3، ق2، ص755؛ البغدادي. (1991م) : مراسد الاطلاع، ج1، ص 375، 441.

(3) الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت 346 هـ/957م. (2004) : المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ص 72 ؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلني النصيبي 376هـ/977م. (1938م) : صورة الأرض، جزأين، دار صادر، بيروت، ج1، ص 209؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت. 732هـ/1331م. (1830م) : تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ص19.

(4) ابن حوقل. (1938م) : صورة الأرض، ص 165 .

وكان إقليم الجزيرة يقسم إلى ديار ثلاث وهي ديار ربيعة⁽¹⁾ وديار مضر⁽²⁾ وديار بكر⁽³⁾، وذلك نسبة إلى القبائل العربية التي نزلت هذا الإقليم قبل الإسلام إذ كانت الظروف المناخية هي السبب الأكبر في قدوم القبائل العربية من الجنوب واستقرارها في هذه المنطقة ولاسيما بعد خراب سد مأرب ودماره إذ تفرقت الكثير من القبائل العربية بعد سنة 145 ق.م فنزحت العديد منها إلى الجزيرة والشام وما جاورها من البلدان⁽⁴⁾.

ونظراً إلى الأهمية الاقتصادية للتضاريس وما تقدمه من ثروات على سطحها وبداخلها فسوف تُدرس بتوسع في بحث الصناعة كونها تقدم المواد الأولية للصناعات المختلفة، فهي تشكل بنية أساسية للصناعات المعدنية بما تحتويه من ثروات سواء من التربة بحد ذاتها (زجاج + فخار) أو مما يوجد فيها من فلزات المعادن، هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي توفر المواد الأولية للصناعات التي تقوم على أساس زراعي وهي الصناعات النسيجية (قطن + كتان) وكذلك للصناعات الغذائية بما توفره من منتجات ومحاصيل زراعية مختلفة أو مما تقدمه من بيئة مناسبة للرعي ومن ثم تربية الحيوان وما يستفاد منه في [صناعات غذائية (الألبان والأجبان وغيرها) ونسيجية (الصوف + الوبر + الشعر + الحرير) والصناعات الجلدية] .

3 - تضاريس الجزيرة الفراتية:

تعد الجزيرة هضبة ذات أراضي متموجة مرتفعة عن مستوى دجلة والفرات وروافدهما، وفيها العديد من الجبال والمروج والموارد المائية التي تؤلف تضاريسها، وسوف تُدرس ويتم تتبع أوضاعها تباعاً بدءاً من

(1) ربيعة: حي من مضر من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر، كحالة، عمر رضا. (1978م): معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ص 424.

(2) مضر: قبيلة من العدنانية وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي ت. 821هـ/1418م. (د.ت): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: علي الخاقاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ج3، ص 1107.

(3) بكر: ويعود نسبهم إلى العدنانية وهم بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت 562هـ/1166م. (1996م): المنتخب من معجم شيوخ العرب، تح: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار عالم الكتب، الرياض، ص 1785.

(4) الديوه جي، سعيد. (1982م): تاريخ الموصل، المجمع العراقي، ط1، بغداد، ج9، ص 11.

الجبال ولسهولة ووضوح تتبع تضاريس الجزيرة سوف تُدرس وفقاً لتقسيمات الجزيرة الرئيسة المعروفة: ديار مضر وديار بكر وديار ربيعة .

أ - جبال الجزيرة: ضمت الجزيرة سلسلة جبلية كبيرة كان لها دور كبير في التأثير في المناخ والأحوال الجوية إيجابياً وأيضاً كانت من أهم مصادر مياه الأنهار وذلك لارتفاعها العالي فقد كانت تتلقى الثلوج التي تنوب في فصل الربيع وتغذي أنهار الجزيرة وتروي بساكنها، أهم هذه الجبال هي:

1^أ - جبال ديار مضر:

جبل عبد العزيز الممتد بين نهري البليخ والخابور حيث يبدأ من الجنوب الغربي من الخابور ويسير غرباً إلى جهة الفرات وعلو قمته 150 متراً عن سطح الأرض وتنتشر فيه الأشجار المثمرة وتجلب من شجره الأخشاب (1) ، • تل زادان الذي يقع بالقرب من الرقة (2) و رأس كيفا من ديار مضر قرب حران (3) .

2^أ - جبال ديار ربيعة:

• جبل الجودي: يقع بالقرب من جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقي وقد انتشرت على سفحه الكثير من الأشجار المثمرة و كان يسكنه آل ربيعة (4) .

(1) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي ت. 1351هـ/1932م. (د.ت): نهر الذهب في تاريخ حلب، 3 أجزاء، دار القلم، ط2، حلب، ج1، ص 462، الحربي، عاتق بن غيث بن عطية بن صالح البلادي. (1982م): معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، مكة المكرمة، ص82.

(2) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 125 .

(3) ابن خرداذبة. (1889م): المسالك والممالك، ص73؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 14؛ البغدادي. (1991م): مراصد الاطلاع، ج2، ص 594.

(4) ابن جبیر، أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانی الأندلسي ت. 614هـ/1218م. (د.ت): رحلة ابن جبیر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص191؛ ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر القرشي ت 749هـ/1349م. (2008م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، القاهرة، ص278؛ الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم ت. 900هـ/1494م. (1980م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص 181؛ مؤلف مجهول. (2002م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص 48.

• جبل سنجار: وهو يقع في وسط إقليم الجزيرة⁽¹⁾، يتألف من سلسلة من الجبال، ويعد من أعظم الجبال الشرقية في بلاد الجزيرة ويمتاز بهوائه النقي ومائه العذب وجمال طبيعته وهو كثير الشجر والماء ويعد من أخصب الجبال وفيه يزرع الكثير من الثمار وكان ملجأً وملاداً للزهاد والعباد والصالحين⁽²⁾.

• جبل داسن: وهو جبل عظيم يقع في شمالي الموصل وسكانه كثيرون وأغلبهم من الأكراد ويقال لهم الداسنية ولذلك سمي الجبل بهذا الاسم⁽³⁾، • جبل طور عبيد أو الطور ويقع بالقرب من جزيرة ابن عمر ونصيبين⁽⁴⁾، • جبل بارما: يقع بين تكريت والموصل، وهو الذي يعرف بجبل حميرين، يمر منه نهر دجلة عند السن⁽⁵⁾.

• جبل ماردين: ويقع بجانب نصيبين وعلى سفحه مدينة ماردين⁽⁶⁾، • جبل السلج: وهو جبل عالٍ مشرف على الزاب من أعمال الموصل⁽⁷⁾، • جبل الأفعس: وهو جبل في ديار ربيعة يقال له: ذو الهضبات⁽⁸⁾.

• جبل شعران: ويقع في مدينة الموصل وأطلق عليه شعران لكثرة أشجاره ويقال للشجر الشعراء، ويسمى أيضاً بجبل قنديل وهو من أقدم الجبال وكان فيه شجر كبير يقطع ويحمل إلى العراق ويبقى الثلج فيه قائماً

(1) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 207؛ المغربي، أبو الحسن علي بن مؤنس بن سعيد ت. 685هـ/1286م: الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للنشر والطباعة، بيروت، 1970 م، ص 44.

(2) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم ت. 770هـ/1378م. (1996م): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ج2، ص 85؛ شميساني، حسن. (1983م): مدينة سنجار من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، ص 20.

(3) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 432؛ ابن الأثير، محمد عبد الكريم الشيباني ت. 630هـ/1234م. (1997م): الكامل في التاريخ، تح: عمر بن عبد السلام تدمري، 10 أجزاء، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، ج6، ص 548؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 334.

(4) ابن خرداذبة. (1889م): المسالك والممالك، ص 95؛ الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 31.

(5) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ت. 346هـ/958م. (د.ت): التنبيه والإشراف، دار الصاوي، القاهرة، ص 49؛ البغدادي. (1991م): مراصد الاطلاع، ج 1، ص 151.

(6) الحميري. (1980م): الروض المعطار، ص 230.

(7) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 238؛ ابن خلدون. (1988م): تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 444.

(8) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص 237؛ البغدادي. (1991م): مراصد الاطلاع، ج1، ص 105.

في الشتاء والصيف وذلك بسبب ارتفاعه الكبير وبرودته الشديدة (1).

• جبل اليعموم: وهو جبل بالجزيرة قريب من نهر الثرثار (2).

3- جبال ديار بكر:

• جبل حرم عباد وجبل السنانة يقعان شمالي مدينة ميفارقين (3)، • جبل ساتيدما : يقع هذا الجبل بين

ميفارقين وإسعد (4) .

أغنت هذه الجبال الجزيرة الفراتية بثروات جمة فقد وجد في بعض الجبال معادن الزجاج المميز الذي كان يصدر إلى البلدان المجاورة والمعادن الكثيرة ومنها الكبريت والقار والنفط إضافة إلى الثمار المختلفة التي تشكل المادة الأولية للكثير من الصناعات.

ب - سهول الجزيرة الفراتية :

كانت أرض الجزيرة الفراتية في أغلبها سهلية انتشرت فيها السهول الواسعة التي تتمتع بالتربة الخصبة الصالحة لأنواع الزراعات المختلفة ومن أهم هذه السهول:

1- سهول ما بين الزابيين: تقع هذه السهول ما بين الزابيين غربي دجلة، وتتمتع بوفرة المياه الجوفية، وهذا ساعد على انتشار حرفتي الرعي والزراعة، وهي منطقة صالحة لزراعة أنواع متعددة من المزروعات أهمها الحبوب .

2- سهل سنجار: يقع هذا السهل إلى الشمال من مدينة سنجار وجبل عبدالعزيز وقد كان مخصصاً

(1) الهمذاني، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق ابن الفقيه ت. 340هـ/951م. (1996م): تقويم البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1996م، ص 178.

(2) البكري. (1983م): معجم ما استعجم، ج2، ص 450؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ج1، ص 617.

(3) ابن شداد. (1991م): الأعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص 276، 261.

(4) ابن خرداذبة. (1889م): المسالك والممالك، ص 232؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 169؛ البغدادي. (1991م): مرآة الاطلاع، ج2، ص 251.

للزراعة والرعي ويعد النخيل من أهم اشجاره الزراعية وينتشر فيه العديد من المزروعات الشتوية أيضاً.

3- السهول الفيضية: تعد السهول المجاورة للأنهار أكثر الأراضي الزراعية جودة، إذ تتمتع بجودة التصريف⁽¹⁾ وهي تنتشر على ضفاف الأنهار في الجزيرة.

ج - مروج الجزيرة الفراتية:

فضلاً عن السهول الواسعة إذ انتشرت في الجزيرة عدة مروج متميزة بأهميتها وهي:

1- مرج الموصل: ويقع في الجانب الشرقي من الموصل وهو موضع بين الجبال في منخفض من الأرض شبيه بالغور وكان ممتلئاً بالمروج والقرى الواسعة .

2- مرج الضيائن: يقع بالقرب من الرقة ينسب إلى الضيائن بن معاوية بن الأحرار بن سعد صاحب الحضرة .

3- مرج عبد الواحد: ويقع في مدينة الرقة أيضاً وينسب إلى عبد الواحد بن الحارث بن الحكم وهو ابن عم عبدالملك بن مروان⁽²⁾.

وقد أمدت هذه السهول والمروج الجزيرة الفراتية بالخيرات الكثيرة من مختلف أنواع الفاكهة والخضراوات والغابات الكثيفة، فضلاً عن الثروات الباطنية.

وأما البادية فتركزت جنوبي سنجار⁽³⁾، وهي صحراء مستوية أكسبت المدينة شهرة في تحديد محيط الكرة الأرضية؛ لأنها اتخذت في بعض الأوقات مرصداً فلكياً⁽⁴⁾.

(1) الوريكات، هالة عبد الحميد إبراهيم. (2001م): الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: فالح حسين، الجامعة الأردنية، عمان، ص 29، 30.

(2) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت 279هـ/892م. (1988م): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص 181؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 5، ص 102؛ البغدادي. (1991م): مرصد الاطلاع، ج 2، ص 1255.

(3) الدوري، عبد العزيز. (1995م): تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1995م، ص 22، 23.

(4) شمساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 19.

4 - الموارد المائية:

قامت الحضارات جميعها بجانب نهر أو بحر كبير إذ أن توفر المياه شرط أساسي في وجود الحضارات ونموها وكما كانت مصر هبة النيل فالجزيرة الفراتية هي هبة الفرات ودجلة وروافدهما وبعض الأنهار الصغيرة الأخرى الموجودة فيها فضلاً عن الأودية والعيون التي جعلت الجزيرة من المناطق الخصبة الممتلئة بالبساتين.

وتعد الأنهار أهم الموارد المائية التي شكلت الجزيرة الفراتية ومن أهمها:

أ- أنهار ديار مضر:

• نهر الفرات: الذي يخرج من جبل عليق في أرمينيا، ويقطع ما بين بلاد الروم وجبل اللكام ويأتي إلى حدود ملطية، ثم يستمر متجهاً نحو الجنوب فيمر بسميساط وسنجة وبالس، ثم ينعطف منحدرًا إلى الشرق ويمر بالركة وقرقيسيا والرحبة وعانة وهيت والأنبار، ثم ينعطف مرة أخرى فيمر ويصل إلى بطيحة الكوفة وعندما يمر بالأنبار يخرج منه نهر عيسى⁽¹⁾، وعندها تنتهي حدود الجزيرة أما الفرات فيتابع مسيره جنوباً ويميل نحو الجهة الجنوبية الشرقية حتى شط العرب حيث يلتقي بنهر دجلة ويصب في خليج البصرة.

• نهر سعيد: كان يخرج من يمين الفرات على شيء قليل فوق قرقيسيا دون الرقة من ديار مضر وينسب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم⁽²⁾.

• نهر الجلاب: هو نهر بمدينة حران ومخرجه من قرية تعرف بالدب ونهايته عند نهر البليخ ويصب فيه إن فضل منه شيء في الشتاء، وأما في غير فصل الشتاء فلا يفي بسقاية بعض ما عليه من الأراضي

(1) مؤلف مجهول. (2002م): حدود العالم، ص 62.

(2) البكري، أبو عبيد الله عبدالله محمد ت. 487هـ/1094م. (1992م): المسالك والممالك، جزأين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص 237؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي ت. 660هـ/1262م. (د.ت): بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، 12 جزء، دار الفكر، بيروت، ج1، ص 359.

المزروعة، أي اعتماده الكلي على الأمطار، وهو يسقي حران ويدخل إلى بعض البيوت فيها، وبجوار هذا النهر يقع نهر ديسان (1).

• نهر الهني والمري: هما نهران بجانب الرقة حفرهما الخليفة هشام بن عبد الملك 71 - 125 هـ / 691-743 م لري القرى والبساتين المحيطة بها (2).

• نهر البليخ: ينبع هذا النهر من عين الذهبانية من أرض حران ويصب في الفرات، وكان اعتماد أهالي حران عليه في شربهم وزراعتهم، وكذلك كان موردًا مائيًا رئيسيًا للقرى المجاورة، وتعد مدينة الرقة، أكثر المستفيدين منه، فهو نهرها الرئيس، حتى سميت المنطقة السفلى من الرقة بالرقعة السوداء لاشتداد اخضرارها بفضل مياهه (3) بالإضافة لنهر النيل: وهو من أنهار الرقة حفره الخليفة هارون الرشيد على ضفة الرقة (4).

ب - أنهار ديار ربيعة:

• نهر دجلة: يخرج من جبال أرمينيا فيمر على بلد والموصل وتكريت وسامراء ثم يقطع وسط بغداد ووسط واسط، حتى يصل إلى الأبله وحدود البصرة ويلتقي بنهر الفرات ويسميان شط العرب (5)، وهناك يصب في خليج البصرة المتصل بالبحر الأعظم (6).

• نهر الهرماس أو نهر نصيبين: الذي يأتي من مدينة نصيبين وهو أحد روافد الخابور الكبير

(1) ابن شداد. (1991م): الأعلاق الخطيرة، ج3، ص1، ص41.

(2) الهمذاني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان ت. 584هـ/1188م. (1994م): الأماكن ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة، تج: حمد بن محمد الجابر، دار اليمامة للترجمة والنشر، الرياض، ص923؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج5، ص352.

(3) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص493؛ الغزي. (د.ت): نهر الذهب، ج1، ص461.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج5، ص334.

(5) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص208؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ت 463هـ/1071م. (2002م): تاريخ بغداد، تج: بشار عواد معروف، 16 جزء، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، ص363؛ مؤلف مجهول. (2002م): حدود العالم، ص61.

(6) البحر الأعظم: هو المحيط الهندي الذي يتفرع منه الخليج العربي الذي كان يسمى أيضاً بخليج العراق وهو مصب نهر دجلة، مؤلف مجهول. (2002م): حدود العالم، ص26.

ويجتمع بالخابور عند منطقة سكير العباس ويجري فيلنقي هو والخابور الذي يصب في الفرات عند قرقيسيا ويصب الهرماس في يمين الفرات (1).

ج - أنهار ديار بكر:

• نهرا سريط وساتيدما: هما نهرا يأتان من أرزن وميفارقين، ويمران بالموصل ويصبان في دجلة في الجانب الشرقي منه، وتكون ميفارقين وتل فافان أكثر المستفيدين منهما، ويعرفان باسم نهري فاقس والذيب (2)، • نهري بدليس: ينبع من جبال أرمينيا من منطقة بدليس ويلتقي بدجلة عند تل فافان ويقترب بهذا النهري رافد عظيم ينبع من جنوب البحيرة يدعى وادي الرزم (3).

• نهري فافان: وهو نهري على تل فافان يصب في دجلة لتصبح فافان محاطة بالروافد المائية حيث فيه نهري فافان وساتيدما، هذا يزيد في جودتها الزراعية ولاسيما المنطقة الغربية منها، التي يصب فيها العديد من روافد دجلة (4).

وكان هنالك العديد من الأودية في الجزيرة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد الأنهار وقد كانت تتوفر فيها المياه لبعض الوقت في أيام الشتاء والمطر وأهمها:

أ - الأودية في ديار ربيعة: أبرزها وادي الحيال أو الحوالي: هو وادي منبعه من سنجار (5)، ومتصل به لذلك كانت له فائدة اقتصادية كبيرة لما تنتجه أراضيها الخصبة من غلال ولما تدره مواشيه من ثروة حيوانية

(1) الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني ت. 560 هـ/1164م. (1989م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزأين، عالم الكتب، ط1، بيروت، ج2، ص657؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص75؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ص577.

(2) البكري. (1992م): المسالك والممالك، ج1، ص234؛ الإدريسي. (1989م): نزهة المشتاق، ج2، ص681.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص208؛ البغدادي. (1991م): مراصد الاطلاع، ج2، ص515.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص42؛ البغدادي. (1991م): مراصد الاطلاع، ج2، ص515.

(5) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص207.

كبيرة ⁽¹⁾ بالإضافة إلى وادي زمار: يقع بالقرب من الموصل وكان ممتلئاً بالأعشاب وعليه رابية يقال لها رابية العقاب تشرف على نهر دجلة ⁽²⁾.

ب - الأودية في ديار مضر: أهمها وادي أباغ: هو وادٍ يقع على طريق الشام إلى الفرات في مدينة الرقة ⁽³⁾.

ج - الأودية في ديار بكر: أبرزها وادي صلب: وهو وادي بين آمد وميافارقين؛ ويصب في نهر دجلة ⁽⁴⁾

وانتشرت أيضاً عيون المياه بكثرة في الجزيرة الفراتية وكان لها دور كبير في غناها بالمزروعات المتميزة وقد كان بعضها غنياً بالمواد المعدنية كالكبريت واستخدمت في العلاج من الأمراض، وأهم هذه العيون:

أ - العيون في ديار ربيعة:

• عين الصرار: تقع في مدينة رأس العين وتعد من أشهر العيون في الجزيرة؛ وذلك لصفاء مائها فهي التي نثر فيها المتوكل عشرة آلاف درهم ونزل أهل المدينة فأخذوها لصفاء الماء ولم يفقد منها شيء فإنه يبين مع عمقها ما في قعرها للناظر من فوقها ⁽⁵⁾، ومنبع هذا الماء من صخر أملس شديد الصلابة تخرج منه مياه كثيرة ⁽⁶⁾.

• عين الأس وعين الرياحية وعين الهاشمية وجميعها تقع في مدينة رأس العين وفيها عين يقال لها خسفة سلامة ⁽⁷⁾.

(1) شمساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 20.

(2) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 5، ص 343.

(3) البكري. (1983م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد، ج 1، ص 95؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 4، ص 175؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ص 10.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 2، ص 441.

(5) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 3، ص 14.

(6) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت. 682هـ/1283م. (د.ت): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ج 1، ص 373.

(7) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 3، ص 14.

ب - العيون في ديار مضر:

• عين الزاهرية: تقع بجانب قرقيسيا، وكانت القوارب الصغيرة تدخل إلى عين الزاهرية وإلى عين الهاشمية، وكان الناس يركبون فيها إلى بساتينهم وإلى قرقيسيا إن شأؤوا، وأيضاً بالقرب من عين الزاهرية عين كبريت يظهر مأوها أخضر ليس له رائحة و يجري فيها نهر صغير وتدور به ناعورة⁽¹⁾ يجتمع مع عين الزاهرية في موضع واحد في نهر الخابور⁽²⁾، • عين زربة: تقع في جوار الرها وحران وتتسبب إليها منطقة عين زربي وملكها الروم من المسلمين أيام سيف الدولة بن حَمْدَان 303 - 356 هـ/915-967م⁽³⁾.

• عين مياس: تقع هذه العين في الرها وليس في بلاد الجزيرة جميعها أحسن من منتزهاتها ولا أكثر من فواكها المتعددة⁽⁴⁾.

ج - العيون في ديار بكر:

• عين الحمة: هي عين حارة بين إسعرد وجزيرة ابن عمر على دجلة وتقصد من النواحي البعيدة ويستشفى بمائها⁽⁵⁾، • عين الحنباص: وهي عين كبيرة في مدينة ميفارقين قامت عليها العديد من القنوات لري الحقول⁽⁶⁾، وأقيمت في الجزيرة العديد من قنوات المياه وذلك لإيصال المياه للمنازل وري المزروعات ومن أبرز هذه القنوات:

• قناة ميفارقين: وقد بنيت أول قناة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حين طلب سيف

(1) الناعورة: دولا ب ذو دلاء أو نحوها يدور بدفع الماء أو جر الماشية، فيخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل، جمعه نواعير، الخطيب، مصطفى عبد الكريم.(1996م): معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، ص 419.

(2) البكري.(1983م): معجم ما استعجم، ج2، ص 623، الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج3، ص 14 .

(3) الهمذاني.(1996م): البلدان، ص163؛ ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن أبي الكرم الجزري.(د.ت): اللباب في تهذيب الأنساب، 3 أجزاء، مكتبة المثنى، بغداد، ج2، ص 369.

(4) الحميري.(1980م): الروض المعطار، ص 273.

(5) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص 306.

(6) الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق ت. 487هـ/1094م.(1959م): تاريخ الفارقي، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العلمية لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ص166.

الدولة الحمداني من رجل مسيحي يسمى ابن شليطا أن يبني قناة في مدينة ميفارقين، إذ زاد من مال الوقف الشيء الكثير، فشرع بشق قناة من عيون المياه في مدينة ميفارقين وأبرزها عين الحنباص وجعل مسارها إلى البلد من تحت مسجد رأس العين، وجاء بها إلى وسط الربض⁽¹⁾ من الجانب الشرقي، وقسمت في البلد من الجانب الشرقي، وقد صرف على هذه القناة المال الكثير وقد صممت أفضل تصميم.

وفي ولاية نصر الدولة⁽²⁾ كان في بلدة ميفارقين شيخ كبير من التجار السماسرة يدعى أبا بكر محمد ابن جرى، شرع ببناء قناة الجامع في المدينة وحفرها بعد أن ذهب إلى الأمير نصر الدولة واستأذن منه ببنائها، وقد حفرها من عين حنباص وجاء بها إلى طرف البلدة من الجانب الغربي من ثم إلى السور ودخل بها إلى منطقة بستان الفصيل، ونقب السور ودخل بها إلى بين السورين ومن بعدها إلى السور الكبير في البلدة ومن ثم إلى سوق القبة وإلى الجامع وعمل لها تسعة أنابيب وأدخل الماء إلى الحمامات وغيرها، ولم يكن لأهل ميفارقين في ذلك الوقت سوى مياه الآبار يعتمدون عليها في سقاية مزروعاتهم، وقد أنفق على هذه القناة مقدار خمسين ألف دينار⁽³⁾،

وقد أنشأ أهل الرحبة قناة تتصل بنهر سعيد الخارج من الفرات⁽⁴⁾ .

ويتضح أنه قد عمت المياه معظم أنحاء الجزيرة وقد شجعت الدول المتعددة التي قامت على أراضيها وساهمت في ظهور صناعات عديدة ومنها النسيجية ولاسيما أن القطن يحتاج إلى كميات هائلة من المياه لكي تتجح زراعته.

(1) الربض: هي الأرض التي تقع حول المدينة وهي تكون عادة مأوى للغنم والماعز، الفيروز آبادي. (2005م): القاموس المحيط، ص 642؛ نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، ص 323.

(2) نصر الدولة 367 – 453هـ / 977 – 1061م: هو أحمد بن مروان بن دوستك صاحب ديار بكر وميفارقين، تملك بعد مقتل أخيه منصور سنة 401هـ / 1010م، واستمر في الملك 51 سنة وقد كان حازماً وعادلاً، مات في مدينة ميفارقين، الذهبي. (2006م): سير أعلام النبلاء، ج13، ص 329؛ الزركلي. (2002م): الإعلام، ص 256.

(3) الفارقي (1959م): تاريخ الفارقي، ص 165، 166.

(4) أبو الفداء. (1830م): تقويم البلدان، ص 381 .

5 - المناخ في الجزيرة الفراتية:

يصف ياقوت الحموي مناخ الجزيرة بقوله: إن هواءها معتدل وأمطارها جيدة، وخيراتها كثيرة⁽¹⁾، ويقول إنه قريب من هواء الشام ومشابه للعراق وبها مناطق ترتفع بها درجة الحرارة كثيراً وبها كورة⁽²⁾ آمد باردة لقربها من الجبال، ويظهر من ذلك تشابه المناخ في إقليم الجزيرة مع مناخ الشام، أي أنه يسود فيه مناخ البحر المتوسط أما المناطق الجبلية فهي باردة كثيرة الأمطار والمواضع الحارة تتركز في المنطقة الجنوبية حيث الصحراء وعموماً فإن الجزيرة كانت تتصف بمناخ مطير معتدل الحرارة جعلها دائمة الخضرة، وقد تغنى الشعراء بجمال طبيعة الجزيرة وما تحويه من أشجار ورياض وما تتمتع به من طيب الهواء والنسيم العليل⁽³⁾، وذكروا أن الزراعة لا تعتمد على مياه الأمطار فقط، ويوصف مناخ الجزيرة بأنه مناخ قاري⁽⁴⁾ وتتفاوت فيه درجات الحرارة وتزداد الحرارة باتجاه الجنوب⁽⁵⁾.

وأن وقوع الرقة والجزيرة الفراتية عموماً على شاطئ نهر الفرات ودجلة وفي حوض نهر البليخ والخابور فضلاً عن موقعها الجغرافي المتميز جعل منها بلداً مقبول المناخ ويهب عليها النسيم من الشرق والجنوب بمياه النهرين التي تعدل من حرارتها صيفاً، وتتعرض لحرارة الشمس الدافئة في فصل الشتاء، فيغدو شتاؤها لطيفاً جداً⁽⁶⁾.

وبذلك فقد تنوعت تضاريس الجزيرة وكثرت فيها الأنهار والبساتين إلى جانب الطبيعة الجميلة التي

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 134.

(2) الكورة: الصقع، والبقة التي يجتمع فيها قرى ومحال، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 804 .

(3) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 142.

(4) المناخ القاري: هو مناخ متطرف بمعنى أنه يكون حاراً في الصيف وبارداً في الشتاء وحاراً بالنهار وبارداً في الليل وينتشر في الصحاري والمناطق الداخلية من القارات ، شرف، عبد العزيز طريح. (د.ت): الجغرافية المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ط11، الإسكندرية، ص 71.

(5) الكعبي، عبد الحكيم. (2009م): الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دار صفحات للدراسة والنشر، ط1، دمشق، ص 37.

(6) الطويل، مناور. (2010م): الرقة وشعراؤها في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ص 31.

جعلت منها مركز اهتمام الجزيرة للعديد من الدول التي تعاقبت عليها وسمحت لهم بالقيام بالعديد من النشاطات والمظاهر الحضارية المتنوعة من الاقتصاد إلى العمارة وغيرها .

6 - المدن في الجزيرة الفراتية :

كثيرة هي المراكز البشرية في الجزيرة وذلك بفضل طبيعتها التضاريسية الغنية بالثروة المائية وموقعها على طريق التجارة العالمية آنذاك وسوف تُستعرض أهمها وذلك وفق موقعها من الأقاليم الثلاثة في الجزيرة وهي ديار بكر، وديار مضر، وديار ربيعة .

أ - ديار مضر :

تبدأ هذه المنطقة من غربي الخابور وحتى بالس والرحبة أي هي البلاد التي تقع في السهل قريباً من شرقي الفرات وأبرز مدنها هي :

1 - الرقة: وما اسم الرقة العربي إلا نعت لها، فالرقة توجد في مواضع أخرى كتسمية لمكان، وهذه الرقة عرفت بالرقة السوداء ⁽¹⁾، والرقة كانت مدينة مشهورة على الفرات وهي تعد من بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ⁽²⁾، وكانت الرقة من أهم مدن ما بين النهرين الأعلى في العصر العباسي إذ كانت تسيطر على حدود الشام ⁽³⁾، وقد كانت مدينة جميلة عامرة بالناس ⁽⁴⁾، ونقل هارون الرشيد العاصمة إليها وأصبحت المدينة مركزاً تجارياً وعلمياً وثقافياً مهماً، وقد اشتهرت هذه المدينة بصناعة الصابون والزيت الذي يتمتع بالجودة الكبيرة والأقلام ⁽⁵⁾.

(1) لسترنج، كي. (1985م): بلادان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس؛ كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، ص 132.

(2) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 210؛ الغزي. (د.ت): نهر الذهب، ص 370.

(3) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 75؛ لسترنج، كي. (1985م): بلادان الخلافة الشرقية، ص 132.

(4) مؤلف مجهول. (2002م): حدود العالم، ص 177.

(5) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145، الهمداني. (1996م): تقويم البلدان، ص 181.

2 - الرافقة: من أجل الحفاظ على مدينة الرقة شرع الخليفة المنصور في سنة 155هـ / 722م ببناء مدينة الرافقة على نحو ثلاثئة ذراع⁽¹⁾ من الرقة ورتب بها جنداً من أهل خراسان، ثم إن الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصرًا سماه قصر السلام، لأنه كان يقيم في الرافقة كلما اشتد الحر في بغداد⁽²⁾، وقد كانت الرافقة تحوي دورًا لضرب العملة في العصر الحمداني⁽³⁾.

3 - حران: وهي مدينة قديمة جدًا لا يدري متى بنيت يقال بناها هران أخو إبراهيم عليه السلام وقد كانت قليلة الماء ولها رساتيق⁽⁴⁾ وعمارات وموضعها في مستوى من الأرض وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب وهي باب الرقة الجنوبي وأيضاً الشرقي يسمى بذلك ، والشمالى باب يزيد، والغربي باب الفرات، ولها في غربها بيوت وفي شمالها خالية و ليس للمدينة في نفسها بساتين ومعظم مائها من الآبار ولها قرى متصلة بها⁽⁵⁾ وأبرز صناعاتها كان عسل النحل والموازين⁽⁶⁾.

4 - الرها: مدينة عظيمة قديمة واسعة الأقطار، وكانت كثيرة الأديرة، وتتصل بأرض حران، والغالب على أهلها دين المسيحية، وبها من الكنائس ما يزيد على مئتي كنيسة ودير⁽⁷⁾، ويذكر الإصطخري أن بها زيادة على ثلاث مائة دير وصوامع كثيرة، كثيرة الرهبان ولهم بها كنيسة ليس للمسيحية أعظم منها، وكان بكنيستها

(1) الزراع: الذراع الهاشمي يساوي 24 أصبعاً أو يتراوح بين 40 و70 سنتيمتراً، عمارة، محمد. (1993م): قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، ط1، بيروت، ص 233.

(2) لسترنج، كي. (1985م): بلدان الخلافة الشرقية، ص 133.

(3) الفيصل، ناديا. (2010م): مدينة الرقة ودورها الحضاري في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ص 109.

(4) الرستاق: كلمة فارسية ومعربها: الرزداق وجمعه: الرزداقات والرزاديق وهي بمعنى القرية أو محلة العسكر، أو البلد التجاري، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 248.

(5) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 226؛ البكري. (1992م): المسالك والممالك، ج1، ص 106؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ج1، ص 191.

(6) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(7) المهلب، الحسن بن أحمد العريزي ت. 380هـ/990م. (2006م): المسالك والممالك، تح: تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، ط1، دمشق، ص 110؛ ابن الوردي. (2008م): خريدة العجائب، ج1، ص 112.

العظمى منديل المسيح⁽¹⁾، وقد اشتهرت الزها بصناعة الخمر وبالصناعات الخشبية⁽²⁾.

وتعد سروج وسميساط وتل موزن والرصافة⁽³⁾، وبامردى ورأس كيفا والسويداء وساغرماطا وحصن منصور وكيسوم ومرين⁽⁴⁾ من المراكز المميزة في ديار مضر.

ب - ديار بكر:

هي بلاد كبيرة عظيمة الاتساع تنسب إلى بكر بن وائل بن عدنان، تبدأ حدودها من غربي دجلة إلى الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة في الشمال ومنها حصن كيفا وآمد وميافارقين وما تخلل ذلك من بلاد⁽⁵⁾ وأبرز المدن فيها هي:

1 - آمد: تقع على نهر دجلة في شمال الجزيرة وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرًا وأشهرها ذكرًا وهي بلدة قديمة محصنة بالحجارة السود، وقد سميت " بآمد بن البلندي بن ملك بن دعر لأنه أول من اختطها " ⁽⁶⁾، ويوجد في وسطها عيون وآبار قريبة وفيها بساتين ونهر كبير⁽⁷⁾، وذكر ناصر خسرو أنها شيدت على صخرة واحدة مربعة الشكل طولها ألفا قدم⁽⁸⁾ وعرضها نفس طولها وهي محاطة بسور أحجاره عظيمة جدًا، تحيط به الأبراج، وتحتوي على مسجد كبير فيه مئة عمود وبجانبه كنيسة عظيمة غنية بالزخارف⁽⁹⁾، وقد

(1) الإصطخري.(2004م): المسالك والممالك، ص 76؛ ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ج1، ص 181.

(2) الحميري.(1980م): الروض المعطار، ص 273.

(3) ابن خرداذبة.(1889م): المسالك والممالك، ص 73؛ البكري.(1992م): المسالك والممالك، ج1، ص 497؛ الإدريسي.(1989م): نزهة المشتاق، ج2، ص 649.

(4) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج3، ص 212، 216، 265، 286.

(5) الحموي.(1998م): الخلل والدال بين الدور والدارات والديرية، تح: يحيى زكريا عبارة، محمد أديب حبران، منشورات وزارة الثقافة، ص 11.

(6) البكري.(1983م): معجم ما استعجم، ج1، ص 93؛ ابن شداد.(1991م): الأعلاق الخطيرة، ق3، ج1، ص 83.

(7) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 56.

(8) القدم: هو وحدة قياس تساوي 30,48 سم، نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 720، 1062.

(9) خسرو، ناصر أبو معين الدين المروزي ت.480هـ/1088م.(1983م): سفرنامه، تح: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط3، بيروت، ص 43.

اشتهرت هذه المدينة بصناعة ثياب الكتان والصوف⁽¹⁾.

2 - ميفارقين: مدينة معروفة من أرض الجزيرة، بين حدود الجزيرة وحدود أرمينيا، وهي تقع بين مدينتي أرزن وآمد وسميت بميفارقين أي مدينة الشهداء العظام، هم الشهداء المنقولين إليها الذين قتلوا من الفرس⁽²⁾، وقال الشرقي بن قطامي: ميا: اسم الاودية وفارقين: اسم امرأة بنتها فكأنهم قالوا: أودية فارقين⁽³⁾ وبعض المؤرخين يعدونها من أرمينيا، وبعضهم يعدها من بلاد الجزيرة، وهي تقع في شرقي دجلة، وبينها وبين آمد خمسة فراسخ⁽⁴⁾ وهي منيعة مسورة حصينة وليست بالكبيرة وهي كثيرة السكان⁽⁵⁾، وقد اشتهرت مدينة ميفارقين بصناعة المنسوجات الكتانية⁽⁶⁾.

3 - ماردين: وهي مدينة عظيمة تقع في سفح جبل سمي على أسمها تقع بجانب دنيسر ودارا ونصيبين وهي من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأتقنها وأحسنها سوقاً ولها قلعة شماء من مشاهير القلاع في قمة جبلها⁽⁷⁾، وقد اشتهرت هذه المدينة بصناعة المنسوجات الصوفية⁽⁸⁾.

وهناك أيضاً مدن حاني وحيزان و إسعرد وخويث و طنزة وزميل من أبرز المدن في ديار بكر⁽⁹⁾.

(1) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(2) القزويني.(د.ت): آثار البلاد، ص 565؛ ابن شداد.(1991م): الأعلاق الخطيرة، ق1، ج3، ص 260 .

(3) البكري.(1992م): المسالك والممالك، ص 215؛ ابن شداد.(1991م): الأعلاق الخطيرة، ق1، ج3، ص 265 .

(4) الفرسخ: هو مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال و الميل مقياس للطول قدر قديماً بأربعة آلاف ذراع وهو على نوعين بري وبحري فالبري يقدر بما يساوي 1609 متر والبحري يساوي 1852 متر، نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد ت.1130هـ/1717م.(2000م): دستور العلماء وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج3، ص21؛ نخبة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ص 681.

(5) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 140؛ الحميري.(1980م): الروض المعطار، ج 1، ص 567 .

(6) الإدريسي.(1989م): نزهة المشتاق، ج2، ص 826 .

(7) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ج1، ص 224؛ ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم ت. 779هـ/1378م.(د.ت): رحلة ابن بطوطة، جزأين، دار الشرق العربي، بيروت، ج1، ص 182.

(8) ابن بطوطة.(د.ت): رحلة ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ج2، ص 86 .

(9) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص 208، 331، 333، 408 .

ج - ديار ربعة :

هي بلاد عظيمة واسعة بين الموصل ورأس عين، وقد تسمى ديار بكر وربعة معاً ديار ربعة؛ لأنهم كلهم من ربعة، وديار ربعة اسم قديم لتلك البلاد .

ومن أهم مدنها:

1 - الموصل: وهي من أشهر بلدان الجزيرة وهي مدينة كبيرة هوائها عليل وترتبتها خصبة، وهي المدينة العظيمة التي كانت إحدى قواعد بلاد الإسلام، وكانت قديمة البنين ووسيلة الرقعة ⁽¹⁾ وهي محط الرحالة والتجار وأهلها أهل الخير ⁽²⁾، ولها نهر كبير وعميق وبساتينها قليلة إلا أنه تكثر فيها المزارع والرساتيق الصغيرة، وكورها كثيرة وتقع غربي دجلة ⁽³⁾، وسميت بالموصل على ما هو مشهور؛ لأن نوح عليه السلام سبر الماء هنالك وهو في السفينة فوصل المسبار الأرض وسميت أيضاً بالموصل؛ لأنها وصلت بين الجزيرة والفرات ⁽⁴⁾ وأنها وصلت بين دجلة والفرات، كما جاء لقبها بالبيضاء؛ لأن الأبيض هو اللون الغالب على منازلها ومنشآتها المعمارية المختلفة بسبب بنائها بالجص والرخام ⁽⁵⁾، وقد اشتهرت الموصل بصناعة العسل ⁽⁶⁾ والعديد من الصناعات الأخرى ومنها الجبن والفواكه المجففة ⁽⁷⁾ والسكر الأسمر ⁽⁸⁾ وثياب القطن التي

(1) الاصطخري.(2004م): المسالك والممالك، ص 73؛ التطيلي، بنيامين بن الراي النباري الإسباني ت. 569 هـ/1173م.(2002م): رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، ص 288.

(2) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج5، ص 223؛ القزويني.(د.ت): آثار البلاد، ج1، ص 426 .

(3) ابن الوردي.(2008م): خريدة العجائب، ص 112 .

(4) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ت. 538 هـ/1143م.(1999م): الجبال والأمكنة والمياه، تج: أحمد عبد التواب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 321.

(5) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ج2، ص 368.

(6) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145؛ الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج5، ص 403؛ ابن خلدون.(1988م): تاريخ ابن خلدون، ص 226 .

(7) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(8) ابن الأثير.(1997م): الكامل، ج10، ص 406 .

تتمتع بالجودة العالية ⁽¹⁾.

2- نصيبين: وهي قصبة ⁽²⁾ ديار ربيعة، وهي مدينة في مستوى من الأرض، ومخرج مائها من شعب عالية في بدايتها ثم تنخفض وتصبح مستوية في بساتينها ومزارعها وتدخل إلى الكثير من دورها وبالقرب منها جبل ماردين، وهي قديمة وعظيمة جدًا وكثيرة الأنهار والجنان والبساتين وبها نهر الهرماس العظيم ⁽³⁾، وقد اشتهرت نصيبين بصناعة الفواكه المجففة ⁽⁴⁾ وقد صنعت بها أيضاً المحابر ⁽⁵⁾.

3 - قرقيسيا: وهي كورة من كور ديار ربيعة بين الحيرة والشام وتقع في الجانب الشرقي من الفرات ⁽⁶⁾، وهي في القسم الأسفل من نهر الخابور أي في القسم الجنوبي من الجزيرة الفراتية وهي أقدم مدن الخابور ومن أهمها بالنظر إلى تميز موقعها ولكونها ميناء على نهري الفرات والخابور، وكانت محطة للقوافل بين العراق والرقّة ورأس العين وبادية الشام ⁽⁷⁾.

4 - كفرتوثا: من كور نصيبين من ديار ربيعة ولها حصن قديم وهي مدينة سورها مبني من اللبن وبها نهر خارج عن المدينة وآبار عذبة ⁽⁸⁾ وتنتشر فيها الصناعات القطنية وذلك لغناها الكبير بنبات القطن ⁽⁹⁾.

5 - رأس العين: تسمى أيضاً بمدينة عين وردة، وهي أول مدن ديار ربيعة من جهة ديار مضر بجانب

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص 327؛ العمري. (1955م): منية الأدباء، ص 67.

(2) القصبة: قصبة البلاد: أي مدينتها، وقصبة القرية هي وسطها، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري ت. 711هـ/1311م. (1993م): لسان العرب، 15 جزء، دار صادر، ط3، بيروت، ج1، ص 676.

(3) المهلب. (2006م): المسالك والممالك، ص 112؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ج1، ص 577.

(4) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 75.

(5) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(6) الحميري. (1980م): الروض المعطار، ج1، ص 455.

(7) عياش، عبد القادر. (1989م): حضارة وادي الفرات، دار الأهالي، ط1، دمشق، ص 188.

(8) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 221؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ج1، ص 499.

(9) الاصطخري. (1980م): المسالك والممالك، ص 53.

مدينة حران⁽¹⁾، وقد اشتهرت هذه المدينة بالصناعات الحديدية⁽²⁾.

6 - دارا: هي مدينة رومية، وهي كبيرة جداً ولها قلعة حصينة، بينها وبين نصيبين مسافة بسيطة وهي تجاور أيضاً مدينة ماردين⁽³⁾.

ثانياً: دراسة عن الأوضاع السياسية والإدارية في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي :

يطلق اسم العصر العباسي على الحقبة الزمنية التي تمتد من 132 - 656 هـ / 750 - 1258 م ، وينتسب العباسيون مؤسسو هذه الخلافة والقائمون بأمرها إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

حكم الخلفاء العباسيون في العراق زهاء خمسة قرون حتى سقطت العاصمة العباسية بيد المغول⁽⁴⁾، وقسم زمن الخلافة العباسية إلى أربعة عصور وذلك وفق القوة المهيمنة على الحكم ووضع الخلافة العباسية وهي :

- العصر الأول وهو عصر القوة والتوسع والازدهار 132 - 232 هـ / 750 - 847 م إذ كانت السلطة الفعلية بيد الخلفاء .

- العصر الثاني وهو عصر النفوذ التركي 232 - 334 هـ / 847 - 946 م .

- العصر الثالث هو عصر النفوذ البويهى الفارسي 334 - 447 هـ / 946 - 1055 م .

- العصر الرابع وهو عصر النفوذ السلجوقي التركي 447 - 656 هـ / 1055 - 1258 م .

(1) المهلبى.(2006م): المسالك والممالك، ص 111.

(2) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 222 .

(3) ابن خرداذبة.(1889م): المسالك والممالك، ص95؛ الحميري.(1980م): الروض المعطار، ج1، ص 230 .

(4) بيطار، أمينة.(2008م): تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، سورية، ص 48.

1 - العصر العباسي الأول 132 - 232 هـ / 750 - 847 م: وقد كان الاهتمام بالجزيرة الفراتية

في العصر العباسي الأول كبيراً فقد وجه المنصور 137-158هـ/754-775م عنايته إلى تحصين المناطق الحدودية المتاخمة لبلاد البيزنطيين فقام ببناء حصن مرعش والمصيصة ثم حصن أهم ثغور الجزيرة وهي مدينة ملطية وأسكن فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة؛ لأنها من ثغورهم وأمدتهم بالسلاح الكافي وأقطع بعض الجند المزارع لكي يهتموا بها⁽¹⁾، وقد قام أيضاً ببناء مدينة الرافقة في سنة 155 هـ / 772 م على طراز مدينة بغداد، ووضع فيها الجند من أهل خراسان⁽²⁾، وذلك لتكون مركزه العسكري في غزواته الشمالية، وقام الرشيد 170-193هـ/787-809 م بإنشاء مناطق على الحدود داخل وحدات إدارية تتمتع بحرية ذاتية في تسيير شؤونها حيث وضع لمنطقة الحدود نظامين نظام أمامي ويضم ثغور الجزيرة ونظام خلفي يضم الأقاليم الخلفية وسماها العواصم وتمتد من أنطاكية إلى الفرات وكانت منبع عاصمة العواصم⁽³⁾، وقد قامت في الجزيرة في العصر العباسي الأول العديد من الحركات الاستقلالية ضد العباسيين، كان من أبرزها حركة نصر بن شبيب العقيلي 198 - 210 هـ / 813 - 824 م وهو عربي من بني عقيل كان متعصباً للأميين خرج في أواخر عام 198 هـ / 813 م من منطقة كيسوم شمالي حلب وسيطر على البلاد المجاورة وملك سميساط وأرسل الخليفة المأمون 198-218هـ/814-833م عبدالله بن طاهر بن الحسين وضيق عليه الخناق واضطره للصالح، واستمرت الاضطرابات في الجزيرة لاسيما بعد أن أسقط العباسيون أسماء العرب من ديوان الجيش وخرج الخوارج يدعون الناس إلى الانفصال عن الدولة العباسية وأكثرهم بنو شيبان من بني ربيعة وقام الخليفة المعتضد 279-281هـ/892-902م بالقضاء عليهم وفي سنة 281 هـ / 894 م سار يريد الاستيلاء على قلعة ماردين من يدي حمدان بن حمدون وهو جد الأسرة الحمدانية وظفر بها⁽⁴⁾ وظهر

(1) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق ت. 292هـ/ 904 م. (2001م): البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص 24؛ ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج5، ص 84، ابن العديم. (د.ت): بغية الطلب، ج1، ص 258.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ت. 774هـ/1372م. (1986م): البداية والنهاية، 15 جزء، دار الفكر، دمشق، ج10، ص 113.

(3) المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ت. 845هـ/1442م. (1997م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تج: محمد عبد القادر عطا، 8 أجزاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج1، ص 118.

(4) ابن العبري. (1992م): تاريخ مختصر الدول، ص 150.

أيضاً هارون الشاري 283 هـ / 896 م ثائراً في الجزيرة إذ جمع قوات كبيرة واستفحلت حركته فقام المعتضد بإرسال الحسين بن حمدان للقضاء عليه ⁽¹⁾ وحرر والده وكانت بداية ظهور الأسرة الحمدانية ⁽²⁾.

وكان اهتمام العباسيين بالجزيرة الفراتية كبيراً وذلك لمتاخمتها منطقة الثغور البيزنطية وقد بدأ هذا الاهتمام مع بداية الخلافة العباسية فقد وضع الخلفاء ولاية أكفاء على الجزيرة كانت البداية مع الخليفة أبو العباس الذي وضع أبا جعفر المنصور والياً على الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان، واهتم المنصور عند توليه الخلافة أيضاً باختيار عماله ووضع العباس بن محمد والياً على الجزيرة، أما الرشيد فسلمها إلى ابنه القاسم ولقبه المؤتمن وكانت ولايته تشمل الجزيرة والثغور والعواصم ⁽³⁾.

وقد كانت أقاليم الجزيرة الثلاث ديار ربيعة ومضر وبكر تحكم من والٍ واحد منذ صدر الإسلام وفي بعض الظروف السياسية قد يحصل انفصال أحد الديارات عن الأخرى إذ كانت مدن ديار بكر وهي آمد وميافارقين وأرزن وماردين ولاية واحدة ولاسيما آمد وميافارقين وقد حكمها منذ عهد المنصور وحتى عهد المهدي 255 هـ / 868 م ثمان وثلاثون والياً، أولهم موسى بن كعب وآخرهم أبو موسى عيسى ابن الشيخ بن السليل 269 هـ / 882 م، وقد سيطر الوالي عيسى بن الشيخ بالقوة على حكم آمد وميافارقين في عهد الخليفة المهدي ووضع ابنه محمد والياً على آمد وابنه أحمد والياً على ميافارقين وأصبح بعدها محمد ابن أحمد والياً على ديار بكر جميعها في سنة 285 هـ / 898 م، وتوجه الخليفة المعتضد في السنة نفسها إلى هاتين المدينتين واقطعهما مع ديار ربيعة جميعها لابنه المكتفي 289 - 295 هـ / 901 - 907 م وتولى بعده الفضل بن عمران ⁽⁴⁾، أما مدن نصيبين ورأس العين وسنجار فقد كانت تابعة لمن يتولى حكم ديار ربيعة.

(1) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت. 748 هـ/1347 م. (1993م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، 52 جزء، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، ج21، ص 11.

(2) طقوش، محمد سهيل. (2009م): تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط 7، بيروت، ص 32.

(3) الدوري، عبد العزيز. (2009م): العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، ص 107، 117، 182.

(4) ابن شداد. (1991م): الأعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص 287، 291، 294، 295.

2 - الدولة الحمدانية 293 - 394 هـ / 905 - 1003 م:

الدولة الحمدانية من أوائل الدول العربية المنفصلة عن الخلافة العباسية وذلك نتيجة بداية ضعفها وقد أصبح لها مكانة مرموقة ثقافياً وتحملت عبئاً كبيراً في الدفاع عن الخلافة العباسية ضد هجمات الروم ولم تتمتع باستقرار كبير وذلك نتيجة للحروب الكثيرة ولم تكسب حب شعبها كثيراً وذلك بسبب الخراج والضرائب الكبيرة التي كانت تجمعها من أجل الحروب.

كانت بداية دولة الحمدانيين في سنة 293هـ / 905م حين ولى الخليفة المكتفي بالله 289-295هـ / 902-908م على الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي فأمن البلاد واستقامت له (1).

وعند استلام الحسن بن أبي الهيجاء أعمال والده سعى حثيثاً إلى تكوين إمارة خاصة به في الجزيرة الفراتية حاضرتها الموصل (2) واستبد بالسلطة واستأثر بمقاليد الحكم ووقف الخليفة الراضي عاجزاً عن التصدي له والقضاء عليه، وفي سنة 330هـ / 941م قام ابن حمدان بقتل ابن رائق (3) فرد عليه الخليفة المتقي 329-333هـ / 940-944م ردّاً جميلاً وجعله أمير الأمراء ولقبه ناصر الدولة ولقب أخاه الحسين بسيف الدولة، وعند سيطرة البويهيين على مسرح الأحداث في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ومشاركتهم الخلافة العباسية في الحكم كانوا على خلاف مع الحمدانيين؛ وذلك بسبب محاولاتهم السيطرة على بغداد فاستولى البويهيين على الموصل ، ولكن تمكن سيف الدولة فيما بعد من عقد صلح مع معز الدولة في سنة

(1) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج6، ص547.

(2) ابن شداد. (1991م): الأعلام الخطيرة، ج3، ق1، ص 117؛ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد ت. 580 هـ / 1184م. (2001م) : الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة، ص 161.

(3) ابن رائق 330 / 942م: هو محمد بن رائق أبو بكر كان أبوه من مماليك الخليفة المعتضد وولي محمد شرطة بغداد في عهد الخليفة المقتدر ثم إمارة واسط والبصرة، وأصبح أمير الأمراء والخراج في عهد الخليفة الراضي وأمر أن يخطب له على المنابر، ثم قلده طريق الفرات وديار مصر وقد استنجد الخليفة المتقي بناصر الدولة الحمداني للقضاء عليه، الزركلي. (2002م): الأعلام، ص 123.

347هـ/ 958م واستعادة الموصل من البويهيين⁽¹⁾، وكانت نهاية الدولة الحمدانية في الموصل على يد الدولة العقيلية في عام 386 هـ/ 996 م⁽²⁾.

ومن حيث الإدارة في الدولة الحمدانية فقد أناب الحمدانيون عنهم ولاية لإدارة ولاياتهم فقد اعتمد ناصر الدولة على الوزراء لمساعدته في إدارة الجزيرة؛ وذلك بسبب قضائه معظم وقته في المعارك، وكان الأمير الحمداني يضطلع بكثير من الأعمال ومن أهمها ضبط الثغور والجبايات وجباية الأموال وتوطيد الأمن وإخضاع القبائل المتمردة، وعين عمالاً للخراج⁽³⁾ والأعشار⁽⁴⁾ ولجمع الصدقات والجزية⁽⁵⁾ وكان هنالك دارٌ للطراز التي تعد الخلع والملابس التي يحتاجها الأمراء⁽⁶⁾، وكانت الإدارة الحمدانية صورة مصغرة للإدارة في بغداد فكان هنالك دواوين وهيئات للإشراف على نواحي حكم الدولة وإدارتها المختلفة.

عموماً لم تستطع الدولة الحمدانية الصمود طويلاً أمام هجمات الطامعين بها ولم تتوفق كثيراً في إدارتها للدولة وذلك بسبب الضرائب الكبيرة التي فرضتها على شعبها وأيضاً استبدالها للفواكه والثمار بالمحاصيل الصناعية كالحبوب والقطن ولكن مع ذلك ينسب لها الفضل الكبير في شهرة الجزيرة فيما بعد ولاسيما الموصل بنسيج الحرير الموسلين أو الشاش والصناعات التي قامت على الحبوب.

(1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت. 310هـ/ 923م. (د.ت): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، 11 جزء، دار سويدان، بيروت، ج11، ص 364.

(2) القوسي، عطية. (1992م): تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة، ص 24.

(3) الخراج: مقدار معين من المال أو الحاصلات يؤخذ على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة شريطة أن يعدل الخليفة على تقسيمها بين المحاربين ووقفها على مصالح المسلمين بعد أن يجري تعويض الجند عن نصيبهم، الروضان، عبد عون. (2007م): موسوعة تاريخ العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، عمان، ج1، ص 234 .

(4) العشور: وهي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض تجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام، وأيضاً هناك ضريبة عشور على الأراضي الزراعية، الرئيس، محمد ضياء الدين. (1969م): الخراج والنظم المالية في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، مصر، ص 138 .

(5) الجزية: هي مبلغ معين من المال فرض على أهل الذمة وقد كانت تسقط ضريبة الجزية باعتراف الإسلام، حسن، حسن الحاج. (1987م): النظم الإسلامية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1987 م، ص 269 .

(6) السامر، فيصل. (1970م): الدولة الحمدانية في الموصل والجزيرة، جزأين، مطبعة الإيمان، ط1، بغداد، ج1، ص 315.

3- الإمارة المروانية 372 - 478 هـ / 982 - 1085 م:

سكن المروانيون شمال الموصل وهم من أصل كردي، إذ استغل باذ وهو أحد زعماء بني مروان ضعف الدولة الحمدانية في عام 372هـ/ 982 م وأقام لنفسه إمارة في ديار بكر واستولى على آمد وميافارقين وسيطر أيضاً على الموصل ونصيبين وقتل في أثناء الصراع مع بقايا الحمدانيين والعقيليين، وخلفه الحسن بن مروان الذي ظل في الحكم حتى عام 387هـ / 997م وفي عهده توطد حكم المروانيين في ديار بكر وخلفه أخوه سعيد، وحكم حتى قتل في عام 402 هـ / 1011 م، وخلفه أخوه نصر الدولة⁽¹⁾ واستطاع أن يرفع من مكانة الإمارة وكانت آمد وميافارقين وحصن كيفا أشهر مدن الإمارة وتعد وفاته في عام 453هـ / 1061م بداية النهاية لحكم هذه الأسرة وتمكن السلاجقة من القضاء عليهم في عام 478 هـ / 1085 م⁽²⁾.

وقد عاشت الدولة المروانية مراحل سلم كبيرة بسبب قلة الحروب التي حصلت على أرضها وسياسة السلم التي اتبعتها مع الدول الباقية ولاسيما في عهد نصر الدولة الذي وصلت شهرة الدولة في عهده إلى البلدان المجاورة كافة إذ قام ببناء القصور والمساجد والمدن والقنوات والجسور والتحصينات الدفاعية واهتم بالشعراء وقربهم منه، وهذه الأمور دفعت الصناع والمهرة للانتقال للجزيرة فكثر بها الصناعات المختلفة.

4 - الدولة المرداسية (414 - 472 هـ / 1023 - 1079 م) :

المرداسيون هم فرع من بني كلاب، وبنو كلاب بطن من عامر بن بكر بن هوزان من عرب الشمال، كانت مساكنهم في الجاهلية بجوار يثرب، ثم انتقلوا بعد الإسلام إلى اليمامة حيث أسسوا دولة فيها، ومن اليمامة انتقلوا إلى الجزيرة الفراتية فاستقروا هناك، ونجح المرداسيون في بداية أمرهم في تأسيس دولتهم في حلب على يد زعيمهم صالح بن مرداس الذي نجح بسبب مساعدته للفاطميين أيام حكم الخليفة الحاكم بأمر

(1) الحنبلي.(1986م): شذرات الذهب، ج5، ص 225.

(2) طقوش، محمد سهيل.(2009م) : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط3،بيروت، ص 61.

الله 386 هـ / 996 م وأخذ مدينة الرحبة منحة من الخليفة الفاطمي (1).

وسيطر بنو كلاب في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي على شمالي الشام بعد أن ضعف الحمدانيون وأخذ نفوذهم في الزوال ودولتهم في الانحدار؛ ولذلك استطاع صالح بن مرداس حين سقطت الدولة الحمدانية أن يعلن قيام الدولة المرداسية على انقاضها، من أبرز حكامها كان صالح ابن مرداس الكلابي 415 - 430 هـ / 1040 - 1029 م ومعز الدولة 429 - 448 هـ / 1038 - 1052 م (2).

وبعد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي شهدت الحقبة ذروة النشاط والقوة للمرداسيين وفي الوقت نفسه انهيارهم المفاجئ نتيجة لهجرة التركمان، الذين بدؤوا بعد وفاة ثمال بالانسحاق في بلاد الشام، وتمكنوا من تدميرها، وكانت نهاية الدولة عندما أخذ شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي مدينة حلب في سنة 472 هـ / 1079 م.

5 - الدولة العقيلية (3) في الموصل 386 - 489 هـ / 996 - 1095 م .

أسسها أبو الذواد محمد بن المسيب العقيلي وخلفه أخوه حسام الدولة المقلد بن المسيب، سيطروا على الموصل والأنبار والمدائن والكوفة، ودعوا للخليفة العباسي القادر بالله العباسي 381-422 هـ / 991-1031 م على المنابر، استمروا إلى أن قضى عليهم السلاجقة عام 489 هـ / 1095 م.

وأبرز حكام الدولة هم حسام الدولة المقلد بن المسيب 386 - 391 هـ / 996 - 1000 م - معتمد الدولة قرواش ابن المقلد 391 - 442 هـ / 1000 - 1050 م - شرف الدولة مسلم بن قرواش 453 -

(1) ابن الأثير. (1997): **الكامل**، ج7، ص561؛ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة العقيلي. (1996م): **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص 129.

(2) ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت. 555 هـ / 1160 م. (1983م): **تاريخ دمشق**، تج: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق، ص 150.

(3) يعود نسب بني عقيل إلى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، السمعاني، أبو سعيد التميمي المروزي ت . 562 هـ / 1166 م. (1912م): **الإنساب**، مطبعة ليدن، لندن، ص 365.

478 هـ / 1061 - 1085 م⁽¹⁾.

وقد كان لبني عقيل نفوذ على نصيبين فقد وَلِي نصيبين الأمير بدران بن المقلد وأولاده من بعده، كما استولى سالم بن مالك بن بدران العقيلي على قلعة حلب ودافع عنها بعد أن حاصرها تتش بن ألب أرسلان السلجوقي في سنة 472هـ/1079م، ومن أمراء بني عقيل في حديثة عانة على نهر الفرات محي الدين أبو الحارث مهارش بن المقلد الأكبر الذي حكمها حتى وفاته سنة 528 هـ / 1133 م، وخلفه ابنه غلام بن سليمان بن مهارش واستمر في الحكم والإمارة حتى عزله عماد الدين زنكي سنة 536 هـ / 1141م⁽²⁾.

أما تكريت فكان يليها من العقيليين أبو المسيب رافع بن الحسين بن المقلد جد العقيليين وظلت تحت حكمهم حتى استولى عليها السلطان السلجوقي طغرل بك سنة 450 هـ / 1058 م⁽³⁾.

وقد كانت العلاقات العباسية العقيلية جيدة إذ كان خلفاء بني العباس يحترمون أمراء بني عقيل ويقدرتهم وقد خلع الخليفة العباسي القادر بالله العباسي 381-422هـ/991-1031م على المقلد العقيلي ولقبه حسام الدولة وأغدقوا عليهم العطاء⁽⁴⁾، وقد دخل العقيليين في طاعة الفاطميين إذ أقيمت الخطبة للخليفة الفاطمي العزيز سنة 382هـ/ في الموصل على يد أميرها أبي الدرداء محمد بن المسيب العقيلي⁽⁵⁾.

(1) العسيري، أحمد معمور. (1996م): موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1، الرياض، ج 1، ص 236.

(2) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ت. 732هـ/1331م. (د.ت): المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء، المطبعة الحسينية المصرية، ط 1، القاهرة، ج 2، ص 171؛ المعاصيدي، خاشع. (1968م): دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، ط 1، بغداد، ص 79.

(3) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 7، ص 736.

(4) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت. 421هـ/1030م. (1989م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، نج: سيد كسروي حسن، 8 أجزاء، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط 1، ج 7، ص 346؛ المعاصيدي. (1968م): دولة بني عقيل، ص 79.

(5) أبو المحاسن، جمال الدين يوسف ت. 874هـ/1469م. (1934م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط 1، القاهرة، 1934م، ج 4، ص 224.

وكان اختيار الأمير أو الحاكم في دولة بني عقيل متأثراً بالنظام القبلي؛ ففوة الشخصية وحسن تدبير الأمور والشجاعة، كانت من بين الشروط التي كانت أساساً في اختيار الأمراء العقيليين واستقرارهم في الحكم وكانت إمارة بني عقيل إمارة استيلاء⁽¹⁾، إذ اتخذ أمراء بني عقيل نواباً لهم في أعمالهم، يعهدون إليهم إدارة أعمال الدولة وكان أغلب هؤلاء النواب من خاصة الأمراء أو أقربائهم، واتخذ أمراء بني عقيل وزراء لهم وكانت الوزارة عند العقيليين وزارة تنفيذ⁽²⁾ إذ إن الأمير العقيلي هو الحاكم الحقيقي وبيده السيطرة المباشرة على الأمور جميعها في دولته⁽³⁾.

وفي النهاية فإن دولة بني عقيل شأنها شأن الدولة الحمدانية لم تنعم بالاستقرار السياسي والرخاء وذلك بسبب عدم قدرتها عن الانفصال الكلي عن الدولة العباسية إذ كانت تقدم لها أموالاً كثيرة أثقلت كاهل الدولة العقيلية وأيضاً عدم قدرة الدولة على الصمود أمام هجمات السلاجقة والبويهيين فضلاً عن العصبية القبلية التي سادت بها والخلافات بين أمرائها.

6- الأراتقة في الجزيرة الفراتية 465 - 812 هـ / 1072 - 1409 م:

استقل الأراتقة في ديار بكر وماردين وينسبون إلى مؤسسهم أرتق ابن أكسب الملقب بظهير الدين، وهو من قبيلة القر إحدى العشائر الكبيرة التي تنتمي إلى الغز التركمان وقد شاركت هذه القبيلة في بناء كيان الدولة السلجوقية، ثم أتيح لها أن تؤسس دولة في جهات ديار بكر وماردين وحصن كيفا وميفارقين ومنبج

(1) إمارة الإستيلاء: وهي أن يستولي أحد الأمراء قسراً على ولاية من الولايات، ويضطر الخليفة إلى إقراره عليها بعد ذلك ويفوض إليه تدبير أمورها وسياساتها، أيوب، إبراهيم. (1989م): التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، ط1، بيروت، ص 219.

(2) قسمت الوزارة في العصر العباسي إلى وزارة تنفيذ: حيث يقتصر النظر فيها على ما يراه الخليفة ويكون الوزير فيها واسطة بين الخليفة والناس، يمضي ما يأمره به الخليفة من تعيين الولاة وتجهيز الجيوش وقيادتها، ووزارة تفويض: فيعين الخليفة فيها رجلاً يفوض إليه تدبير الأمور، فيتولى الوزير كل شيء وبسلطات واسعة ويفوض في أمور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع إلى الخليفة، السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت. 911هـ/1505م. (1968م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تخ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، ج2 ص 121.

(3) المعاصيدي. (1968م): دولة بني عقيل، ص156، 157، 158.

وخرتبرت (حصن زياد) وامتد سلطانها في بعض الأزمنة إلى حلب ⁽¹⁾ وانقسمت إلى ثلاث دول : أرانقة كيفا وآمد وأرانقة خرتبرت وماردين ، وأبرز أمراء الأرانقة في كل إمارة: في إمارة كيفا و آمد: قره أرسلان ابن داود فخر الدين 543 - 570 هـ / 1148 - 1174م، وفي إمارة ماردين: أرتق أرسلان إيلغازي ناصر الدين منصور 597 - 637 هـ / 1200 - 1239م، في إمارة خرتبرت: بلك ابن قره أرسلان أبو بكر عماد الدولة 581 - 600 هـ / 1185 - 1203م ⁽²⁾.

وكانت نهاية أول فرع للأرانقة في الجزيرة على يد الملك الكامل الأيوبي في عام 629 هـ / 1232م إذ حاصر في البداية مدينة آمد ونصب حولها المجانيق وهذا دفع أهلها إلى طلب الأمان وتسليمها له وقد تمكن بعدها من الاستيلاء على جميع الحصون ومنها حصن كيفا، وكانت نهاية الفرع الثاني لدولة الأرانقة في الجزيرة في عام 812 هـ / 1409 م على يد التركمان وزعيمهم قرا يوسف أمير دولة الخروف الأسود (قراقونيلو) ⁽³⁾ وقد كانت تشمل آنذاك أذربيجان وإربل والموصل وسنجار وبعض مناطق من العراق، إذ عزم قرا يوسف على التوجه إلى ديار بكر لضمها، فتوجه إلى ماردين وحاصرها وكان عليها الملك الصالح شهاب الدين أحمد ابن إسكندر وجرت مفاوضات بين الطرفين تنازل على إثرها الملك الصالح عن ماردين على أن يخطب ابنة قرا يوسف ويمنحه قرا يوسف الموصل وأن يدفعه له عشرة آلاف دينار وألف فرس وعشرة آلاف رأس غنم ووافق الملك الصالح على هذه الشروط، وبعد أربعين يوماً من دخول الصالح الموصل أسقي سمًا ومات وبذلك قضى على آخر نفوذ سياسي للأرانقة وغدت إمارة ماردين ضمن دولة الخروف الأسود ⁽⁴⁾.

(1) الغزي.(د.ت): نهر الذهب، ج3، ص 14؛ كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد ت. 1372 هـ / 1953م.(1983م): خطط الشام، 6 أجزاء، مكتبة النوري، ط3، دمشق، ج1، ص246.

(2) ابن منقذ، أبو المظفر مجد الدين أسامة بن نصر الكنتاني ت. 584 هـ / 1188م.(د.ت): الاعتبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 83؛ الحنبلي.(1986م): شذرات الذهب، ج6، ص 440؛ العسيري.(1996م): موجز التاريخ الإسلامي، ص 250.

(3) قراقونيلو: لقد تراوحت التسمية في المصادر بين الخروف أو النعجة السوداء أو الغنمة وذلك لأنهم اتخذوا الخروف شعاراً لهم وقراقونيلو (قبيلة الشاة السوداء kara-quyunlu) وقرا بمعنى الأسود، وقونيلو بمعنى الشاة، وهي قبيلة تركمانية شيعية قامت بقيادة قائدها قرا يوسف بالاستيلاء سنة 813 هـ / 1410م على العراق وأذربيجان وغربي إيران، وبقي حكمهم فيها حتى ظهر قائد تركماني آخر طموح هو الشاه إسماعيل الصفوي ويستولي على إيران ويؤسس الدولة الصفوية، تركماني، أسامة أحمد.(2007م): تاريخ الأتراك والتركمان، دار الإرشاد للنشر، حمص، ص230.

(4) خليل، عماد الدين.(1980م): الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 392 .

7- الدولة الزنكية في الجزيرة الفراتية :

أتابكية الموصل 521 - 577 هـ / 1127 - 1181 م : كانت بداية الدولة الزنكية في الجزيرة مع قيام السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه 498-525هـ/1105-1131م بتولية عماد الدين زنكي إمارة الموصل في عام 521 هـ / 1127م ، وقام عماد الدين زنكي بعدها بإنشاء نيابة الموصل ⁽¹⁾.

وقام عماد الدين بضم جزيرة ابن عمر 521 هـ / 1127م ⁽²⁾ حيث جرت مناقشات بين آق سنقر الذي حكم بين 515 - 520 هـ / 1121 - 1126 م وقوات عماد الدين وانهزمت جماعة البرسقي وسلموه المدينة ⁽³⁾.

وبعد أن ضم عماد الدين زنكي حلب توجه في عام 522هـ / 1128 م إلى سنجار وحاصرها واضطر سكانها إلى مصالحته، فدخلها وأرسل قسمًا من جيشه إلى الخابور وضمها هي الأخرى، وكذلك قام بضم حران التي كانت تابعة لعز الدين مسعود البرسقي، إذ تعرضت بعد وفاته إلى تهديدات الصليبيين الذين كانوا قد استولوا على بعض المواقع القريبة منها كالرها وسروج، فاستدعوا عماد الدين زنكي في عام 523 هـ / 1129 م، للدفاع عنها معلنين طاعتهم له ⁽⁴⁾.

وعندما مرَّ عماد الدين زنكي بالركة في عام 529 هـ / 1135 م وهو في طريقه إلى دمشق رأى أن يضمها إلى أملاكه فانتهاز هذه الفرصة ونفذ خدعة ذكية فأعلن رغبته بالاستحمام في حمام البلد ⁽⁵⁾، فقام حاجبه الباغسياني بتدبير هذا الأمر واتفق مع مسيب بن مالك صاحب الرقة الذي لم يشك في نوايا عماد الدين زنكي ورجاله، على السماح للجيش بدخول المدينة، وعندما أصبح آخر جندي داخل السور أمر عماد

(1) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص 6، ابن العبري. (1992م): تاريخ مختصر الدول، ص203.

(2) أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي ت. 665هـ / 1267م. (1997م): عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق، 5 أجزاء، دار الرسالة، ط1، بيروت، ج1، ص 118.

(3) الصلابي، علي محمد. (2007م): السلطان عماد الدين زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ص 77.

(4) طقوش، محمد سهيل. (2010م): تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس للطباعة والنشر، ط 2، بيروت، ص 102.

(5) ابن العديم. (1996م): زبدة الحلب، ص 113.

الدين زنكي قواته بالاستيلاء على المدينة، فأبعد المسيب وأقطعها لأحد أمرائه⁽¹⁾، وفي سنة 536 هـ/ 1141م ملك مدينة الحديثة ونقل من كان فيها من آل مهراش إلى الموصل ورتب أصحابه فيها، وخطب لعماد الدين زنكي في مدينة آمد وصار صاحبها تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق في طاعته⁽²⁾.

وتمكن نور الدين من ضم سنجار وذلك بعدما ملك قطب الدين مودود الموصل، وكان أخوه الأكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة، فكاتبه جماعة من الأمراء من سنجار وطلبوه، و فيمن كاتبه المقدم عبد الملك والد شمس الدين محمد فأرسل إليه يستدعيه ليستلم سنجار فسار مع أربعين فارسًا من أمراء دولته فوصلها وأرسل إلى المقدم يعلمه بوصوله وسلمها إليه فدخلها نور الدين محمود، فلما سمع أتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك، جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجار وترددت الرسل بينهم فأشار عليهم جمال الدين بعدم مقاتلة نور الدين وأشار بالصلح، وسار نور الدين إلى ذلك أيضًا فاصطلح وسلم سنجار إلى أخيه قطب الدين، وسلم مدينة الرحبة بأرض الشام إليه وذلك سنة 544 هـ / 1149 م⁽³⁾.

وقد ضم حران والرقعة حين كانت حران تابعة للأخ الأصغر لنور الدين نصرة الدين أمير أميران وقد كانت العلاقات ودية بين نور الدين وأخيه؛ أوصى نور الدين عندما مرض في سنة 552 هـ/ 1157 م أن يكون أخوه نصرة الدين خليفته لكنه تطلع إلى السيطرة على حلب بسبب غناها التجاري وحصل على دعم الشيعة الإسماعيلية وسيطر على المدينة وعندما شفي نور الدين قصد حران فهرب نصرة الدين وترك أولاده في القلعة في حران فتسلمها نور الدين وأخرجهم منها، وسلمها إلى زين الدين علي كوجك، نائب أخيه قطب الدين، ثم سار بعدها إلى الرقعة وكان بها أولاد أميرك الجاندار وكان قد مات أبوهم، فطلب بعض أمراء نور الدين أن يشفع عنهم فرفض وأخذها منهم⁽⁴⁾.

(1) الصلابي، علي محمد. (2007م): الدولة الزنكية، دار المعرفة، ط1، بيروت، ص 93.

(2) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص 324؛ الصلابي. (2007م): عماد الدين زنكي، ص50.

(3) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص 361؛ ابن العبري. (1992م): تاريخ مختصر الدول، ص207.

(4) ابن العديم. (1996م): زبدة الحلب، ص341.

وقد حاول الأمير غازي بن حسان العصيان والاستقلال بمدينة منبج فسير إليه نور الدين عسكره وأخذوا منه منبج، ثم أقطع هذه المدينة لقطب الدين ينال بن حسان وبقي فيها حتى أخذها منه صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 572 هـ / 1167 م⁽¹⁾، أما بالنسبة إلى الموصل فبعد وفاة قطب الدين مودود عام 565 هـ/1170 م، قام نائب قطب الدين وهو فخر الدين عبد المسيح بأخذ العهد إلى سيف الدين غازي الثاني⁽²⁾، وأضحى فخر الدين المسيح المتصرف بأمور البلاد ورفض نور الدين محمود ذلك، وتوجه إلى الرقة فأذعن نائبها له وسلمه إياها ومن ثم انتزع الخابور كله وأخذ نصيبين وانضم إليه صاحب حصن كيفا نور الدين محمد بن قرا أرسلان ثم توجه إلى سنجار وسقطت بيده وتابع زحفه باتجاه الموصل وأرسل إلى ابن أخيه سيف الدين غازي الثاني يوضح له أن سبب حملته حفظ المدينة، واضطر عبد المسيح أخيراً إلى قبول الصلح وأقر نور الدين أخيه سيف الدين غازي الثاني على الموصل وجزيرة ابن عمر وانتزع حران ونصيبين والخابور من إمارة الموصل وأقطعها لأمرء عسكره ثم عاد إلى بلاد الشام⁽³⁾.

وكانت نهاية الدولة الزنكية في الجزيرة عندما توفي الملك الصالح إسماعيل في عام 577 هـ/1181 م إذ كان قد أوصى قبل وفاته بتسليم مدينة حلب إلى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود أمير الموصل⁽⁴⁾ وبوفاة الملك الصالح إسماعيل انتهى عصر الدولة الزنكية التي أسسها نور الدين محمود في بلاد الشام⁽⁵⁾.

وقد كانت التنظيمات الإدارية في الدولة الزنكية تدار من مجموعة من الموظفين منحوا نوعاً من الاستقلال الذاتي، ولكن تحت إشراف الأتابك⁽⁶⁾، وكان هؤلاء يعملون في أربعة مجالات رئيسية : - محافظة

(1) ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الموصل ت. 632 هـ/ 1234 م. (1994م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي ط2، القاهرة، ص 339.

(2) الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد أبو عبدالله ت. 597 هـ/ 1200 م. (1987م): البرق الشامي، تح: فالح حسين الناشر، 5 أجزاء، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط1، عمان، 1987 م، ج1، ص 94.

(3) الصلابي، علي محمد. (2007م): القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة إقرأ، ط1، القاهرة، ص 257.

(4) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص 454؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المعري الكندي ت. 749 هـ/ 1348 م. (1996م): تاريخ ابن الوردي، جزأين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج2، ص 89.

(5) ابن شداد. (1994م): النوادر السلطانية، ص 360؛ طقوش. (2010م): تاريخ الزنكيين، ص 436.

(6) الأتابك: لفظ تركي مركب من: آتا، بمعنى أب أو: الشيخ المحترم وبك: بمعنى الأمير ويعود استخدامه إلى نهاية العصر العباسي حيث كان لقباً لمربي ومراقب أبناء ملوك السلاجقة، وأول من حمل هذا اللقب نظام الدولة الملك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي سنة=

قلعة الموصل وسائر قلاع الإمارة - ولاية المدن والأعمال - الوزارة والدواوين، نيابة الموصل وأنشأها عماد الدين زنكي وكان من مهام نائب الموصل أن يدير شؤونها وبقيّة أجزاء الإمارة نيابة عن الأمير ومن مهامه جمع الضرائب وجباية الأموال والإشراف المستمر على إحكام تحصينات الموصل وتعميق خنادقها⁽¹⁾.

وقد ازدهرت الجزيرة الفراتية في زمن الدولة الزنكية مع انشغالها في الحروب الصليبية وقد شهد على ذلك الانتشار الهائل للمدارس التي درست العلوم المختلفة ومن أبرزها علم الطب وظهر العديد من الأطباء المهرة في صناعة الأدوية، وأيضاً بنيت العديد من البيمارستانات والجسور والمساجد والقلاع، وقد تطورت الجزيرة أيضاً نتيجة توحيد بلاد الشام على يد عماد الدين زنكي فحدث بين مدنها تبادل تجاري، وتبادل خبرات.

8- الدولة الأيوبية في الجزيرة الفراتية 578 - 656 هـ / 1182 - 1258 م:

يرجع نسب الأيوبيين إلى أسرة كردية من أذربيجان هاجرت إلى العراق ومؤسس الدولة هو صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان والده نجم الدين أيوب والياً على تكريت ثم انتقل إلى الموصل ثم صار نجم الدين وأخوه أسد الدين شيركوه من كبار أمراء نور الدين محمود الزنكي، وأصبح أسد الدين نائباً لنور الدين على مصر ثم خلفه ابن أخيه صلاح الدين، فعين نائباً عن نور الدين محمود وبعد ذلك استقل بحكم مصر⁽²⁾.

وبعد أن استقل صلاح الدين في مصر وتوفي نور الدين، توجه إلى دمشق في سنة 570 هـ / 1174م وأخذها ثم سار هو وابنه الصالح إسماعيل فحاصر حمص، ونصب حولها المجانيق وتسلمها ثم اتجه إلى حماة وضمها إليه⁽³⁾ وتابع إلى حلب حيث اجتمع عسكر حلب وكتبوا إلى صاحب الموصل فجهز

=465هـ/1072م، وفي العصر المملوكي تطور مدلول هذا اللقب وأصبح يطلق على أمير الجيش وقائده، الخطيب. (1996م): معجم المصطلحات، ص 17؛ الصلابي. (2007م): عماد الدين زنكي، ص 64.

(1) الصلابي. (2007م): عصر الدولة الزنكية، ص 262؛ الديوه جي، سعيد. (1958م): الموصل في العهد الأتابكي، مطبعة شفيق، بغداد، ص 20.

(2) ابن العبري. (1992م): تاريخ مختصر الدول، ص 213؛ العسيري. (1996م): موجز التاريخ الإسلامي، ص 255.

(3) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (د.ت): العبر في خبر من غير، تح: محمد السعيد زغلول، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص 59.

جيشه وأمدهم بأخيه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فأقبل الكل إلى حماة، فحاصروا البلد وسار صلاح الدين والتقاهم وقضى عليهم ومن ثم وقع صلاح الدين مصالحة مع عز الدين مسعود على أن يكون له إلى آخر بلد حماة والمعرة وأن يكون للصالح اسماعيل حلب وأنحائها جميعها ⁽¹⁾ وفي عام 578 هـ / 1182 م توجه صلاح الدين الأيوبي إلى الموصل لانتزاعها من آل زنكي، وانضم إليه مظفر الدين كوكبري ⁽²⁾ صاحب حران، فعبر الفرات عند البيرة، وكان صاحبها شهاب الدين محمد بن إلياس الأرتقي يدين له بالطاعة، ودخل الأراتقة في حصن كيفا وماردين في طاعته، وانضموا إلى جيشه، فهوت أمامه مدن الجزيرة، الرها وسروج ونصيبين والرقّة والخابور وغيرها، فأقطع كوكبري الرها، وولى حسام الدين أبا الهيجاء نصيبين وهو من أكابر أمراء صلاح الدين ⁽³⁾، وبعد ذلك حاصر الموصل وقام بمفاوضات لضمها ولم تنجح محاولاته جميعها.

وبعد إخفاق المفاوضات في ضمّ الموصل قام صلاح الدين بالتوجه إلى مدينة سنجار في 16 شعبان عام 578 هـ / 15 كانون الأول عام 1182 م، وحاصرها مدة خمسة عشر يوماً حتى سقطت في يده، وتوجه صلاح الدين الأيوبي إلى آمد بعد أن استأذن الخليفة الناصر لدين الله 577-623هـ/1180-1225م بمهاجمتها، فأذن له ووصل إليها في 17 ذي الحجة عام 578 هـ / 15 نيسان عام 1183 م وضرب الحصار عليها وكان حاكمها محمد بن إيلكز ضعيفاً لا يملك من السلطة إلا اسمها، أما حاكمها الفعلي فكان بهاء الدين بن نيسان الذي طلب الأمان له ولأهله ⁽⁴⁾، وبعد انقضاء المدة تسلمها صلاح الدين في عام 579 هـ / 1183 م وسلمها وأعمالها إلى نورالدين محمد وأمره بإقامة العدل بها وأن يقدم له المساعدة ضد الإفرنج ⁽⁵⁾.

(1) الذهبي. (1993م): تاريخ الإسلام، ج30، ص 62 .

(2) كوكبري: هو مظفر الدين، ابن الأمير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني، أبو سعيد، ويلقب بالملك المعظم 549 – 630 هـ / 1154 – 1233م وهو صاحب إربل ولد في قلعة الموصل، وولي إربل بعد وفاة أبيه، وأقام بها مدة، وانتقل منها إلى الموصل ثم دخل إلى الشام، واتصل بالملك الناصر صلاح الدين وأكرمه كثيراً، الزركلي. (2002م): الأعلام، ج5، ص 237.

(3) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص 462 – 463.

(4) طقوش، محمد سهيل. (2008م): تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، ط2، بيروت، ص 73.

(5) أبو شامة. (1997م): عيون الروضتين، ج2، ص 145؛ ابن شداد. (1994م): النوادر السلطانية، ص 103.

أما بالنسبة إلى مدينة ميفارقين فقد كانت تحت حكم حسام الدين يولق بن قطب الدين إيلغازي صاحب ماردين، وقد رفض الانضواء تحت راية صلاح الدين وأعلن عصيانه، فمال صلاح الدين إلى استعمال أسلوب الدهاء السياسي، فاتصل بزوجة قطب الدين المقيمة فيها وأوهمها أن يرتقش اتفاق معه على تسليم البلاد، كما أرسل إلى هذا الأخير يخبره بميل الخاتون إليه⁽¹⁾، وبهذا الأسلوب السياسي ضمَّ البلاد إلى أملاكه في عام 581 هـ / 1185 م⁽²⁾، وبذلك فقد ضم صلاح الدين معظم أراضي الجزيرة الفراتية تحت أمرته .

وقد حكم الملوك والأمراء الأيوبيون مدن ميفارقين وحصن كيفا إلا أنهم افتقروا إلى رابط الوحدة فكان كل أمير يعمل مستقلاً عن الآخر، وهذا ما أضعف قوتهم أمام المغول وأدى إلى هلاكهم⁽³⁾.

في النهاية ومع انشغال الأيوبيين في الدفاع عن المشرق العربي من هجمات الصليبيين فقد أقاموا حضارة مزدهرة تشهد عليها القلاع الضخمة وازدهار الصناعة وحركة التجارة الواسعة التي نمت في الجزيرة .

9- سقوط بغداد واستيلاء المغول على الجزيرة الفراتية :

في سنة 656 هـ / 1258م استولى المغول بقيادة هولاكو على بغداد وقتلوا الخليفة وانقرضت الدولة العباسية وعمَّ الخراب والدمار بلاد ما بين النهرين جميعها⁽⁴⁾ وأمر هولاكو أمراءه يشموت وإيلكا بالتوجه إلى مدينة ميفارقين فأرسلوا رسولا إلى السلطان الأيوبي الكامل ناصر الدين محمد بن المظفر غازي 645-657 هـ / 1247-1259م يدعوانه إلى الخضوع ويتوعده بالهلاك إذا عصا، فرفض الكامل الخضوع، وفرض المغول حصاراً شديداً على البلاد حتى عم القحط والهلاك فيها ودخلوها وقبضوا على الكامل وقاموا بقتله وذلك في سنة 657 هـ / 1259م، وزحف المغول بعد ذلك إلى مدينة ماردين وكانت في قبضة الملك السعيد

(1) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص 470؛ طقوش. (2008م): تاريخ الأيوبيين، ص 76.

(2) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج10، ص8؛ ابن شداد. (1994م): النوادر السلطانية، ص 367.

(3) طقوش. (2008م): تاريخ الأيوبيين، ص 407 .

(4) ابن العبري. (1992م): تاريخ مختصر الدول، ص 4، أبو الفداء. (د.ت): المختصر، ج3، ص 193؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 189.

آخر سلاطين الأراقة الذي أبى إلا أن يقاوم وحاصروها ثمانية أشهر من دون أن ينجحوا في احتلالها وأخيراً حاول أحد أبناء الملك السعيد أن يثني أباه عن عزمه، ويحمله على التسليم للمغول، فلما لم يفلح لم ير بداً من قتل أبيه حقناً لدماء المسلمين، فتخلص منه وسلم القلعة للمغول ونصبوه والياً بدلاً من أبيه ⁽¹⁾ وموقف ابن الملك السعيد يثير الاستغراب والدهشة وهل فعلاً أراد أن يحقن دماء المسلمين أم قُدمت له إغراءات جعلته يتأمر على والده ويوافق على التخلص منه لمصلحته الذاتية؟ وهو بالنهاية كان موقعاً جباناً ومخزياً من ابن السعيد وهو لربما كان يطمع في أن يصبح والياً أو أغراء المغول في ذلك وليس حقناً لدماء المسلمين لأن المغول قد ارتكبوا أفظع المجازر بحق المسلمين في بغداد وغيرها من المدن وكان يجب مقاومتهم وليس الخضوع لهم، وفي أثناء حصار ميافارقين كان هولاكو يغزو الإمارات الإسلامية في بلاد الشام إذ اتجه إلى الجزيرة، واستولى على نصيبين واستسلمت له آمد وحران والرها واستولوا على منطقة ديار بكر وجعلوها مركزاً لتنظيم هجماتهم، وقتل أهالي سروج عن آخرهم، لأنهم قاوموه، ثم احتل البيرة، وعبر نهر الفرات وأغار على منبج وسفك دماء الكثيرين من أهلها ⁽²⁾.

وبعد استيلاء المغول على بغداد قام بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بإرسال ابنه الملك الصالح إسماعيل ومعه جماعة من عسكره نجدة لهولاكو لكنه غضب ورفضهم وأخبره أن أباه حين تيقن من فوز هولاكو على الخليفة أراد الانضمام له وعندما وصل الرد لبدر الدين توجه إلى هولاكو في جبال همذان محملاً بالأموال والهدايا والجواهر فأحسن له هولاكو واحترمه وأقام عنده عدة أيام ثم عاد إلى الموصل، وفي سنة 658 هـ / 1260 م توفي بدر الدين لؤلؤ وتولى الحكم من بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل الذي عاد عن الولاء للمغول وذهب إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس 658-676 هـ/1260-1277م يطلب المساعدة للتخلص منهم فأمدّه بعدد من الفرسان، وبعد عودته إلى الموصل خاض الملك الصالح حرباً ضد المغول

⁽¹⁾ الصياد، فؤاد عبد المعطي. (1980م): المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ج1، ص 293.

⁽²⁾ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن ت. 1237 هـ/1821م. (د.ت): تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 3 أجزاء، دار الجيل، بيروت، ج1، ص 29؛ الصلابي، علي محمد. (2009م): دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، ص 335، 332، 331.

وأبدى أهل الموصل مقاومة عنيدة للمغول، وأوقعوا بهم خسائر جسيمة، وحين بلغ نبأ القتال بين أهل الموصل والمغول إلى بيبرس من ناحية وإلى هولاكو من ناحية أخرى أرسل كلاهما الإمدادات إلى طرفي القتال، إلا أن المغول كانوا قد علموا مسبقاً بوصول جيش مصر والشام، فقطعوا عليه الطريق وهزموه ودخلوا بزي أهل الشام واتجهوا نحو الموصل، وظن أهل الموصل أنهم من أهل الشام وقد أتوا للنجدة، فخرجوا من المدينة فأطبق عليهم المغول وقتلوا أعداداً منهم، ومع ذلك لم يفلح المغول في الاستيلاء على قلعة الموصل، وطال حصارها حتى عم القحط المدينة وطلب الملك الصالح الأمان، واستولى المغول على الموصل في رمضان 660 هـ/ 1262 م وذبحوا أهلها وقتلوا الملك الصالح إسماعيل⁽¹⁾.

يتبين مما سبق أن العديد من الدول قد قامت في أرض الجزيرة وطورت حضارة خاصة بها وصبغت بها بما تتميز به كل دولة منها، واستقلت إدارياً عن الدولة العباسية وأصبحت تحكمها بمفردها وتعين الحكام والولاة بنفسها وهذا أسهم في اعتمادها على نفسها وقيامها بتكوين كيان اقتصادي وسياسي متميز تأثر بسمات كل مرحلة من مراحل العصر العباسي الذي زاد على خمسة قرون، فقد تأثر الاقتصاد كثيراً بالأوضاع السياسية نتيجة النزاعات المستمرة على امتلاك المدن والأراضي بين الحكام والنواب والولاة ولذلك كان يمر الاقتصاد في مراحل انتعاش أو جمود وذلك بسبب الوضع الراهن للدولة ومع ذلك فقد كان هناك تطور وتنوع في العديد من الصناعات وتنافس بين المدن للتميز بأجود الصناعات.

(1) ابن العبري.(1992م): تاريخ مختصر الدول، ص284؛ إقبال، عباس.(2000م): تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، مكتبة المهتدين، أبو ظبي، ص 212؛ العودة، سليمان بن حمد بن عبد الله.(2001م): كيف دخل التتر بلاد المسلمين، دار طيبة، ط3، الرياض، ص 53.

الفصل الثاني :

الحياة الاقتصادية في الجزيرة الفراتية:

أولاً: الزراعة في الجزيرة الفراتية:

1 - لمحة عامة عن الزراعة في الجزيرة الفراتية في مراحل العصر العباسي المختلفة.

2 - ملكية الأراضي:

أ - الضياع السلطانية

ب- الإقطاعات :

1^ـ - إقطاع التملك

2^ـ - إقطاع الاستغلال.

ج - أراضي الملك

د - أراضي الوقف

هـ - أراضي المشاع

4 - المرافق الزراعية.

5 - المحاصيل الزراعية:

أ - محاصيل صناعية

ب - محاصيل أخرى

ثانياً: الثروة الحيوانية

ثالثاً: التجارة في الجزيرة الفراتية:

1 - أهم ما ذكره الرحالة والجغرافيون عن أوضاع التجارة فيها

2 - أبرز المراكز التجارية في الجزيرة الفراتية

3 - الأسواق في الجزيرة الفراتية

4 - الصادرات والواردات

5 - الأوزان والمكاييل

6 - النقود

الحياة الاقتصادية في الجزيرة الفراتية:

تمتعت الجزيرة الفراتية بموقع استراتيجي مهم منذ القدم؛ لوقوعها على طرق التجارة العالمية وعلى طريق الحرير العظيم فضلاً عن غناها بالموارد المائية الوفيرة وأبرزها نهرا دجلة والفرات وروافدهما وهذا سمح بقيام العديد من الزراعات التي وفرت مواد أولية للعديد من الصناعات التي أسهمت في تقوية الاقتصاد وتنشيط التجارة.

واستمر هذا التطور في العصر العباسي الأول نتيجة لاهتمام الخلفاء العباسيين، بسبب موقعها المهم وتحكمها في منطقة الثغور مع الدولة البيزنطية إذ نقل الخليفة هارون الرشيد 149-193هـ/766-809م عاصمة الدولة العباسية إلى الرقة⁽¹⁾ ومقر حكمه إلى الرافقة فتجمعت الأسواق فيها⁽²⁾، وفي زمن الحمدانيين أدى الاستقرار السياسي إلى أنتعاش الاقتصاد، ولكن الوضع الاقتصادي ساء زمن العقيليين؛ بسبب اضطراب الوضع السياسي وانتشار النظام الاقطاعي والفساد الإداري والنزعات العنصرية والمذهبية، التي أثارها البويهيون وأسهمت في تعطل التجارة وضعف الصناعة فقد اعتمد العقيليون على الغنائم التي كانوا يجنونها من الحروب وذلك بسبب قلة الموارد الاقتصادية⁽³⁾، وفي عصر الدولة السلجوقية استمر هذا الضعف بسبب انشغال الأمراء في التنازع فيما بينهم وإهمالهم العناية بالوضع الاقتصادي، أما في زمن الدولة النورية فانتعشت حركة التجارة كثيراً لاسيما بين العراق والشام، وذلك بسبب إزالة قسم كبير من المكوس⁽⁴⁾ على التجار المسافرين بين الإقليمين بهدف تشجيع التجارة، وقد ركزوا على التجارة مع العباسيين وذلك بسبب غنى التجار العراقيين⁽⁵⁾.

(1) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 8، ص 266؛ أبو الفداء. (د.ت): المختصر، ج 2، ص 17.

(2) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 2، ص 15؛ الحميري. (1980م): الروض المعطار، ص 263.

(3) المعاصيدي. (1968م): بولة بني عقيل، ص 163.

(4) المكوس: مفردها المكس، وهي ضريبة تؤخذ ممن يدخل البلد من التجار، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 881.

(5) عوض، محمد مؤنس أحمد. (1998م): في الصراع الإسلامي الصليبي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، القاهرة، 1998م، ص 70.

أولاً: الزراعة في الجزيرة الفراتية :

انتشرت البساتين الخضراء في معظم أراضي الجزيرة الفراتية وتنوعت منتجاتها وذلك بسبب توافر التربة الخصبة والمروية من دجلة والفرات وروافده وقد لاقت الزراعة اهتماماً كبيراً من سكان الجزيرة وكانت حرفة رئيسية لنسبة كبيرة من سكانها .

وقد كان لأحوال المناخ التي سادت في الجزيرة الفراتية تأثيرٌ كبيرٌ في قيام الزراعة على نطاق واسع، إذ تهب على تلك المنطقة الرياح العكسية الدائمة⁽¹⁾ التي غالباً ما تسبب سقوط الأمطار التي يذهب أكثرها للاستغلال الزراعي، وقد كان الإنتاج وفيراً في الفصول جميعها نظراً إلى المناخ المعتدل في الصيف والماطر في الشتاء وكان يُنقل من فصل إلى آخر من دون فواصل زمنية وهذا يؤدي إلى رفع كمية الإنتاج الزراعي⁽²⁾.

1 - لمحة عامة عن الزراعة في الجزيرة الفراتية في مراحل العصر العباسي المختلفة:

أ- العصر العباسي الأول: نشطت الزراعة كثيراً في العصر العباسي الأول وذلك بسبب تشجيع الخلفاء للفلاحين فقد قام أبو العباس السفاح 132 - 136 هـ / 749 - 754 م بمسح الأراضي الزراعية وتوزيع بعض منها، وفي عهد أبو جعفر المنصور 136-158 هـ / 754 - 775 م عدلت الضرائب والخراج على الزراعة وأسهمت هذه المبادرات في رخص الأسعار⁽³⁾ وفي عهدي المهدي وهارون الرشيد أيضاً عُدلت

(1) الرياح العكسية أو الرياح الغربية: وهي رياح تهب من منطقة الضغط المرتفع وراء المدارين إلى منطقة الضغط المنخفض عند الدائرتين القطبيتين، واتجاهها جنوبية غربية في النصف الشمالي للكرة الأرضية وشمالية غربية في النصف الجنوبي وتعرف بالغريبات وتمتاز بظهور الكثير من الأعاصير وتجلب الدفء والأمطار للجهات التي تهب عليها وتكون مشبعة بالبخر، جودة، حنين جودة.(د.ت): قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 261، شرف، عبدالعزيز طريق.(د.ت): الجغرافيا المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ط11، الإسكندرية، ص 97.

(2) محمد، سوادى.(1989م): الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس هجري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 208.

(3) الرئيس.(1969م): الخراج ، ص 393.

ضريبة الخراج وفق المساحة وخفضت الضرائب (1) .

ب- الدولة الحمدانية: تبدلت الأوضاع في بداية عصرهم ووفق ما يذكر ابن حوقل ساءت أوضاع الزراعة في الجزيرة في زمن الحمدانيين 293-394هـ/ 905-1003م لأنهم حين استولوا على الموصل اشتروا الأراضي والأموال بأبخص الأسعار بل بعشر سعرها، أما مدينة نصيبين فقد كان أهلها من وجوه العرب ففرقهم الحمدانيون في كل صقع ومكان وانتزعوا أملاكهم وضياعهم⁽²⁾، وقاموا بقلع أشجار الفاكهة وغابات الصنوبر والسرور والغار وزرعوا مكانها الغلات والحبوب كالقطن والسمسم والأرز، ذلك بسبب حاجتهم للنقود لمحاربة الروم⁽³⁾، ومع ذلك فقد تحسنت أوضاع الزراعة فيما بعد نتيجة لانتشار هذه المزروعات التي قامت عليها العديد من الصناعات النسيجية والغذائية.

ج - عصر السيطرة البويهية : تراجعت الزراعة كثيرًا في هذه الحقبة وذلك نتيجة للوضع السياسي المضطرب والحروب الكثيرة وموجات القحط التي أصابت المنطقة بسبب قلة الأمطار وتكاثر الثلوج وما رافقه من إهمال وسوء العناية بوسائل الري (4) .

د- عصر السيطرة السلجوقية: استمر تأخر الزراعة في الجزيرة الفراتية في هذه المرحلة؛ ولاسيما في الموصل، إذ ندر فيها وجود الفواكه والثمار، وصارت أقل بلاد الله فاكهة⁽⁵⁾، وهجرت الكثير من القرى الصغيرة إلى البلاد الأخرى وهذا أدى إلى قلة في الطعام والغذاء.

هـ - الدولة الزنكية: تحسنت الأوضاع كثيرًا أيام هذه الدولة، إذ قام عماد الدين زنكي بإبقاء الأراضي بأيدي

(1) حسن، حسن إبراهيم. (1996م): تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، جزأين، دار الجيل، ط14، بيروت، ج2، ص 305، الدوري. (2009م): العصر العباسي، ص 206.

(2) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 213 - 214.

(3) السامر. (1970م): الدولة الحمدانية، ج1، ص 336.

(4) مجموعة من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج 2، ص 316.

(5) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج9، ص143.

أصحابها، الذين كانوا يعملون فيها بجد ونشاط ويدفعون الضرائب للسلطان وهي ضرائب محدودة معينة فنشطت الزراعة لأنهم شعروا أنهم آمنين على أراضيهم يعملون بها ولا يخشون أن يسلبهم إياها أحد، وعمرت القرى التي كانت مهجورة وزادت عما كانت عليه فزرعوا الحبوب والبقول والفواكه، وصارت الموصل تأخذ منها ميرة⁽¹⁾ بغداد أربعة أشهر في كل سنة، وبلغ عدد قراها العامرة في الجهة الغربية 2300 قرية وهذا العدد مبالغ فيه كثيراً ولربما كانت بالمئات ولكن هذا دليل على اتساعها، وكان عدد بساتين الخصرة في المدينة 95 بستاناً، وعدد بساتين الفواكه 36 بستاناً⁽²⁾.

2- ملكية الأراضي:

تنوعت ملكية الأراضي في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي وتراوحت بين الملكية الخاصة بالخلافة (الدولة) والملكيات الخاصة وغيرها من أنواع الملكية التي سيتم استعراضها تباعاً:

أ - الضياع السلطانية: وهي أملاك الخليفة أو السلطان، وهي أراضي الملوك الساسانيين والبيزنطيين التي أخذها المسلمون، وعدت بعد ذلك ملكاً للدولة؛ والتي صادرها العباسيون من الأمويين أيضاً أما عن طريق الشراء وأما مصادرة ضياع موظفين قد ماتوا أو صادرت الدولة ممتلكاتهم وكانت تنتشر هذه الضياع حول الموصل، وأيضاً الضياع الفراتية التي تقع على ضفاف الفرات، وكانت واسعة جداً إذ بلغ مقدار خراجها في سنة 306هـ/ 917 ما يقارب 617، 126 ديناراً، وكانت هناك ضياع خاصة وهي ما يملكه الخليفة نفسه لا يشاركه فيها أحد والضياع العباسية وهي لبني العباس من أهل الخليفة⁽³⁾.

ب - الإقطاعات : كانت بداية ظهور الإقطاع في الإسلام عندما قام النبي عليه السلام بإقطاع أناس من

مزينة أرضاً لا يملكوها فحسب بل ليعمروها، وظهر الإقطاع أيضاً في عهد عمر بن الخطاب حين قال:

(1) الميزة: بكسر الميم الممدودة : هي الطعام الذي مير- أي حُمِلَ من موضع ما، والميزة: القوت، أو القوت الذي يجلب للبيع، عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 577.

(2) الخطيب العمري.(1955م): منية الأدياء، ص 166.

(3) زيدان، جرجي.(1973م): تاريخ التمدن الإسلامي، 5 أجزاء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ج2، ص 132.

إنه من كان له أرض ثم تركها ثلاث سنين، ولم يعمرها، فيعمرها قوم آخرون فهم أحق بها⁽¹⁾.

أما عن تعريف الإقطاع فهو: الأراضي التي أقطعها الخلفاء للأمراء وموظفي الدولة الكبار بدل مرتباتهم بعد أن عجزت الدولة عن دفعها، وقد عرف الخوارزمي 387هـ / 997م الإقطاع بقوله: " هو أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبته"⁽²⁾ وقسمت الإقطاعات إلى قسمين:

1 - إقطاع التملك: وهو إقطاع شخصي خاص لفرد معين له ملكية تامة به ويسمح له بالوراثة أيضاً وعلى صاحب هذا الإقطاع دفع العشر، ويمنح إقطاع التملك في بعض الأوقات من أرض الموات لإحيائها، أو من أرض توفي صاحبها دون وارث⁽³⁾.

2 - إقطاع الاستغلال: ويسمى بالإقطاع العسكري أو الحربي وقد كانت تعطى الأرض بالإيجار أو بالضمان أو بالمزارعة⁽⁴⁾، ومر الإقطاع في العراق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بمرحلة عسكرية مهمة، إذ وزعت الأراضي على الجند على نطاق واسع نتيجة إفلاس الخزينة وفوضى الحكم الإداري للبويهيين وفساده إذ كان يعطى للجند من أرض الخراج على أن يعطي لصاحبه من الواردات ويدفع للدولة أيضاً منها ولكن الجند لم يلتزموا بذلك، ويختلف هذا النوع من الإقطاع عن النوع السابق أنه كان لا يورث مطلقاً⁽⁵⁾، وقد كان هناك إقطاعات تمنح لموظفي الدولة وأبرزهم الوزراء والموظفين الكبار بسبب عجز الدولة عن دفع رواتبهم ففي سنة 334 هـ/ 945 م أقطع معز الدولة البويهي لغلمانه وحاشيته إقطاعات كثيرة جداً⁽⁶⁾،

(1) حسن، حسين الحاج.(1987م): النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، ص 268.

(2) الخوارزمي، محمد بن أحمد ت. 387هـ/997م. مفاتيح العلوم، المطبعة المنيرية، القاهرة، ص 39.

(3) القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد ت. 821هـ/ 1418م. (1919م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج13، ص 113.

(4) ابن آدم، يحيى القرشي ت. 203هـ/818م. (1987م): كتاب الخراج، دار الشروق، ط1، القاهرة، ص 112.

(5) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت. 450هـ/1058م. (1989م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، الكويت، ص 253.

(6) مسكويه. (1989م): تجارب الأمم، ج5، ص 283.

وهناك بعض الإقطاعات منحت للأدباء و المغنين ⁽¹⁾.

ج - أراضي الملكية الخاصة: وهي ملك صرف وخاص لأصحابها، أتتهم عن طريق الوراثة أو الشراء، أو الهبة من الخلفاء والأمراء لطبقة الشعراء والفنانين وغيرهم، وكان على الملاكين دفع الضرائب، وإصلاح قنوات المياه، ولكن هذه الأملاك كانت مهددة بالمصادرة التي انتشرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولاسيما في حالة إفلاس الخزينة أو كثرة الوشايات والخصومات السياسية التي سادت آنذاك فقد كانت تباع أراضي الخزينة أو الصوافي وضياع الخلافة وذلك حين يقع الخليفة في ضائقة مالية ⁽²⁾.

د - أراضي الوقف : وهي الأراضي التي يوقفها المسلمون من أملاكهم الخاصة والأشخاص الذين ليس لديهم ورثة يوقفونها لمساعدة الفقراء والمحتاجين أو اليتامى أو يكون واردها للأراضي المقدسة أو للمجاهدين أو لبناء المساجد والقلاع والحصون أو للأعمال العامة أو لمساعدة العبيد من أجل تحريرهم، أو توقفها الحكومة للغرض ذاته ⁽³⁾، ويشرف على هذه الأوقاف القاضي ويجب عليه الاهتمام بها من حيث استثمارها، وجمع وارداتها، وصرفها للجهة المعنية بها، وقد كان العباسيون حريصين على هذه الأراضي ومثال ذلك عندما طالب أبو خازم القاضي الخليفة المعتضد 242-289هـ/856-902م بما في ذمته من أراضي الوقف ⁽⁴⁾.

هـ - أراضي المشاع : وهي ملك للدولة وتسمى أيضاً الأراضي الأميرية وتكون غير مستغلة زراعياً، وتشمل أيضاً أراضي البور، ويكون القسم الأول صالحاً للرعي ولاسيما في الشمال كالموصل وما يليها من الأعمال شرق نهر دجلة، ويحق للسكان جميعهم في المنطقة الرعي والتجول فيها دون قيد أو شرط ⁽⁵⁾.

(1) الأصفهاني، أبو الفرج ت. 356هـ/966م. (1952م): كتاب الأغاني، 24 جزء، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، ج5، ص 68.

(2) ابن رسته، أحمد بن عمر ت. 290هـ/903م. (1892م): الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، مج 7، ص 150.

(3) الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن ت. 448هـ/1056م. (د.ت): تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، المدينة المنورة، ص 286 .

(4) التتوخي، أبو علي المحسن بن علي ت. 327هـ/939م. (1971م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، 8 أجزاء، دار صادر، بيروت، ج8، ص 16 .

(5) المعاضدي. (1968م): دولة بني عقيل، ص 167 .

3- المرافق الزراعية:

اهتم الخلفاء والسكان بإنشاء المرافق الزراعية التي سهلت عملهم في الزراعة وحسنت من مردود الإنتاج وأهم هذه المرافق ما قام به نصر الدولة الحمداني حيث أنشأ دولاباً على نهر دجلة يزود مدينة آمد وميفارقين بالمياه وحفر البرك والسواقي وأقام المصانع⁽¹⁾، وأيضاً قام الخلفاء بإنشاء سدود كثيرة مثل تلك التي كانت موضوعة على فوهات الأنهار عند مدينة سكير العباس⁽²⁾ التي كانت تمثل مشروعاً للري ينظم توزيع المياه والتحكم فيها، إذ ترتفع مناسيبها في هذه الأنهار فوق مستوى الأراضي الزراعية التي تقع على ضفافها، وقد ركبت الأبواب على النهرين في مدينة سنجار فالنهر الأول يعرف بدار العين والآخر يخرج من عين الأحثات ولها أربعة أبواب ثلاثة منها في جنوب المدينة وهي باب الماء والباب العتيق وباب الحديد والباب الرابع في شمالها ويسمى باب الجبل⁽³⁾، ويبدو أن هذه الأبواب كانت تنظم دخول المياه وصرفها إلى خارج المدينة إذ تستخدم لري الأراضي والمزارع التي اشتهرت فيها مدينة سنجار⁽⁴⁾.

وفي دير متى بالقرب من الموصل في الجانب الشرقي يوجد صهريج عظيم يجتمع فيه ماء المطر عمقه اثنا عشر ذراعاً يفتح من موضعين في أعلاه وفي أسفله وكانوا يقومون بسقي الأشجار والبساتين القريبة منه، وأنشئت بالقرب من دير أبون الذي يقع بين جزيرة ابن عمر وقرية الثمانين أنابيب توصل المياه بين جبل الجودي وصهريج كبير لتخزينها واستعمالها لسقي ضياعها الكثيرة وبساتينها⁽⁵⁾.

(1) المصنع: هو بئر كبير تتفرع منه قنوات لري المزروعات، حفره نصر الدولة إلى أن ظهر فيه الماء وأحسن عمارته وصرف عليه مالاً عظيماً، الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 230.

(2) سكير العباس وهي مدينة لطيفة فيها غلات كثيرة وفيها منبر وسوق تقع على نهر الخابور، ابن حوقل: صورة الأرض، ص222؛ الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 231.

(3) ابن شداد. (1991م): الأعلاق الخطيرة، ج1، ص 139.

(4) محمد. (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 202.

(5) العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله ت. 749هـ/1349م. (2003م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبدالله بن يحيى، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، ص 323.

ومن أهم المرافق الزراعية في الجزيرة المصنع الذي أقيم على حصن مسلمة الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ويقع بين الرقة وحران وبينه وبين البليخ ميل ونص، وقد كان شرب أهله من هذا المصنع كبير جداً ووسيع ويغطي حاجة البساتين المجاورة من المياه وهو مصنوع من الحجارة وكان مسلمة قد أصلحه والماء يجري فيه من البليخ في نهر مفرد في كل سنة مرة حتى يملأه فيكفي أهله بقية عامهم (1).

وقد كانت البساتين الخضراء والأشجار المتنوعة والكروم والمروج الخضر في الجزيرة تسقى سيجاً من مياه الأنهار المجاورة وذلك برفعها باستخدام دواليب وأرجاء وتوزيعها على البساتين، وكان لهذه الأرجاء بيوت خاصة عند مساقط المياه لاستغلال الطاقة المائية في تحريك العجلات الخشبية (2).

وقد شق أهالي ماردين القنوات الكثيرة من أجل الحصول على المياه من العيون وقد قاموا بإنشاء الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر (3).

وقاموا بإنشاء جسر عظيم على نهر صنجة الواقع بين ديار مضر وديار بكر وقد كان ضخماً وفريداً من نوعه الذي كانت مياهه تستخدم لري البساتين (4).

4- المحاصيل الزراعية :

أسهم اتساع مساحة الجزيرة الفراتية وتنوع التربة فيها وتوفير المياه بكثرة وملائمة مناخها وتنوع المحاصيل الزراعية فيها وتميزها عن باقي المناطق المجاورة لها، وفي هذا الموضوع ستدرس أهم المحاصيل في الجزيرة الفراتية التي يشكل بعضها مواداً أولية للصناعة وستذكر وفق التصنيف الآتي:

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 265 .

(2) البغدادى. (1991م): مراصد الاطلاع، ج1، ص197؛ خليل. (1980م): الإمارات الأرتقية، ص 432 .

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 224، القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص260.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 425؛ البغدادى. (1991م): مراصد الاطلاع، ج2، ص853.

أ - المحاصيل الصناعية:

تعد الحبوب من أهم الموارد الزراعية في الجزيرة الفراتية ذلك لأنها منتشرة في أغلب مناطق الجزيرة وكانت تقوم عليها العديد من الصناعات النسيجية والغذائية، وأهم هذه المحاصيل هي :

1- محاصيل صناعية غذائية:

- **القمح:** كان محصول القمح من أهم المحاصيل التي اهتم بها السكان في الجزيرة إذ تميزت نصيبين بسعة غلات الحبوب من القمح، وانتشرت زراعته في مدينة بالس⁽¹⁾، وزرع أيضاً في الموصل⁽²⁾، وقامت على هذا المحصول العديد من الصناعات وأبرزها صناعة طحن الحبوب وصناعة الخبز.

- **الشعير:** وانتشرت زراعته في جزيرة ابن عمر وباعيناثا وبرقعيد⁽³⁾، وزرع أيضاً في الموصل⁽⁴⁾.

- **السمسم والأرز:** قد كانت نصيبين غنية بزراعة السمسم والأرز إذ قام الحسن بن عبدالله بن حمدان بقلع أشجارها المثمرة وزرع مكانها الحبوب والسمسم والقطن والأرز، والشعير⁽⁵⁾ وكانت تصنع الزيوت من السمسم.

- **التوت:** اشتهرت مدينة الموصل بزراعة التوت بسبب اهتمام سكانها بتربية دودة القز التي تنتج الحرير الطبيعي الذي يستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية⁽⁶⁾.

(1) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 219.

(2) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(3) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 199.

(4) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(5) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 213.

(6) نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج2، ص 318.

- **قصب السكر:** وانتشر في مدينة سنجار⁽¹⁾ وقامت عليه صناعة السكر الذي صدر إلى المدن المجاورة⁽²⁾.

2 - محاصيل صناعية:

- **القطن:** لقد كان في المرتبة الثانية من حيث انتشار زراعته في الجزيرة وقد وجد في مدينة كفرتوثا الغنية بالزروع⁽³⁾، وقد زرع أيضاً في مدينة رأس العين وذلك لغناها بالماء إذ كانت تحوي ما يزيد عن ثلاث مئة عين⁽⁴⁾، وكانت مدينة حران غنية جداً بهذه الزراعة⁽⁵⁾، وأيضاً انتشرت زراعته في مدينة عرابان⁽⁶⁾، وقد قامت على هذه الزراعة الصناعات النسيجية التي تميزت بها الجزيرة الفراتية.

ب - المحاصيل الأخرى:

1 - الأشجار المثمرة:

أدى اتساع مساحة الجزيرة الفراتية، وتوفر المياه بكثرة فيها ومناخها الملائم الذي كان له دور كبير في تنوع المحاصيل الزراعية الغذائية والصناعية ومن أبرز هذه المحاصيل:

• **أشجار اللوز والجوز:** انتشرت زراعتهما في عدة مناطق من أبرزها المناطق الجبلية مثل جبل سنجار الذي

(1) الصالح، صبحي. (1996م): النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، ط1، أيران، ص380.

(2) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(3) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 53.

(4) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 222.

(5) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(6) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 223.

كان فيه أشجار اللوز والجوز اللذان كانا يكسران في صحن الكف أي كان كسرهم سهلاً وقشرتهم رقيقة⁽¹⁾، وكانت المراكب تصل من جزيرة ابن عمر إلى الموصل محملة بالكثير من الجوز واللوز⁽²⁾.

• **الزيتون:** وهو من أكثر الأشجار التي زرعت في الجزيرة وذلك بسبب الطبيعة الملائمة له وكانت الرقة من أغنى البلدان في الجزيرة بالزيتون⁽³⁾، وزرع في جزيرة ابن عمر⁽⁴⁾، وساهمت بانتشار صناعة الزيوت والصابون.

• **العنب:** وقد انتشرت زراعته في معظم نواحي الجزيرة الفراتية، واشتهرت به مدينة سروج إذ كانت كثيرة الأعناب⁽⁵⁾، وكان جبل الجودي يحتوي سبعين نوعاً من العنب⁽⁶⁾، وزرع أيضاً في مدينة معلثايا⁽⁷⁾ واشتهر جبل شعران بزراعته⁽⁸⁾ وأيضاً جزيرة ابن عمر⁽⁹⁾، وانتشرت الأعناب في أعالي الموصل بالقرب من دير مانخايل المشرف على دجلة⁽¹⁰⁾، أما قرية الفضيلة الواقعة في نواحي شرقي الموصل وأعمال نينوى فقد كثرت فيها البساتين ومن أبرزها الكروم⁽¹¹⁾، ويوجد في مدينة اسعد القريبة من مدينة ميفارقين الكروم التي توجد بكثرة

(1) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(2) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 3، ص 310.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 199، 203؛ المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 227.

(4) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(5) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 78.

(6) شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الدمشقي ت. 727هـ/1327م. (1865م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية، بطرسبورغ، ص 192.

(7) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(8) ابن فقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني ت. 340هـ/951م. (1885م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ص 130.

(9) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 3، ص 310.

(10) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 2، ص 531.

(11) البغدادي. (1991م): مراسد الاطلاع، ج 3، ص 1038.

بالقرب من دير أحويشا⁽¹⁾، وكانت الكروم الكثيرة تحيط بمدينة ميفارقين⁽²⁾، واشتهرت مدن طابان والجحشية وتنينير والعبودية الواقعة على ضفاف نهر الخابور بالأشجار والكروم⁽³⁾، وانتشرت هذه الزراعة أيضاً في قرية السلامية التي كانت من أكبر قرى مدينة الموصل وأحسنها⁽⁴⁾، وكان يصنع منه الزبيب والخل.

• **التفاح:** وقد اشتهرت بزراعته الجزيرة الفراتية كثيراً حيث وصفت بعض أنواعه بأسماء مدن الجزيرة، وقد انتشرت زراعته في قرية القريشية الواقعة بالقرب من جزيرة ابن عمر وأطلق على تفاحها تسمية التفاح القريشي نسبةً إليها وذلك لجودته⁽⁵⁾، أما مدينة الرها فقد كانت كثيرة الفواكه وقد كثر فيها شجر التفاح⁽⁶⁾، وكذلك اشتهرت قرية دامان التي تقع بالقرب من مدينة ميفارقين بزراعته فقد كان ينسب إليها التفاح الذي يضرب المثل به لجودته وحمرة⁽⁷⁾، وتميزت الموصل بزراعته فقد كان يجمع منها العتيق والجديد⁽⁸⁾.

الرمان: كانت الموصل أكثر البلدان شهرة فيه، فالرمان يبقى فيها إلى أن يدرك العتيق الجديد⁽⁹⁾، وزرع في جزيرة ابن عمر أيضاً الرمان الكبير⁽¹⁰⁾، وكان يجلب من قرية شرملة الواقعة بالقرب من نواحي قلعة شوش

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 497.

(2) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 331؛ القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص 360.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 222.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 234، 338.

(5) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج4، ص 337.

(6) الحميري. (1980م): الروض المعطار، ص 273.

(7) البغدادى. (1991م): مراسد الاطلاع، ج2، ص 510.

(8) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ت. 637هـ/1239م. (1963م): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، نح: عبد القادر أحمد طليعات، مكتبة المثنى، بغداد، ص 78.

(9) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145؛ ابن الأثير. (1963م): التاريخ الباهر، ص 78.

(10) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

قرب الموصل ولذلك سمي الرمان فيها بالرمان الشوشي⁽¹⁾، وقد كانت مدينة سروج مليئة بشجر الرمان⁽²⁾، وانتشر أيضاً في مدينة اسعد⁽³⁾.

• **النخيل:** زرع شجر النخيل في سنجار⁽⁴⁾، وذكر المؤرخ الدمشقي أبو شامة أن قرقيسيا وعانة والكبيسات والمعمر والعين وشفاتا فيهم نخل كثير ومن هذه القرى كان يجلب التمر إلى الشام⁽⁵⁾، كما تميزت باعشيقا بزراعته⁽⁶⁾، وكانت مدينة الرحبة كثيرة الثمر وأبرز أشجارها النخيل⁽⁷⁾، وانتشرت زراعته في قرية السلامية الواقعة في الموصل⁽⁸⁾.

• **التين:** اشتهرت في زراعته جزيرة ابن عمر⁽⁹⁾، وكان في قرية شاقرد تين لا يوجد مثله في غيرها⁽¹⁰⁾، وانتشرت زراعته في مدينة إسعد⁽¹¹⁾ وفي مدينة نصيبين⁽¹²⁾.

• **السفرجل:** كانت مدينة سروج مليئة بشجر السفرجل⁽¹³⁾، وكان يجلب من مدينة الرحبة⁽¹⁴⁾، واشتهرت

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 234 ، 338.

(2) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 78.

(3) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 331؛ القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص 360.

(4) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 53 .

(5) أبو شامة. (1997م): الروضتين في أخبار الدولتين، ص 151.

(6) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص 325، ص 418 .

(7) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 227 .

(8) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 234 ، 338 .

(9) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(10) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج3، ص 310 .

(11) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 331؛ القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص 360.

(12) عبد الباقي، أحمد. (1991م): معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، ص 113.

(13) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 78.

(14) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 140.

بزرعته مدن طلبان والجحشية وتينير والعبيدية ⁽¹⁾، • العناب: وقد وجد بكثرة في مدينة الرها ⁽²⁾،

• البندق: انتشرت زراعته في جبل سنجار ⁽³⁾ وفي مدينتا اللباب وجيزان الواقعتان في ديار بكر ⁽⁴⁾.

• الخوخ: اشتهرت به مدينة سروج ⁽⁵⁾، • الشاه بلوط ⁽⁶⁾: ويسمى في العصر الحاضر بالكستناء، وانتشرت زراعته في نصيبين وهو أكبر من البندق وليس بمدور ⁽⁷⁾، وكانت جيزان غنية به وكان أفضل شاه بلوط في الجزيرة والعراق ⁽⁸⁾، • النارج: وهي شجرة معمرة من جنس الحمضيات وتشبه الليمون، وقد تميزت مدينة باعشيقا بزراعة هذه الشجرة ⁽⁹⁾، • الفستق: انتشرت زراعته في ديار بكر ⁽¹⁰⁾، • الكمثرى: وقد كثر في مدينة سروج ⁽¹¹⁾ وفي جبل شعران ⁽¹²⁾ واشتهرت به الموصل أيضاً إذ كان يجمع منها العتيق والجديد ⁽¹³⁾.

(1) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 222.

(2) الحميري. (1980م): الروض المعطار، ص 273.

(3) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 2، ص 331؛ القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص 360.

(5) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 78.

(6) الشاه بلوط: أو القسطل: وهو شجر من الفصيلة البلوطية، له ثمر كثير النشاء ويؤكل مشوياً، ويعرف في مصر بأبي الفروة، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 134.

(7) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(8) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 2، ص 331؛ القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص 360.

(9) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 1، ص 325، ص 418.

(10) العمري. (2003م): مسالك الأبصار، ج 1، ص 305.

(11) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 78.

(12) ابن فقيه. (1885م): مختصر كتاب البلدان، ص 130.

(13) ابن الأثير. (1963م): التاريخ الباهر، ص 78.

• الأترج⁽¹⁾: زرع في جزيرة ابن عمر ⁽²⁾•البطم: وقد زرع في بعض مناطق ديار بكر ولاسيما في نصيبين⁽³⁾، وقامت على الفواكه صناعة العصائر والفواكه المجففة.

وخارج إطار المدن والقرى، أي في المناطق الخلوية والبراري وعلى مجاري الأنهار وعلى سفوح الجبال والسهول حيث تنهمر الأمطار شتاءً كانت تكثر الغابات التي يأتي نموها تلقائياً من دون تدخل الإنسان وهي متعددة الأجناس والأحجام، وأهم أشجارها الصنوبر ⁽⁴⁾.

2 - البقوليات والخضراوات :

وتأتي بعد الأشجار المثمرة في الأهمية من حيث قيمتها الغذائية واعتماد أهل الجزيرة الفراتية عليها في غذائهم ولذلك انتشرت زراعتها في جميع نواحي الجزيرة الفراتية وتتمثل في البقوليات وهي العدس والحمص و الباقلاء والماش واللوبيا والفاصوليا ⁽⁵⁾ وأما الخضار فتضم الجزر والسلق والشلجم ⁽⁶⁾ والخيار والبصل والثوم والباذنجان والفجل وكانت تزرع في بساتين الخضرة في الموصل ⁽⁷⁾، وانتشر في مدينة آمد جميع أنواع الفاكهة والخضر والبقول وغيرها الكثير ⁽⁸⁾.

(1) الأترج: ويطلق عليه أيضاً التفاح الماهي نسبة إلى بلاد ماه التي تضم همذان ونهاوند، وهو شجر يعلو بشكل كبير، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبير، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء، ويسمى في عصرنا بشجر الكباد، ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي ت. 687هـ/1288م. (2002م): الشامل في الصناعة الطبية، تح: يوسف زيدان، جزأين، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، ج1، ص143؛ نخبة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ص 4.

(2) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(3) العمري. (2003م): مسالك الأبصار، ج1، ص 305.

(4) الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان. (2007م): الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، ص 199.

(5) الماش: جنس نباتات من القرنيات الفراشية يشبه اللوبياء ، له حب أخضر مدور أصغر من الحمص، يكون بالشام والهند، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 891 .

(6) الشلجم: أو السلجم، وهو اللفت، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 492 .

(7) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 196.

(8) الفارقي. (1959م): تاريخ الفارقي، ص 224.

وكان الناس على ضفاف نهر دجلة يقومون ببناء قبب من القصب وسط الماء يسمونها السواريق ويبيتون فيها ليالي الصيف ويكون هواؤها في غاية الطيب، وإذا نقص الماء وظهرت الأرض زرعوا بها القثاء والخيار، فتكون حول القباب مقثاة ويبقى ذلك إلى أول الشتاء ⁽¹⁾، وانتشرت زراعة القثاء أيضًا في مدينة ترع عوز وهي من القرى المشهورة في حران حيث كان ينسب إليها نوع من القثاء وكان يزرع بعلًا أي من دون استخدام المياه في زراعته ⁽²⁾، وكانت قرية برطلي الواقعة شرقي مدينة الموصل مليئة بالبقول والخس الجيد الذي كان يضرب المثل فيه ⁽³⁾.

3 - النباتات والورود :

زينت الورود الجميلة معظم أراضي الجزيرة الفراتية إذ كانت مدينة نصيبين مخصوصة بالورد الأبيض الذي يعم ماء الورد الذي يستخلص منه بلاد الدنيا ويفضل على سائر أنواعه ،وقد كانت مدينة رأس العين غنية بالنيلوفر الكبير وهو نوع من الرياحين ويتميز بالألوان المختلفة والمبهجة ⁽⁴⁾.

وينتشر نبات النيلوفر أيضًا في قرية زراعة شرقي الموصل إذ ينبت في عينها نبات النيلوفر ويعد نوعًا من أنواع دخل القرية، ويضمنه العامل في القرية بمال ⁽⁵⁾، وكانت تستخدم لعلاج الأمراض الجلدية.

وعرفت جل مناطق الجزيرة بجميع أنواع الزهور ولاسيما القرنفل والجوري والورد والبنفسج ⁽⁶⁾، حيث انتشر البنفسج بكثرة في الموصل ⁽⁷⁾، وزرع الزعفران بالقرب من معلثايا في دير الزعفران حيث انتشرت به المزارع

(1) القزويني.(د.ت): آثار البلاد، ج1، ص 426.

(2) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص23.

(3) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 385.

(4) المغربي، نزر الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي ت. 685هـ/1286م. (1958م): بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان، ص 44، 89.

(5) القزويني.(د.ت): آثار البلاد، ص 383.

(6) الصالح.(1996م): النظم الإسلامية، ص 380.

(7) ابن الأثير.(1997م): الكامل، ج10، ص 406.

والبساتين وفرشت أرضه من زهر الزعفران ، وكانت تكثر زراعته في ديار بكر وكان يوصف بالزعفران ذي الشعر الفائق⁽¹⁾.

وأيضاً انتشر الآس⁽²⁾ والنجس بالقرب من دير الكلب وهو على سفح جبل بالقرب من معلثايا، وزرع أيضاً السرو والآس والرياحين والنجس في مدينة بلد بالقرب من دير أبي يوسف⁽³⁾، وانتشر في مدينة الرقة القيصوم والشيخ⁽⁴⁾ ، وقد تحدث الأزدي عن جمال مدينة نصيبين وأنها مليئة بالأعشاب وغرائب الأزهار ومنها نبتة شقائق النعمان⁽⁵⁾، وكان لهذه الورود دور في انتشار صناعة العطور.

والواضح أن بلاد الجزيرة قد احتوت على معظم أنواع المحاصيل الزراعية؛ وذلك نتيجة لتوفر المياه فيها وتنوع المناخ والتربة، واهتمام الدول التي قامت على أرضها بالزراعة، لتقوية اقتصادها وتأمين حاجاتها وقد كانت هذه المحاصيل مواد أولية اعتمدت عليها العديد من الصناعات المتميزة التي اشتهرت بها الجزيرة الفراتية.

ثانياً: الثروة الحيوانية:

نتيجة لانتشار المراعي الخضراء في الجزيرة الفراتية، وغناها بالأعشاب الكثيفة والغابات الحراجية الواسعة والأشجار المثمرة في معظم مناطقها وأيضاً وفرة المياه فيها والمناخ المعتدل والملائم، كل هذه العوامل جعلت من الجزيرة الفراتية مكاناً ملائماً لتربية معظم أنواع الحيوانات البرية والمائية، وقد سمحت للأهالي في

(1) العمري.(2003م): مسالك الأبصار، ج1، ص 305.

(2) الآس: شجر دائم الخضرة، أوراقه لونها أبيض أزهرى أو وردي، عطري، وثماره تؤكل أو تجفف فتكون من التوابل، نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 1.

(3) العمري.(2003م): مسالك الأبصار، ج1، ص 322، 324.

(4) الشيخ: نبات سهلي من الفصيلة المركبة، رائحته طيبة وقوية، وهو كثير الأنواع وترعاه الماشية، نخبة من المؤلفين.(2008م)، المعجم الوسيط، ص 502.

(5) الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي ت. 613هـ/1216م.(1970م) بدائع البدان، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ص 209.

مناطق السهول والهضاب وفي البادية بتربية الحيوان، فقد كانت الجزيرة مليئة بالمواشي من الكراع والحيوانات السائمة⁽¹⁾ والأغنام⁽²⁾، إذ كانوا يستفيدون اقتصاديًا من حليبها وأصوافها وجلودها وكانت مصدرًا أساسيًا لغذاء السكان ومصدر المعيشة الرئيسي لبعض السكان في العديد من المناطق.

واشتهرت الجزيرة بتربية الخيول الأصيلة وتصديرها إلى البلدان الأخرى وقد استخدمت في الحروب وممارسة هواية الفروسية وفي لعب الكرة، وقد ذكر أبو يوسف في كتابه قصة الأعرابي التغلبي في إقليم الجزيرة الذي قدرت فرسه بقيمة عشرين ألف دينار⁽³⁾ وهذا دليل آخر على أصالة هذه الخيول وقيمتها الكبيرة. وكانت تكثر الأسماك في الأنهار ولاسيما في نهر دجلة وروافده فكانت تصطاد وتباع طرية أو تجفف وتملح وتصدر⁽⁴⁾، وأبرز أنواع الأسماك هو سمك الطرخ والرنكة والشبوط .

ثالثاً: التجارة في الجزيرة الفراتية :

كانت التجارة في مناطق المشرق العربي الإسلامي ولاسيما في الجزيرة الفراتية متميزة جدًا في العصور الوسطى وذلك لوقوعها على خط التجارة العالمي وعلى طريق الحرير الذي أسهم في إنعاش هذه المنطقة وإغنائها وأيضاً فهي على طرق القوافل لذلك كانت ممثلة بالأسواق المنظمة التي تحتوي على كافة البضائع وأجودها وكانت هناك أيام محددة لكل سوق ومنظمة بشكل كبير .

وسوف تولى التجارة اهتماماً في هذا البحث نظراً إلى تأثيرها الكبير في الصناعة من حيث تأمين المواد الأولية من جهة، ومن جهة أخرى تصريف البضائع والسلع المصنوعة في إقليم الجزيرة الفراتية خصوصاً لاسيما أن هناك بعض الصناعات كانت متميزة ومشهورة وتلاقي رواجاً وطلباً كبيرين من التجار.

(1) الكراع: فهي الخيل والحمير والإبل، أما الحيوانات السائمة فهي : الغنم والبقر والماعز، الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي.(1977م): الإشارة إلى محاسن التجارة، تح: البشري الشوربجي، مطبعة الغد، ط1، الإسكندرية، 1977م، ص 18.

(2) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 216.

(3) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم ت. 182هـ/798م.(1979م): الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص 136.

(4) نخبة من المؤلفين: موسوعة الموصل، ج2، ص 318.

1 - أهم ما ذكره الرحالة والجغرافيون عن أوضاع التجارة في الجزيرة الفراتية:

يذكر المقدسي 366هـ / 977م الرقة: أنها كانت حسنة الأسواق، وكان موازينها يضرب بها الأمثال بدقتها، وأنها رخيصة الأسعار وميرة العراق أكثرها تأتي منها، وذكر عن الموصل أنها بلد جليل فيها الأسواق والفنادق الحسنة وأنها كانت تمر منها القوافل، وأيضاً فقد انتشرت الأسواق في تل فافان ومعلثا وعرابان إذ كانت تتميز بالأسواق المتنوعة⁽¹⁾.

أما ابن حوقل 367هـ / 977م : فيذكر أيضاً أن الجزيرة تتميز برخص الأسعار، وأن فيها العقارات المسقوفة من الخانات والحمامات والحوانيت، وأن الموصل تتميز بأن أسواقها واسعة وفخمة وبعضها أسواق على أغلب أيام الأسبوع يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء وأنه كان في السوق المئة حانوت وأكثر من ذلك أيضاً، وأن فيها الفنادق والمحال والحمامات، وفي الموصل أسواق لها مواقيت محددة لكي تحضر فيها للأسواق ولكل نوع من البضائع موعد محدد ويجتمع فيها المتاع وسائر التجار من البلدان المختلفة، وأكد رخص الأسعار في أكثر من مكان؛ في مدينة سنجار وفي أسواق قرقيسيا من ديار ربيعة وفي أسواق ديار مضر، وأنه يوجد تحت حصن كيفا ربضٌ عامر بالأسواق والحمامات والفنادق الحسنة وقد بُني بالحجر والجص⁽²⁾.

وفي زمن ابن جبير 614هـ / 1218م بني داخل بلدة الموصل وفي سوقها قيسارية للتجار وكأنها الخان العظيم تنغلق عليها أبواب الحديد وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض، وقد تجلى ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له فما أرى في البلاد قيسارية تعادلها، وأن مدينة دنيسر كان يأتيها التجار من بلاد الشام وبلاد الروم وما يليها وقد كان لها مرافق كثيرة وقد كان بها أيام الخميس والجمعة ويوم السبت سوق حافل يجتمع فيه أهالي البلدان المجاورة لها والقرى المتصلة بها، لأن الطريق كله

(1) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 136، 143 .

(2) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 191، 194، 199، 202 .

من اليمين والشمال مليء بالقرى المتصلة وبالخانات المشيدة ويسمون هذا السوق المجتمع إليها من كل الجهات بالبازار، وكانت أيام كل سوق به معلومة⁽¹⁾.

وقال ياقوت الحموي 626 هـ / 1229 م عن الموصل أنه وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا وجد فيها، وكان فيها عشرات الخانات الكبيرة، والقيساريات والمحلات التجارية الواسعة المملوئة بما يصدره الشرق والغرب، وكان بها أربعة أسواق فأكثر - لكل صنف من البضاعة⁽²⁾.

وذكر العمري 749 هـ / 1349 م: أن عدد أسواق الموصل الكبيرة كان 36 سوقاً، وكان في الموصل قيسارية خاصة لبيع الروائح العطرية وتسمى قيسارية المسك وفيها 12 دكاناً، ومن القيساريات الكبيرة الشهيرة كانت قيسارية الجامع النوري، وكان فيها 699 دكاناً، والقيسارية التي بناها مجاهد قيمان الرومي⁽³⁾ المتوفي سنة 595 هـ / 1198 م⁽⁴⁾.

2 - أبرز مراكز التجارة في الجزيرة الفراتية :

كانت المراكز التجارية في الجزيرة الفراتية كثيرة جداً وذلك لتحكمها بطرق تجارية متعددة ومهمة وأيضاً بسبب حاجتها لعرض بضائعها المتنوعة وبيعها للبلدان المجاورة وستعرض أبرز هذه المراكز وهي:

أ - الموصل : قال العمري أنه كان في الموصل 250 سفينة عدا الأكلاك⁽⁵⁾، وذكر أيضاً أن عدد حاملات

(1) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 194 .

(2) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج5، ص 223.

(3) مجاهد الدين: قايماز بن عبدالله الزيني أبو منصور، الملقب بمجاهد الدين: أمير من المماليك، أصله من سجستان، أخذ منها صغيراً واسترق، وأعتقه والد الملك المعظم صاحب إربل، وجعله أتابك أولاده وفوض إليه أمور إربل سنة 559 هـ/1163م وانتقل إلى الموصل سنة 571هـ/1175م وسكن قلعتها وتوفي بها، الزركلي. (2002م): الأعلام، ج5، ص 188.

(4) العمري. (1955م): منية الأدياء، ص 68.

(5) الأكلاك: هي وسيلة نقل نهريّة وقد كانت تصنع من سيقان الأشجار مربوطة بشدة، أو من عدد وافر من جلود الماشية المنفوخة لتحمل المزيد من الأثقال فوقها، التي تربط معاً بواسطة حبال على شكل أقرب إلى المربع وتغطي بمنصة من القش وهو لا يحوي ولا مسمار ولا أية قطعة حديدية وقد كانت تحمل الأشخاص والبضائع فوقه، ويسير بواسطة التيار النهري، وعند محطته الأخيرة يفكك وتباع أخشابه للتجار، ومن ثم يقوم البحار بصنع واحد جديد، إسماعيل، عامر بلو. (2009م): الأكلاك في الموصل من خلال كتب الرحلات، مجلة دراسات موصليّة، العدد السادس والعشرون، الموصل، آب، ص 129 - ص 143.

السفن والأكلاك 18⁽¹⁾، ومن الموصل كانت تخرج القوافل العديدة إلى بلاد سورية محملة ببضائع الشرق وحاصلاته، وتسير إلى سواحل بحر الروم، ومن موانئ هذا البحر يأخذها التجار التابعين لمدينة جنوى والبندقية وأهل مرسيليا ويصدرونها إلى بلاد أوروبا، وهكذا صارت الموصل من المدن التجارية الكبرى في العالم آنذاك .

وعنها قال ياقوت: هي محط الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاث: نيسابور؛ لأنها باب الشرق، ودمشق؛ لأنها باب الغرب، والموصل؛ لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها⁽²⁾.

ب - دنيسر: وهي تقع بجانب ماردين وقد وصفها ابن حوقل بأن فيها سوق واسع، وبأنها كانت في البداية قرية يجتمع الناس في صحرائها كل يوم أحد للبيع والشراء ثم بعد ذلك تطورت كثيراً، فقد بنيت فيها الفنادق والخانات والأسواق المختلفة والحمامات وذلك من أجل تشجيع التجار، وأصبحت من أهم المراكز التجارية وقد كانت البضائع تأتيها من البلدان كافة وقد سكنت بها الطوائف المختلفة من البلدان المختلفة، وقد ظهرت بها الضرائب والضمانات المختلفة على التجارة⁽³⁾، ويذكرها ابن جبير أثناء زيارته لها في عام 580 هـ / 1184م أنه عندما مرّ منها هو وقافلته أرادوا رؤية سوقها وكان فيها أيام الخميس والجمعة والسبت والأحد سوق ضخم يجتمع فيه أهل الجهات المجاورة لها والقرى المتصلة بها، فقد كان الطريق إليها كله يميناً وشمالاً قرى متصلة وخانات مشيدة، وقد كان يسمى هذا السوق المجتمع إليها من كل الجهات بالبازار⁽⁴⁾، وذكرها الحموي في أثناء زيارته لها في عام 623 هـ / 1226م أنها كانت من أعظم الأمصار كبراً وكثيرة الأهالي

(1) العمري.(1955م): منية الأدباء، ص 68.

(2) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج5، ص 223.

(3) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 224.

(4) ابن جبير.(د.ت): رحلة ابن جبير، ص 194.

وعظيمة الأسواق⁽¹⁾ .

ج - نصيبين: مثلت التجارة أهم الفعاليات الاقتصادية في نصيبين إذ تهيأ لهذه المدينة أن تبرز في هذا المجال نظراً إلى موقعها الممتاز الذي تمتعت به على طريق القوافل التجارية من الموصل إلى الشام، ولثرواتها الطبيعية ونشاطها الزراعي المتنوع، وأسواقها الكثيرة التي تباع البضائع المختلفة وكل هذا مهد أن تكون المدينة واحدة من أهم المراكز التجارية في الجزيرة الفراتية ومحطاً لقوافل التجار من البلدان المختلفة⁽²⁾.

د - الرقة : كانت الرقة من أهم المراكز التجارية في الجزيرة الفراتية وذلك لمرور أهم الطرق التجارية منها وموقعها المتميز بين الشام والعراق، وازدهارها زراعياً وصناعياً، وكثرة أسواقها وهذا دليل أيضاً على قوتها اقتصادياً والنمو التجاري الكبير بها فمن أهم الأسواق بها سوق دير الرمان الواقع بين الرقة والخابور وهو من أسواق البادية وتنزلها القوافل القاصدة من العراق إلى الشام⁽³⁾ وسوق هشام العتيق⁽⁴⁾ وسوق تل محرى الذي كان يحتوي على الكثير من الحوانيت وسوق الأحد⁽⁵⁾ وغيرها من الأسواق الشهيرة التي شجعت العديد من الشخصيات المهمة أن يتخذوها مسكناً لهم ومنهم الخليفة هارون الرشيد الذي نقل مقر الخلافة لمدينة الرقة ونقل العديد من الأسواق إلى هذه المدينة وهذا أسهم في نهضتها تجارياً واقتصادياً .

3 - الأسواق في الجزيرة الفراتية :

إن الأسواق هي أقدم أشكال النظم التجارية وهي على ثلاثة أنواع : أسواق محلية وموسمية وسنوية ومعظم أسواق الجزيرة الفراتية هي محلية ودائمة ولها أيام معينة في الأسبوع وقد اتخذت صفة التخصص ببيع

(1) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص 487.

(2) السبعوي، حنان عبد الخالق علي.(2003م): مدينة نصيبين في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف : عبد الجبار أحمد، منشورات جامعة الموصل، ص 138.

(3) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص 511.

(4) البلاذري.(1988م): فتوح البلدان، ص 180.

(5) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص 43.

أنواع معينة من السلع .

أما أبرز الأسواق المحلية في الجزيرة فهي :

أ - سوق الأربعاء : وهو من الأسواق المشهورة جدًا في الموصل ورد ذكره عند ابن الأثير عندما حدث فيضان الموصل سنة 232هـ / 864م " زادت مياه نهر دجلة زيادة عظيمة فوصل الماء إلى الرضف الأسفل وشاطئ النهر وسوق الأربعاء " (1).

ب - سوق الحشيش: وكانت تباع في هذا السوق أنواع أعلاف الحيوانات جميعها، ورد ذكره عند الأزدي في حوادث سنة 207هـ / 822م فنذكر أن سوق الحشيش يقع بجانب ناحية دور أبي وهب في الموصل، وذكر مرة أخرى عندما حج إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن العباس وهو صاحب خان إبراهيم بن يحيى في الموصل وكان قريباً من سوق الحشيش (2).

وورد ذكره أيضاً عند ابن الأثير في حوادث سنة 260هـ / 873م عندما حصلت الفتنة بين أهالي الموصل واستكين أحد قادة الأتراك الكبار إذ حرق سوق الحشيش (3) .

ج - سوق البزازين : يضم الحوانيت التي يوجد بها أنواع الأنسجة والأقمشة جميعها، ورد ذكره عند الأزدي في حوادث سنة 167هـ/ 783 م عندما زاد الخليفة المهدي على المسجد الجامع بالموصل إذ أمر بهدم السوق الداخل للبزازين، وأضافه إلى المسجد (4) .

د - سوق الدواب : وكان مخصصاً لبيع الدواب وشرائها، وورد ذكره عند ابن الخطيب البغدادي حين قال

(1) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 6، ص 95.

(2) الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس ت. 334هـ/ 946م. (2006م): تاريخ الموصل، تحقيق : أحمد عبدالله محمود، جزأين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج1، ص 207.

(3) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج6، ص 248.

(4) الأزدي. (2006م): تاريخ الموصل، ج1، ص 207، 469.

" أن نهر موسى ينقسم إلى ثلاثة أنهار عند موضع يقال له مقسم الماء ويمر الأول منها بباب سوق الدواب ويمر شيء منه إلى باب سوق الغنم " (1).

هـ - سوق دنيسر : يوجد بجانب مدينة ماردين وكان يجتمع فيه الناس في كل يوم أحد للبيع والشراء ويوجد بجانبه الحانات والفنادق، وكانت تجلب إليه البضائع من البلدان كافة (2).

و - سوق السراجين : ورد ذكره عند الأزدي في حوادث سنة 167هـ / 783 م عندما زاد الخليفة المهدي على المسجد الجامع في الموصل إذ أمر بهدم سوق السراجين وأيضًا البزازين وإضافتها إلى المسجد (3).

ز - سوق الطعام وسوق الأساكفة : وكان سوق الطعام مخصصًا لبيع الأطعمة المختلفة والفواكه والخضراوات واللحوم والمؤن والسمن والحبوب، وسوق الأساكفة كان مخصصًا لبيع الأحذية وتصليحها، وقد ذكروا في حوادث سنة 317هـ / 929 م عند ابن الأثير حين حدث اقتتال بين أصحاب سوق الطعام وأصحاب سوق الأساكفة إذ قام أصحاب سوق الطعام بحرق سوق الأساكفة وقتلوا عدداً منهم (4).

ح - سوق الصاغة : تخصص هذا السوق ببيع وشراء المجوهرات والحلي من الذهب والفضة ورد ذكره عند العمري حين قال أن مرقد العباس بن مرداس يقع في جوار سوق الصاغة (5).

ط - أسواق مختلفة: وهناك أيضًا سوق القبة في ميفارقين نسبة إلى القبة التي فوقه، إذ تتفرع منه الأسواق إلى الجهات جميعها (6)، وأيضًا سوق البز في الموصل نسبة إلى نسيج البز، إذ يعرض ويبيع فيه هذا القماش دون غيره، وسوق العطارين الواقع في نصيبين الذي يحتوي على حوانيت لبيع السكر والعقاقير والبضائع والسلع

(1) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ت. 463هـ/1071م. (1996م): تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 24 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص 127.

(2) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 202.

(3) الأزدي. (2006م): تاريخ الموصل، ج1، ص 469.

(4) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج7، ص 57.

(5) العمري. (1955م): منية الأدباء، ص 100، 104.

(6) الفارقي. (1959م): تاريخ الفارقي، ص 165.

المشابهة كافة، وسوق العطر الذي يحتوي حوانيت العطور والبخور، وسوق الصوافين الذي يباع في حوانيته الصوف والغزل والوبر وشعر الماعز والجلود المجففة والفرو وسوق النشابين نسبة إلى النشاب الذي يقع في نصيبين، وتباع فيه أنواع الأسلحة جميعها من سكاكين وتروس ورماح وسيوف وخناجر، وهناك أيضاً سوق التركمان وهو مخصص لهذه الطائفة، وهناك سوق اسمه سوق عديم كانت تباع فيه الأدوية والعقاقير⁽¹⁾، وكان في الموصل خان يسمى خان القطن يقع في السوق العتيق في المدينة⁽²⁾، وكان في قرية باجبارة شرقي مدينة الموصل سوق كبير وفي قرية باعشيقا بالقرب من الموصل كان بها سوق عظيم وفيه حمامات وقيسارية يباع فيها البز⁽³⁾، وكان هناك أسواق للبادية في مدينة الرقة، أما دوغان فهي قرية كبيرة بين رأس العين ونصيبين وكانت سوقاً لأهل الجزيرة يجتمع إليها أهلها في كل شهر مرة⁽⁴⁾، وقد انتشرت في قرية السلامة التي كانت من أكبر قرى الموصل الحمامات وكان بها قيسارية للبز⁽⁵⁾، وقرية باشزى الواقعة في الموصل قرب برقعيد كان فيها سوق كبير وبازار وكانت تنزلها القوافل، وسوقها يقام في كل يوم خميس وإثنين⁽⁶⁾، وكانت قرية كرمليس الواقعة شرقي الموصل تحوي سوقاً عامراً بالتجار، وكانت كثيرة الغلة والسكان⁽⁷⁾، وكانت قرية برطلى الواقعة شرقي الموصل كثيرة الأسواق والبيع والشراء والخيرات ويبلغ دخلها كل سنة عشرين ألف دينار⁽⁸⁾، وقد أصبح عدد أسواق الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ 606-660هـ/1209-1261م ستة وثلاثين سوقاً⁽⁹⁾.

(1) محمد.(1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 324.

(2) الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي ت. 611هـ/1214م.(2002م): الإشارات في معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، ص 63.

(3) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 312، 325.

(4) البغدادي.(1991م): مراصد الاطلاع، ج2، ص 541، ص 560.

(5) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج3، ص 234.

(6) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 322.

(7) العمري.(1955م): منية الأدباء، ص 161.

(8) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 385.

(9) العمري.(1955م): منية الأدباء، ص 67.

أما النوع الثاني من الأسواق فهو الأسواق الموسمية، كانت تعقد في مواسم ورود التوابل من الهند والصين لأسواق مصر والشام وجدة ومكة، وتخضع في ذلك لمواعيد هبوب الرياح الموسمية، ويكون قدومها في مواعيد سنوية لا تتغير .

والنوع الثالث من نظام الأسواق هو الأسواق السنوية وقد كانت محلية وعالمية واشتهرت بها موانئ العصور الوسطى ومدنها في الشرق والغرب، وكانت تعقد في مناسبات معينة ⁽¹⁾.

4 - أهم الصادرات والواردات :

تنوعت الصادرات في الجزيرة الفراتية؛ وذلك لغنى أرضها والصناعات المتعددة التي كانت منتشرة فيها إذ كانت تصدر الحنطة، والشعير والعسل والمن ⁽²⁾ والسماق، والحديد، والأسطال، والسكاكين، والنشاب، وكانت تصدر أيضاً الخيل الأصيلة، ومن مدينة سنجار اللوز والرمان والقصب، ومن الرقة الصابون والزيت وقصب الأقالام، ومن آمد ثياب الصوف والكتان، ومن معلثايا الألبان والفحم والأعشاب والفواكه الرطبة والقنب ومن حران الموازين والقطن والعسل ⁽³⁾.

وصدرت آمد حجارة الأرحية النادرة التي يصنع منها الأرحاء (الطواحين) التي على الأنهار وهذه الحجارة ليس في الأرض كلها نظير لها، إذ كان الحجر الواحد يساوي خمسين ديناراً أو أكثر ⁽⁴⁾.

أما الواردات التي كانت ترد إلى الجزيرة الفراتية والعراق فهي البسط والسجاد من إيران، والمنسوجات الحريرية من بلاد ما وراء النهر، والتوابل والعقاقير من الهند، والديباج من الصين والمنسوجات الحريرية

(1) فهمي، نعيم زكي. (1973م): طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، المكتبة العربية، القاهرة، ص 283 .

(2) المن: مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار كالأثل، وكان ينعد ويصف جفاف الصمغ، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 888.

(3) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(4) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 201 .

والقطنية وزيت الزيتون من بلاد الشام، وبعض المنسوجات القطنية والصوفية من مصر، ومن الجزيرة العربية الأحذية والنعام، ومن أرمينيا السجاد والستائر⁽¹⁾.

5- الأوزان والمكاييل :

أما بالنسبة إلى المكاييل والمقاييس التي كانت تستخدم في التجارة في الجزيرة الفراتية فهي كثيرة جداً وكانت تتميز بالدقة وقد أسهمت في تسهيل البيع والشراء ومنها: المد⁽²⁾، والمكوك⁽³⁾، والقفيز⁽⁴⁾، ومن المكاييل أيضاً الكارة⁽⁵⁾، وقد كانت المكوك خمسة عشر رطلاً، والمد ربعه، وأما الكارة فتعادل 240 رطلاً، والقفيز ربعها، وأرطالهم بغدادية، و فرقهم بغدادي ومقداره ستة وثلاثون رطلاً⁽⁶⁾.

6- النقود :

استخدمت النقود نفسها التي كانت مستخدمة في العصر الأموي إذ انتقلت إلى العصر العباسي مع بعض التطورات في عهد كل خليفة من حيث وزن العملة المستخدمة مع تغير بسيط في شكلها ذلك أنه في الدولة العباسية ضرب عبدالله بن محمد السفاح الدراهم الفضية والفلوس النحاسية في الأنبار والدنانير الذهبية وكتب عليها السكة العباسية ولما استبد العمال كل الاستبداد، فأذنوا لعمالهم في ضرب أسمائهم على النقود

(1) الدوري، عبد العزيز. (1995م): تاريخ العراق الاقتصادي، ص 163 .

(2) المُدّ: جمعه: أمداد، ومداد ومددة، وهو مكيال اختلفت سعته باختلاف المكان والمذهب، وباختلاف وحدة القياس، والمد يساوي تقريباً 508 غرام ، ولقد سمي المد بذلك لأنه في الأصل: ملء كفي الإنسان بالحبوب، إذ هو مدهما، الخوارزمي. (1924م): مفاتيح العلوم، ص29؛ عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 522- 523.

(3) المكوك: هو مكيال اختلفت سعته حسب المكان والزمان، وهو يساوي تقريباً ثلاثة كيلو غرامات، الجوهري، إسماعيل بن حماد ت. 393هـ/1003م. (د.ت): تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج4، ص 1609.

(4) القفيز: كلمة أعجمية عربية، الجمع أقفزة وقفران، وقد اختلف مقدار القفيز زماناً ومكاناً، وفي المكاييل يساوي 13 كيلو غرام، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ت. 395هـ/1004م. (1996م): التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط2، دمشق، ص212؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ت. 676هـ/1277م. (د.ت): تهذيب الأسماء واللغات، نشره وصححه: شركة العلماء وإدارة الطباعة المنيرية، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج4، ص 100؛ عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 463 .

(5) الكارة: هو مكيال تفاوتت سعته بتفاوت واختلاف المكيل به، فكارة القمح، كانت مائتين وأربعين رطلاً، وكارة الرز كانت ثلاثمائة رطل، وكانت كارة الشعير والحمص والعدس والشوفان مائة رطل، وكارة الحبة السوداء مائة رطل، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 475.

(6) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 135، 136 .

فكان ينقش اسم الخليفة في صدر النقود ثم يليه اسم عامله ، ثم عامل عامله، مع تسمية الخليفة المستقل باسم السلطنة لتمييزه من سواه ⁽¹⁾، وكان يتراوح وزن العملة الفضية والنحاسية ما بين 7 و 10 غرامات.

ونقش أمراء بني عقيل أسماءهم على النقود في دولتهم إلى جانب اسم الخليفة، وكان أولهم أبو الدرداء محمد ابن المسيب، ثم الأمير سنان الدولة، ثم حسام الدولة، ثم معتمد الدولة، ثم شرف الدولة مسلم ابن قريش العقيلي إذ إنه لما سيطر على حران والرها وحلب سكت النقود باسمه، وأطاعه صاحب الرها، ونقش اسمه على النقود ⁽²⁾ ، ولكن أحداً منهم لم يجرؤ على ضرب النقود باسمه خالية من اسم الخليفة ⁽³⁾.

فلما بويع الخليفة المقتدر بالله سنة 329هـ / 937م ظهر في عهده بنو حمدان في الجزيرة، وكان أولهم ناصر الدولة حيث سك النقود باسمه منذ سنة 330هـ / 938م وباسم أخيه سيف الدولة ودفعت الظروف السياسية الحمدانيين إلى ضرب عملات مختلفة إذ إنهم ذكروا اسم الخليفة العباسي على بعض الدنانير إشارة منهم إلى اعترافهم بسيادته، وذكروا اسم الخليفة الفاطمي على بعضها الآخر حين خضعوا لسلطان الفاطميين، والأمراء عمدوا إلى ضرب نقود خاصة للصلوات وأخرى يصدرونها في المناسبات كما فعل سيف الدولة حين زوج ابنة أخيه ناصر الدولة ⁽⁴⁾.

واهتم أتابكة الموصل 510- 648هـ / 1116 - 1250م أيضاً بضرب النقود الخاصة بإمارتهم منذ عهد عماد الدين زنكي، ودققوا في نقاوة معدنها أي الذهب والفضة، وسار أحفادهم على نهجهم فضربوا العملات الذهبية التي تحمل أسماءهم ونقشوا عليها كتابات بالخط النسخي أو الكوفي المورق والمزهر على غرار الدنانير العباسية وضربوا الفلوس النحاسية فضلاً عن الدنانير الذهبية على أساس أنها نقود مساعدة

(1) الكرمل، أنستاس ماري البغدادي.(1939م): النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، ص122.

(2) ابن خلدون.(1988م): تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 344.

(3) مجموعة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل الحضارية، مج 2، ص 114.

(4) السامر.(1970م): الدولة الحمدانية، 344 .

تفيد في مرونة العمليات التجارية وشراء الحاجيات البسيطة وبعض عملاتهم كان عليها رسوم بشرية وحيوانية⁽¹⁾.

7- دور ضرب العملة:

انتشرت دور ضرب العملة في الجزيرة الفراتية في الدول المختلفة التي قامت على أرضها في العصر العباسي وفي أماكن عدة من أرض الجزيرة وأثبتت الحفريات ذلك الأمر والسبب في كثرة دور الضرب في الجزيرة هو رغبة كل دولة في التعبير عن استقلالها عن الخلافة ومن أجل إبراز مظاهر العظمة والترف.

انتشرت دور الضرب في الرقة وفي الرافقة فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن دراهم ضربت في الرافقة سنة 189 هـ / 804 م وكذلك في سنة 192 هـ / 807 م ويوجد على الدرهم عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) واسم الخليفة الرشيد⁽²⁾.

وقد وجدت في نصيبين في سنة 330 هـ / 941 م دراهم تعود إلى العصر الحمداني ضربت في نصيبين ثبت عليها مدينة الضرب، وتاريخ الضرب، وعبارات أخرى تمثل آيات التوحيد واسم الحاكم الذي ضربت في عهده وقد كتب على الهامش من هذه الدراهم: بسم الله ضرب هذا الدرهم في مدينة نصيبين سنة ثلاثين وثلاثمائة⁽³⁾.

وظهرت فيما بعد دار للضرب في الرافقة تعود إلى ناصر الدولة الحمداني و كانت في خلافة المطيع سنة 346 هـ / 957 م⁽⁴⁾.

(1) مجموعة من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج2، ص 184.

(2) الفيصل. (2010م): مدينة الرقة، ص 109.

(3) السبعواوي. (2003م): مدينة نصيبين، ص 146.

(1) الفيصل. (2010م): مدينة الرقة، ص 109 .

وقد قام الحكام الأتابكة بضرب العديد من النقود في مدن الجزيرة الفراتية فكل حاكم منهم قام بضرب نقود خاصة به في المدينة التي حكمها وكانت الكتابة المنقوشة على هذه النقود تتضمن اسم الخليفة العباسي مع اسم الحاكم الأتابكي وعبرة الشهادة ⁽¹⁾.

ويرجع تميز التجارة في الجزيرة الفراتية إلى موقعها المتوسط على طرق التجارة العالمية آنذاك وأيضاً بسبب اهتمام الدول التي قامت على أرضها بتقوية اقتصادها وتنويعه ويظهر ذلك من تأكيد المؤرخين على رخص الأسعار فيها وهذا يدل على عظمة اقتصادها وأيضاً تنوع الأسواق الذي يشابه تنوعها في العصر الحالي من حيث الدقة والتنظيم.

⁽¹⁾ الحسيني، محمد باقر. (1966م): العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ص 40.

الفصل الثالث :

الصناعات الغذائية والنسيجية في الجزيرة الفراتية :

أولاً: لمحة عن الصناعة في الجزيرة الفراتية في العصر الأموي.

ثانياً: أوضاع الصناعة في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي.

ثانياً: تنظيمات الصناع والحرفيين في الجزيرة الفراتية.

رابعاً: الصناعات الغذائية:

1 - صناعات على أساس مواد زراعية:

أ- صناعة الدقيق والخبز

ب- الزيت

ج- صناعة السكر

د- صناعة الفواكه المجففة

2 - صناعات على أساس مواد حيوانية:

أ - صناعة العسل

ب - صناعة الجبن والسمن والزبدة والألبان

ج- صناعة اللحم المقدد

خامساً: صناعة النسيج والملابس:

1 - الصناعات التي تعتمد على المنتجات النباتية:

أ - المنسوجات القطنية

ب - المنسوجات الحريرية

ج - المنسوجات الكتانية

2 - الصناعات التي تعتمد على المنتجات الحيوانية:

أ - المنسوجات الصوفية

ب - منسوجات الوبر والشعر

ج - صناعة المفروشات النسيجية

د - صناعة السروج والأحزمة

3 - الملابس

سادساً: الصباغة .

الفصل الثاني: الصناعات الغذائية والنسيجية في الجزيرة الفراتية.

أولاً: لمحة عامة عن الصناعات في الجزيرة في العصر الأموي:

اشتهرت الجزيرة في العصر الأموي بالصناعات القائمة على الحبوب مثل القمح والشعير حيث أقام الأمويون طواحين للحبوب على نهر دجلة، كما اشتهرت بزيت الزيتون بسبب انتشار شجر الزيتون على أرضها وقامت عليه صناعة الصابون أيضاً، واشتهر سكان الجزيرة وبالأخص المدن المسيحية بصنع الأنبذة والخمر حيث كان هنالك انتشار واسع لزراعة الكروم في الجزيرة، وانتشرت بها صناعة الفواكه المجففة والعصائر، وساعدت طبيعة المنطقة وكثرة السهول والهضاب والبراري والوديان على تربية الأغنام والأبقار فكثرت صناعة الألبان والأجبان والسمن وصناعة الجلود والألبسة، وكانت تربية النحل منتشرة في منطقة الموصل حيث كان العسل أحد المواد التي فرضها المسلمون على أهل الجزيرة في أثناء فتحها في عهد الخلفاء الأوائل، ونتيجة لانتشار معدن الحديد في الجزيرة قامت على أرضها صناعة الأسلحة وصناعة السكاكين والسلاسل⁽¹⁾.

ثانياً: أوضاع الصناعة في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي:

1 - لمحة عامة عن الصناعة في الجزيرة الفراتية:

تأثرت الصناعة في الجزيرة الفراتية بعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ساهمت في تقدمها أو في تأخرها وسيتم ذكر كل من هذه العوامل على حدة:

أ - العوامل التي ساهمت في تقدم الصناعة:

ازدهرت الصناعة في الجزيرة الفراتية بشكل ملحوظ وذلك نتيجة توفر جميع مقوماتها التي تكفل لها ذلك، فقد كان لتطور الزراعة وانتشارها دوراً كبيراً في نمو الصناعة، بالإضافة إلى الثروة الحيوانية والمواد الخام المعدنية التي انتشرت بكثرة على أرض الجزيرة وأيضاً بسبب توفر العامل الأساسي وهو الحرفيين والصناع واليد العاملة الخبيرة التي حولت هذه المواد الأولية إلى صناعات متنوعة وصلت شهرتها إلى أبعد أصقاع المعمورة وتوارثت بعض الأسر هذه المهن وحافظت على أسرارها وافتخرت بصناعاتها، ويعد موقع الجزيرة الاستراتيجي المهم من حيث تحكمها بموارد مائية مهمة وطرق تجارية عالمية مثل طريق

(1) مجموعة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل الحضارية، 5 مج، دار الكتب للطباعة والنشر، ط1، الموصل، ج 2، ص 46.

الحريز، والدعم الكبير التي تلقتها الصناعة من الأمراء والحكام حيث ساهموا بتوفير الأموال اللازمة لهذه الصناعات وخصصوا عمال للإشراف على جودة البضائع وأسعارها وبالمقابل كانت الصناعة تدعم اقتصاد البلاد من حيث تصدير العديد من البضائع المصنعة إلى البلدان المجاورة وساهم بانتشار هذه الصناعات الأسواق التي لا تحصى في الجزيرة والمتخصصة بكافة البضائع المصنعة، واهتم الخلفاء والأمراء بتأمين خدمات التجارة جميعها وتحسين ظروفها من فنادق وأسواق لتصريف المنتجات وغيرها، ومن أبرز الفنادق التي كانت في الجزيرة الفراتية فندق دار الحواكين الواقع في سوق الحشيش⁽¹⁾ في الموصل، واهتموا بديوان البريد ونظموه حيث أشرف على وضع الخيالة والرجال الذين يتمتعون بالذكاء ورجاحة العقل والشدة وقاموا بتأمين السلاح لهم من أجل إشرافهم على الطرقات وحراستها ليلاً ونهاراً في المناطق كافة لحماية التجار وبضائعهم وأموالهم لكيلا يلحقهم أذى من اللصوص وقطاع الطرق ووفرت لهم المياه، وعملت على مراقبة الأسواق لمنع الغش والمحافظة على جودة الصناعات، ومراقبة المكايل والأوزان وقد عهدوا للمحتسب بالإشراف على هذه الأمور وتنظيمها إذ اهتم بمراعاة أثمان الحاجيات منعاً للغش وابتزاز أموال الأهالي، وأيضاً مراقبة دور الطراز والإشراف على ما يتخذونه من المناسج حتى يحسنوا من جودته، وأيضاً قاموا بإصلاح الطرقات والمسالك⁽²⁾، وأصبح الفرات ودجلة شريانين مهمين داخل بلاد الخلافة العباسية، إذ حفروا قناة للملاحة تأخذ ماءها من الفرات عبر العراق، ووصلوها إلى بغداد، وأصبحت هذه القناة تربط الحاضرة العباسية بآسية الصغرى والشام ومصر، فضلاً عن القوافل التي كانت تأتي إليها من آسية الوسطى مارة ببخارى وفارس⁽³⁾، وفي بداية العصر العباسي كانت الصناعة تعيش حالة من التطور بسبب اهتمام الخلفاء بشكل كبير في الجزيرة نتيجة موقعها المهم حيث قاموا بتخفيض الضرائب أكثر من مرة وساهم ذلك في تنشيط الصناعة، وأما في زمن الحمدانيين فقد كان الاقتصاد منتعشاً نتيجة للاستقرار السياسي، وعلى الرغم من سوء الوضع العام في العصر السلجوقي فقد أحب الخلفاء الفنون الجميلة ورعوا الفنانين وحرموا أهل الحرف والصناعات للمحافظة عليها، الأمر الذي أدى إلى أن أصبح عهدهم من أزهى عصور ازدهار الفنون الإسلامية فقد بالغوا في بناء المدارس والمساجد والأضرحة والمآذن والقباب والواجهات الفخمة التي سيتم التوسع في دراستها في فصل

(1) الأزدي. (2006م): تاريخ الموصل، ج2، ص 157.

(2) أرسلان، شكيب. (2010م): المختار من رسائل أبي اسحاق الصابي، الدار التقدمية، ط1، الشوف، بيروت، ص111-115.

(3) حسن، إبراهيم حسن. (1996م): تاريخ الإسلام، ج2، ص 256.

الصناعات المختلفة فقرة صناعة مواد البناء ⁽¹⁾، وازدهرت الصناعة في أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر ميلادي نتيجة هجرة الكثير من الصناع وأهل الحرف من مصر إلى الموصل على أثر المجاعة التي حصلت فيها سنة 595هـ/1198م ⁽²⁾.

ب- العوامل التي أدت إلى ضعف وتأخر الصناعة:

كانت الصناعة تمر بمراحل ضعف وجمود ومن أهمها تعدد الولاة على مناطق الجزيرة والخلافتات العديدة التي كانت تقوم بينهم وقصر مدة حكم بعض الولاة وأيضاً هجمات البيزنطيين العديدة على أرض الجزيرة الشمالية وحالة القلق وعدم الاستقرار التي ترافق هذه الاعتداءات، وقد ساء الوضع الاقتصادي وبالأخص الصناعة حيث تراجعت زمن العقليين؛ نتيجة اضطراب الوضع السياسي وانتشار النظام الاقطاعي والفساد الإداري والنزعات العنصرية والمذهبية، التي أثارها البويهيون وأسهمت في تعطل التجارة وضعف الصناعة فقد اعتمد العقيليون على الغنائم التي كانوا يجنونها من الحروب وذلك نتيجة قلة الموارد الاقتصادية الناتجة عن موجات القحط التي أصابت الجزيرة حيث قلة الأمطار وكثرت الثلوج ⁽³⁾، وفي عصر الدولة السلجوقية كان الوضع متذبذب بين ضعف وقوة نتيجة انشغال الأمراء في التنارع فيما بينهم وإهمالهم العناية بالوضع الاقتصادي ⁽⁴⁾، وقد حدث جمود وتأخر في الصناعة في عام 581هـ/1185م بسبب الاضطرابات بين الأتراك والتركمان إذ حصلت عداوة بينهم استمرت لعدة سنوات، فقطعت الطرق، ونهبت الأموال وأريققت الدماء ثم أصلح بينهم مجاهد الدين قايمار نائب صاحب الموصل، إضافة إلى ما سبق من عوامل تأخرت الصناعة نتيجة الحروب الكثيرة التي حصلت على أرض الجزيرة ومن أبرزها الحروب الصليبية وبالذات قيام إمارة الرها الصليبية وما رافق قيامها من انعكاسات على الأحوال الاقتصادية داخل أراضي هذه الإمارة أو في المناطق المحيطة بها سواء من قبل الجيوش الصليبية أو من قبل الجيوش العربية الإسلامية التي تحاول تحريرها من الصليبيين وقد قطعت العديد من الطرق البرية والبحرية نتيجة ذلك وأثرت بشكل كبير على الصناعة والتجارة حيث

(1) الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان. (2007م): الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، الحارثي: الأوضاع الحضارية، ص224.

(2) الديوه جي، سعيد. (1958م): الموصل في العهد الآتابكي، ص45.

(3) المعاضدي. (1968م): دولة بني عقيل، ص163.

(4) الحارثي، عبدالله. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص224.

تحملت الموصل عبء الدفاع عن إقليم الجزيرة وبلاد الشام ضد الغزو الصليبي بتوفير الأموال والمؤمن لخدمة أهداف الجهاد مما أدى لضعف الموارد الزراعية والصناعات، العامل المميز في تأخر الصناعة كان تغير الدول التي تعاقبت على حكم الجزيرة من حمدانيين ومروانيين وعقيليين وأراتقة وزنكيين وأيوبيين وضعف وعجز بعض أمرائهم وكثرة الحروب والحصار على بعض المدن في كثير من الأوقات وفرض الضرائب مقابل فك هذه الحصارات وما خلفه من تدهور في الناحية الاقتصادية، ولما ابتلي المشرق العربي الإسلامي بالغزو المغولي تعرض إقليم الجزيرة الفراتية منذ عام 628-700هـ/1230-1300م لكثير من الدمار والتخريب للنشاط الاقتصادي حيث تضررت تجارة الجزيرة نتيجة السيطرة على المدن المجاورة وفرض الضرائب عليها وقطع الطرق التجارية وحالة القلق والخوف التي رافقت قدومهم وأصبحت الجزيرة ممر للجيوش المغولية المتجهة إلى بلاد الشام ذهاباً وإياباً وما رافقها من نهب وسرقة وتجويع لأهل الجزيرة حيث كان اعتماد المغول الأساسي على جمع الغنائم والسرقة⁽¹⁾.

ثالثاً: تنظيمات الصانع والحرفيين في الجزيرة الفراتية:

كون الجزيرة الفراتية جزء من الخلافة العباسية فلا بد أنه كانت تسري فيها ذات القوانين والأنظمة المعمول بها في كافة بقاع الخلافة العباسية.

كان الصانع والحرفيون في الجزيرة منظمين بشكل دقيق جداً يشابه النقابات في العصر الحالي وكان هنالك شعور بروح الجماعة بين أهل الصنائع، وكل واحد منهم يشعر بصلة تربطه بإخوانه وكان شعارهم "الصناعة نسب" لذا انتشر الانتساب إلى المهنة بجانب الانتساب إلى المدينة أو القبيلة فاشتمت الألقاب من المهن كالزجاج من صناعة الزجاج والزيتات من عصر الزيوت وغيرها من الألقاب كالحلاج والفراء والنجار وقد عاش الصانع وأهل الحرف مجتمعين في مكان واحد أو في سوق خاص بهم، ويشار إلى الحرف بالأصناف وأصحاب المهن وأهل الصنائع وللحرفة عرف وسنة خاصة بهم وهي مقبولة لدى القاضي والمحتسب عند النظر في الخلافات بين أهل الحرفة والمعتاد في الصناعة هو حانوت يديره صانع واحد أو عائلة أو عدد من الشركاء، وقد يعمل الصانع في بيته وقد يعمل بمفرده أو يكون معه

(1) الحارثي، عبدالله. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 258.

عدد من المبتدئين يتدربون معه ويساعدونه، وكان لكل حرفة رئيس من أعضائها تعينه الحكومة أو تعترف به وهو شيخ الصنف أو شيخ الكار وهناك أيضاً الأساتذة وهم المتقدمون في الحرفة، ويليهم الصناع وهم الذين أتقنوا الحرفة وبإمكانهم فتح حوانيت خاصة بهم والعمل مستقلين، وأدنى درجة في الحرفة تتمثل في المبتدئين الذين ينتسبون إلى الحرفة ولا يزالون في مرحلة التعلم، وكان أهل الحرفة يتعاونون لضمان السرية المهنية ولحماية أفرادها⁽¹⁾، وأن أجور أهل الصنائع اختلفت تبعاً لنوع الحرفة التي يؤدونها، فحرفة صياغة الذهب والفضة أكثر أجراً ودخلاً من غيرها وأجور الأساتذة أكبر ممن هم دونهم، وقد عينت الدولة موظفاً خاصاً يعاونه عدد من الأشخاص لمراقبة أهل الحرف لمنعهم من الغش في مبيعاتهم وزيادة الأثمان واللعب في الأوزان وكانوا يراقبون جودة الصناعة وبالأخص الصياغين والحاكة، حتى لا يهربوا بأموال الناس وحاجاتهم⁽²⁾، وقد انتشرت الضرائب على الأسواق والخانات والصناعات فقد ذكر ابن حوقل أن ما كان يجبي من الطواحين في نصيبين والضياح التي حولها ستة عشر ألف دينار، وقد بلغت موارد خراج الموصل من الحنطة والشعير والحبوب (صناعة الطحين) أربعة آلاف درهم وفرضت ضرائب على الخمور في مدينة الموصل قدرت بنحو خمسة آلاف دينار وعلى الغنم والبقر والدواب والفواكه مثل هذا المبلغ ومن صناعة الورق مائتا ألف وتسعون درهم⁽³⁾، وقد قدرت قيمة ضريبة الخراج على العسل في حران وجزيرة ابن عمر والموصل بنحو عشرين ألف رطل وعشرين ألف درهم (عيني ونقدي)، وقد فرضت ضرائب على الطواحين في مدينة الحديثة في عهد الحمدانيين وقد وصلت قيمتها نحو خمسين ألف دينار⁽⁴⁾.

(1) الدوري، عبد العزيز. (1995م): تاريخ العراق الاقتصادي، ص 108.

(2) الحارثي، عبدالله. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 237.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 214.

(4) الحارثي، عبدالله. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 206.

ويظهر من تتبع أوضاع الصناعة في الجزيرة أنها قد مرت بعهود وأوقات صعبة ولكن حافظت أسر الجزيرة عليها وتوارثت صناعاتها المتميزة ورافق هذه العهود مراحل ازدهار كبيرة ساهمت بإنتاج حضارة وصناعات مزدهرة خلدها التاريخ وقد كان للتنظيم الكبير للحرف في الجزيرة دوراً في تطور الصناعات وجودتها الكبيرة وأصبح للصناع الكبار مكانة اجتماعية كبيرة وصارت حرفتهم مصدر فخر ونسب لهم ومع ذلك لم تؤثر هذه الضرائب دائماً على الصناعات إذ كانت تخفف كثيراً أو تزال نهائياً في بعض الأوقات حسب الحالة الأمنية التي تمر بها الدولة (استقرار وازدهار أو ضعف وانحدار).

رابعاً : الصناعات الغذائية:

اشتهرت الجزيرة بهذا النوع من الصناعات؛ وذلك لتوفر المواد الأولية لها الزراعية والحيوانية وأيضاً لتأمين حاجيات السكان من الغذاء ونظراً إلى انتشار البساتين في كافة مناطق الجزيرة وتربية الحيوان في هذه البساتين فقد عمت الصناعات الغذائية في الجزيرة ومن أهم هذه الصناعات :

1 - صناعات على أساس مواد زراعية:

أ - صناعة الدقيق والخبز:

قد كانت الحبوب تطحن جيداً قبل أن تخبز في التنور أو الصاج من النساء وكان الخبز على أنواع فمنه الحواري وهو خبز الرقاق، وخبز الخشكار⁽¹⁾ وخبز الشعير وخبز السميد، كما كان الناس يأكلون خبز الأرز الذي كان قوت الفقراء والبخلاء بسبب رخص أسعاره، فضلاً عن ذلك كان هناك خبز الأباريز وهو عجينة يتخذ من الدقيق والعسل، فضلاً عن أنواع أخرى كان منها خبز الفطير والقطائف وهو نوع من الحلويات، وكان الكشك يصنع من القمح وكان يصنع من القمح الصلب أيضاً، وكان يستخدم الطحين

(1) الخشكار: هو الخبز الأسمر غير النقي، مجموعة من المؤلفين. (2004م): المعجم الوسيط، ص 236.

الناعم لصناعة المعكرونة وكانت الحنطة تستخدم لصناعة البرغل، وكذلك في صناعة الكعك والحلويات (1).

والذي دفع لرواج هذه الصناعة هو انتشار المطاحن في مناطق متفرقة من الجزيرة ولاسيما على الأنهار وقد تعددت أنواعها وأبرزها :

1- العروب :

العروب: مفردها عربة وتجمع عربات وعرب وهي السفينة التي تعمل فيها رحي تديرها شدة جريان المياه ورد ذكرها عند ابن حوقل حين قال: كان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقل نظيرها في كثير من الأرض؛ لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجريان موثقة بسلاسل حديدية في كل عربة منها أربعة أحجار ويطحن كل حجرين في اليوم واللييلة خمسين وقراً (2) وهذه العروب من الخشب والحديد وربما دخل فيها شيء من الساج (3)، وكانت في مدينة بلد (4) عروب كثيرة دارت إعمالاً وكانت منتشرة أيضاً في قلعة جعبر وفي الرقة بكثرة وكان بمدينة الحديثة أعداد كثيرة منها تعمل وسط دجلة وقد كانت ملكاً للحمدايين وكان أسعارها نحو خمسين ألف دينار وتحدث أيضاً ابن حوقل عن وجود العروب في بلد والحديثة وتكريت إذ حوت هذه المناطق الكثير من العروب التي أقيمت في وسط النهر، وكانت تزود مناطق العراق المختلفة بالدقيق (5).

وقد كانت هذه العروب تقوم على سفن متجاورة يتخللها مضائق، ينحبس فيها ماء النهر، وقد نصبت

(1) الجبوري، سعد رمضان. (2011م): الحبوب في العراق خلال العصر العباسي الأول، مجلة التربية والعلم، العدد 4، ص 194-211، د. م، ص 197.

(2) الوقز: وهو الجمّل ويكون على الرأس أو الظهر، أو الحمل الثقيل وأكثر ما يكون على البغال والحمير والجمال، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 626.

(3) الساج: مفردها ساجة: وهو نوع من الخشب، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 276.

(4) بلد: وهي مدينة قديمة تقع على نهر دجلة فوق الموصل، وقد قيل أنها سميت بلط لأن الحوت ابتلعت يونس عليه السلام في نينوى مقابل الموصل وبلطته هناك، وبها مشهد عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 1، ص 481؛ البغدادي. (1991م): مراصد الاطلاع، ج 1، ص 217.

(5) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 219.

فيها دواليب⁽¹⁾ ذات عنفات تدور بتأثير الماء شديد الجريان، وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالضرائر أي حجارة الطواحين، وكانت هذه العروب مورد رزق جيد لأهل البلاد في الجزيرة، وبقيت العروب معروفة في الموصل وينتفع بها السكان انتفاعاً كبيراً في العصر الأتابكي، وانتشرت أيضاً العروب تحت الدير الأعلى في الموصل⁽²⁾، وذكر القزويني أن الموصل كانت تحوي النواير التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة وتنقل من موضع إلى موضع⁽³⁾.

2 - الرحي :

ذكر ابن الجوزي أنه كان في شرقي دجلة عند الموصل طاحونة آلاتها جميعها من الحجر⁽⁴⁾. وذكر الخطيب العمري وجود الرحي في مدينة باعشيقا على النهر الجاري فيها⁽⁵⁾، وقد أسهم انتشار الرحي فيها بوجود هذه الحجارة في منطقة بسومة وهي ناحية بين الموصل وبلد كان يجلب منها أحجار الرحا العظام⁽⁶⁾.

وكان لهذه الأرحاء بيوت خاصة بها عند مساقط مياه الأنهار؛ لاستغلال الطاقة المائية في تحريك العجلات الخشبية⁽⁷⁾.

(1) الدواليب : مفرد دواليب وهو من أبرز أدوات السقي وأيضاً طحن الحبوب ويديرها أما حيوان أو المياه الجارية، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 222.

(2) الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الاتابكي، ص 67.

(3) القزويني. (د.ت): آثار البلاد، ص 462.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت. 597 هـ / 1200 م (1992م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح : مصطفى عبد القادر عطا؛ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج1، ص477.

(5) العمري. (1955م): منية الأدباء، ص 134.

(6) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 1، ص 423.

(7) خليل. (1980م): الإمارات الأرتقية، ص 432.

أما شكلها فهي طاحونة تدور بتأثير تيار الماء وأكثر ما انتشرت في القرى فكانوا يستفيدون من جداول العيون، فينحصر ماؤها في ساقية ويوجهونه إلى حفرة واسعة خارج الرحى يسمونها بئر الرحى، ويصب ماء البئر على دولاب خشبي دونه فيدور، ويُدَوَّر هذا حجر الرحى التي تكون فوقه، وهكذا تدور الرحى فتطحن الحبوب، وقد يكون في الرحى حجر أو حجران أو ثلاثة تستخدم في طحن الحبوب، وهذا يتوقف على مقدار ماء العين التي تكون في القرية، وكانوا يستفيدون من مياه النهر فيأخذون منه جداول ويسلطونها على رحى يبنونها على ساحل النهر، وقد سمي شاطئ دجلة بشاطئ الرحى⁽¹⁾، وقد أصبح عدد الرحى في الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ 606-660هـ/1209-1261م ثمانين وستون⁽²⁾.

3 - المدارات :

هي رحى يديرها بغل أو كدش⁽³⁾ وتكون داخل بيوت في المدينة، وكانوا يطحنون بها الحبوب وتسمى مدارا من الدوران ويجمعونها على مدارات وقد وصل عدد المدارات في الموصل إلى 4020 مداراً وكان مقدار ما يطحنه الحجر في المدارات يتجاوز الطغارين⁽⁴⁾ في اليوم والليلة، وكانت هذه المدارات كثيرة في الجزيرة الفراتية وكانت منتشرة في كل الأماكن فيها وبأشكال متنوعة، وكان يوجد عدة مدارات في الزقاق الواحد وبعض الأزقة كانت تسمى زقاق المدغ أي زقاق المدارات، وأصبح في الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ أربعة آلاف وعشرون مداراً للطحن وقد كانت تطحن بوساطة دابة تدور فتحركها وقد كانوا يسمونها مداغ وجمعها مدغ⁽⁵⁾.

(1) الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الاتابكي، ص 68.

(2) العمري. (1955م): منية الأدباء، ص 67.

(3) البغل: هو الحيوان الذي يركب ويتصف بشدة التحمل والأنثى بغلة والجمع بغال، والبغال هو صاحب البغل، أما الكدش: فهو الفرس غير الأصيل، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج 11، ص 60؛ الفيروز آبادي. (2005م): القاموس المحيط، ص 967؛ مجموعة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 779.

(4) الطغار أو تغار و التغار يختلف وزنه باختلاف ديار العراق واختلاف الموزونات و اختلافه بين 1000 و 1540 كيلو غرام، مجموعة من المؤلفين. (د.ت)، مجلة لغة العرب العراقية، 605 -610، العدد 6، ص 606.

(5) العمري. (1955م): منية الأدباء، ص 66.

ب- الزيوت :

دفع انتشار الزراعات التي تنتج الزيوت بكميات كبيرة في الجزيرة الفراتية ولاسيما الزيتون والقطن والسمسم السكان في الجزيرة للقيام بإنشاء معاصر متنوعة كذلك شجع السكان على زراعة هذه الأنواع ولاسيما في العصر الحمداني من أجل إثراء ميزانية الدولة عن طريق تصدير هذه الزيوت إلى البلدان المجاورة.

أهم الزيوت التي كانت منتشرة في الجزيرة كان زيت الزيتون وذلك لكثرة شجر الزيتون فيها ولاسيما في مدينة الرقة⁽¹⁾، التي كانت من أكثر المدن المصدرة للزيت، إذ كانت كثرة تصدير الزيت إلى خارج الرقة يؤدي إلى شلل كبير في أسواق الزيت في بغداد⁽²⁾ ويذكر ابن فقيه الهمداني أن الزيت من المنتجات المتميزة التي تختص بها الرقة ويسمى دهن الخطارة⁽³⁾، وأنه كان ينتج في بعض الحوانيت الخاصة التي كانت تمتلك حق الإنتاج واحتكار توزيع ذلك المنتج فإذا قام بتصنيعه حانوت آخر يغلق ذلك الحانوت⁽⁴⁾، وكان يُعَصَّر عن طريق معاصر خاصة للزيوت وقد وجد في الموصل في القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي 120 معصرة لزيت الزيتون و99 معصرة للسمسم⁽⁵⁾، وتتكون هذه المعاصر من :

حجر مستدير يدور على حجر آخر مثله فتعصر ما يلقي بينها من الحبوب الدهنية و يسيل الزيت إلى حوض يكون في جانب المعصرة، وكانت بعض الأزقة في الموصل تسمى شارع المعصرة لكثرة المعاصر التي كانت فيه، وكانت الحبوب التي تعصر فيها هي السمسم وحب القطن والزيتون، فيستخرجون منها الزيت

(1) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(2) الخالدي، صلاح الدين: الرقة، مجلة الحوليات الأثرية، 97 – 110، ج7، ص 99 .

(3) دهن الخطارة: وهو دهن عجيب يقال إنه كان لا يتخذ إلا من حانوت بالرقة فإذا اتخذ من غيره فسد، وهو مفيد لمعالجة الرياح، ابن الفقيه.(1885م): البلدان، ص 134.

(4) ابن الفقيه.(1885م): البلدان، ص 181.

(5) العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب.(1967م): منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء، تح: سعيد الديوه جي، الموصل، ج1، ص 60.

و كان يستعمل للإضاءة إذ تصنع منه الشموع وتستعمل بذوره بعد أن تجفف للوقود أيضًا ⁽¹⁾، وقد أصبح عدد المعاصر في الموصل في سنة 617 هـ / 1220 م ما يقارب تسعًا وتسعين معصرة ⁽²⁾ .

ج- صناعة السكر :

انتشرت صناعة السكر في الجزيرة وذلك لكثرة زراعة قصب السكر بها، فقد تميزت الموصل بالسكر النادر الأسمر الذي كان سعره غالبًا جدًا ⁽³⁾، وكذلك اشتهرت مدينة سنجار بصناعة السكر وذلك بسبب انتشار زراعة قصب السكر على أراضيها ⁽⁴⁾.

وكان يُستخرج عن طريق عصر قصب السكر ثم غليه حتى تجف المياه منه، ثم يوضع في مكان بارد ليجف تمامًا ثم يقطع إلى قطع فيحمل إلى الأسواق أو يطحن ويوضع في أكياس ليسهل نقله إلى الأسواق أو تصديره ⁽⁵⁾.

د- صناعة الفواكه المجففة :

مكنت كثرة أشجار الفاكهة والحمضيات في الجزيرة الفراتية وما تنتجه من ثمار السكان من تصنيع وتصدير الفائض وحفظه، وقامت عليها صناعة التمور والحلويات والمربيات ⁽⁶⁾.

واشتهرت مدينة نصيبين في صناعة الفواكه المجففة ⁽⁷⁾، وكانت مدينة سنجار تزود مدن العراق

(1) الديوه جي. 1958م): الموصل في العهد الآتابكي، ص 68 .

(2) العمري. (1955م): منية الأدياء، ص 66.

(3) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج10، ص 406.

(4) الصالح. (1996م): النظم، ص 380.

(5) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 221.

(6) شميمساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 228 .

(7) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

والنواحي المحيطة بحب الرمان الكبير المجفف ⁽¹⁾، وانتشرت صناعة الزبيب في جزيرة ابن عمر ⁽²⁾.

ذكر المقدسي أن مدينة آمد اشتهرت بالمن وقد كانت تتاجر به ⁽³⁾، والمن كما مر في البحث مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار كالأثل ⁽⁴⁾، أو مادة تنزل من السماء على شجر أو حجر وينعقد ويجف جفاف الصمغ ⁽⁵⁾ وهو شراب حلو المذاق يشبه العسل وتصنع منه حلوة المن والسلوى ⁽⁶⁾.

وقد انتشرت صناعة العصائر والأشربة ولاسيما شراب الورد الذي انتشر بكثرة في الجزيرة إذ كانت مدينة نصيبين مخصوصة بالورد الأبيض الذي يعم ماء ورده بلاد الدنيا ويفضل على سائر أنواعه ⁽⁷⁾.

2- صناعات على أساس مواد حيوانية:

أ - صناعة العسل :

نتيجة لكثرة الأشجار والبساتين والزهور والورود في الجزيرة انتشرت تربية النحل وجني العسل الذي كان يدر على العاملين في هذه الحرفة موردًا ماليًا لا بأس فيه ⁽⁸⁾، وقد انتشرت هذه الصناعة في ديار بكر إذ كان العسل بها يضاهي الثلج في البياض لونًا والسكر في اللذاعة طعمًا، ولا حدة فيه ولا إفراط حلوة توقف الأكل ⁽⁹⁾، إذ استفاد أهالي ديار بكر من العسل لتنمية تجارتهم لما يغله من أرباح ⁽¹⁰⁾، وقد ذكر المقدسي أن

⁽¹⁾ ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 220 .

⁽²⁾ ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 225 .

⁽³⁾ المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

⁽⁴⁾ الأثل: هو نبات الطرفاء، وهو نبات لا ثمر له، تتميز أعواده بالقوة بعد الجفاف، عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 30.

⁽⁵⁾ نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 888 .

⁽⁶⁾ عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 565 .

⁽⁷⁾ المغربي.(1958م): يسط الأرض، ص 44.

⁽⁸⁾ الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 206 .

⁽⁹⁾ العمري.(2003م): مسالك الأبصار، ج3، ص 310 .

⁽¹⁰⁾ خليل.(1980م): الإمارات الأرتقية، ص 436 .

الموصل اشتهرت بصناعة العسل ، واشتهرت الرقة أيضًا بعسل النحل ⁽¹⁾، وانتشرت تربية النحل في مدينة جزيرة ابن عمر فقد ذكر ابن حوقل أن المراكب كانت تصل منها إلى الموصل محملة بالعسل ⁽²⁾، واشتهرت بلاد الجزيرة بالعسل القلوزي ⁽³⁾ وهو من أشد أنواع العسل اعتدالاً وفيه رائحة اللوز وكان يؤتى به من مدينة قلوزية ⁽⁴⁾، وقد كان العسل كثيرًا جدًا في منطقة هروار الواقعة بالقرب من العمادية من أعمال الموصل ⁽⁵⁾، وقد ذكر ابن خلدون أن إنتاج الموصل من العسل الأبيض كان يقارب العشرين ألف رطل ⁽⁶⁾، وإنتاج الجزيرة الفراتية اثنا عشر ألف زق ⁽⁷⁾ من العسل ⁽⁸⁾.

ب- صناعة الجبن والسمن والزبدة والألبان:

اشتهرت الجزيرة الفراتية بتربية المواشي على نطاق واسع على أراضيها وذلك بسبب توفر المراعي والمروج الخضراء الملائمة لتربية الأغنام والماعز والإبل مما أمن المواد الأولية للكثير من الصناعات وأبرزها صناعة الألبان والأجبان التي انتشرت في الجزيرة وقد كانت تصدر إلى البلدان المجاورة .

ومن أبرز المدن التي اشتهرت بهذه الصناعات الموصل التي تميزت في صناعة الجبن وأيضاً مدينة

(1) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(2) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 225.

(3) الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داود ت. 282هـ/895م.(1074م): كتاب النيات، تح : برنهارد لقين، دار شتاينر، فيسبادن، ألمانيا، ج4، ص 265؛ البكري.(1983م): معجم ما استعجم، ج3، ص1094.

(4) قلوزية : هي مدينة كانت تقع في شمالي الجزيرة وإليها ينسب بطليموس صاحب المجسطي؛ البغدادي.(1991م): مراصد الاطلاع ، ج3، ص 1119.

(5) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج5، ص 403.

(6) الرطل: هو معيار يوزن به ويكال، وجمعه أرطال، والرطل اثنتا عشرة أوقية، وفي بعض بلدان بلاد الشام 15 أوقية، ابن منظور.(1993م): لسان العرب، ج11، ص286؛ نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 352، الخطيب.(1996م): معجم المصطلحات، ص210.

(7) الزق: هو وعاء من جلد يجز شعره ولا ينتف، ويستخدم للشراب وغيره، ويوزن تقريباً واحد كيلو غرام، ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص143؛ نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 396.

(8) ابن خلدون.(1988م): تاريخ ابن خلدون، ص 226.

الحسنية⁽¹⁾، وقد اشتهرت هذه المدينة أيضاً بصناعة الشوايز⁽²⁾، وهي جمع شيراز أي اللبن الرائب المصفى وانتشرت في الجزيرة أيضاً صناعة السمن ولاسيما في مدينة جزيرة ابن عمر واشتهرت أيضاً هذه المدينة بصناعة الجبن، وقد كثر بها صناعة الزبدة⁽³⁾، وفي مدينة مغلثا انتشرت صناعة الألبان⁽⁴⁾.

وقد ذكر ابن سيار في كتابه الطبخ طريقة عمل الجبن إذ ذكر أنه يؤخذ الحليب، وتضاف إليه الإنفحة⁽⁵⁾، وذلك أن تأخذ الإنفحة كما هي بجلدها، و تخلط ببعضها في اللبن، حتى يتجمد، ويوضع في قوالب ويُعصر، ويوضع عليه الملح كي يحفظه، فإن أردت أن تتعجل أكله فلا تملحه ويقال له: الجبن الساذج⁽⁶⁾.

وذكر ابن سيار أيضاً طريقة عمل اللبن إذ كان يؤخذ الحليب، فيجعل في جرة من الليل إلى نصف النهار، حتى تراه قد تداخلت حموضته ثم تضاف له الإنفحة، لكل عشر أرتال وزن درهم إنفحة، وتضرب فيه باليد بعد أن تدق الإنفحة، ويهدى إلى الغد، فإنه يجمد ويصير جاهزاً⁽⁷⁾.

وقد كانت مدينة بلد مشهورة في اللبأ⁽⁸⁾ إذ يأتي منها في القدور بالزوارق وقد كان القدر بخمسة دنانير

(1) الحسنية: هي بلد يقع شرقي الموصل، بينها وبين جزيرة ابن عمر، الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص260؛ البغدادي. (1991م): مراسد الاطلاع، ج1، ص 403.

(2) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 146.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 225.

(4) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(5) الإنفحة: مادة خاصة تستخرج من الجزء الباطني من معدة الرضيع من العجول أو الجداء ونحوهما، وبها خميرة تُجبن اللبن، مجموعة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 938.

(6) ابن سيار، أبو محمد المظفر بن نصر الوراق. (د.ت): كتاب الطبخ، تح: إحسان ذنون الشامي؛ محمد عبدالله القدحات، دار صادر، بيروت، ص 145.

(7) ابن سيار. (د.ت): كتاب الطبخ، ص 146.

(8) اللبأ: هو سائل تفرزه غدة الثدي عند الثدييات قبيل الولادة وبعدها بأيام معدودة، وهو أول اللبن عند الولادة قيل أن يرق نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 811.

وخمسة أمناء (1).

ج- صناعة اللحم المقدد :

قد كانت مدينة الموصل تشتهر بتجارها بالشحوم الحيوانية (2)، فاشتهرت مدينة الموصل في صناعة الطريخ الفائق (3)، وأيضاً انتشر في ديار بكر صيد الأسماك التي تميزت بجودة أنواعها (4).

و في الموصل ظهرت أيضاً صناعة النمكسود (5) وكذلك في مدينة معلثايا (6).

ويظهر من تتبع الصناعات الغذائية مدى التطور الكبير في هذا المجال في الجزيرة إذ لم يقتصر الإنتاج على تأمين حاجة السكان من هذه الصناعات بل تعداه إلى تصديرها إلى البلدان المجاورة ويلاحظ تميز بعض البلدان في الجزيرة وانفرادها في إنتاج بعض الصناعات ومنها ما كان يتمتع بجودة كبيرة ولاسيما صناعة زيت الزيتون، وقد برهنت هذه الصناعات على ذكاء الإنسان العربي من خلال تسخير قوة المياه الجارية في تشغيل الرحى والعروب لطحن الحبوب.

خامساً: صناعة النسيج والملابس:

اشتهرت الجزيرة الفراتية بأنواع الصناعات النسيجية كافة ولاقت شهرة كبيرة في مدنها ولقد سميت بعض

(1) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(2) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

(3) الطريخ: هو سمك صغير جداً كان يملح ويحمل إلى الكثير من البلدان واكثر مناطق انتشاره في بحيرة ارجيش في أرمينيا حيث كان يحمل إلى الموصل ونواحي الجزيرة والعراق؛ ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ج2، ص 346 .

(4) خليل.(1980م): الإمارات الأرتقية، ص 436 .

(5) النمكسود: هو لحم يقطع إلى قطع ويشد بالملح في ألواح حتى يذهب ماؤه وينشف، فإذا احتيج إلى شيء منه، يبل بالماء ويصلح للأكل، ويستعمل هكذا للسفر به دون أن يفسد، ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد الأندلسي ت.646هـ/1248م.(د.ت): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص483.

(6) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

المنسوجات بأسماء هذه المدن وقد قسمت هذه المنسوجات وفقاً لأصل المواد الأولية التي تدخل في تصنيعها نسيج من أصل نباتي، ونسيج من أصل حيواني ومشترك:

1- الصناعات النسيجية من أصل نباتي:

أ - المنسوجات القطنية:

القطن هو نبات قديم نقله الآشوريون من السند وزرعوه في بلادهم شمالي العراق، ثم انتشرت زراعته في أرجاء متعددة في بلاد المشرق العربي الإسلامي، وقد كان القطن في القرن الأول الميلادي يأتي من البحرين والخليج العربي وجنوب الجزيرة واستمرت هذه المناطق في إنتاج المنسوجات القطنية بعد قيام الدولة العربية الإسلامية وكانت تصدرها إلى مصر والحبشة⁽¹⁾.

1 - طريقة الصناعة:

كانت المرحلة الأولى التي تجعل ألياف القطن مهياً للنسيج، هي عملية الحلج التي تتم بتنظيف الألياف وفصلها عن البذور بواسطة المحلجة، وتليها مرحلة ندف الألياف بواسطة الوتر المشدود والمدق الخشبي لتتقيتها وفصل بعضها عن بعض، وبعدها تمشط الألياف لتسويتها وتحسين نوعيتها بالمشط الذي يتكون من قاعدة خشبية شبه بيضوية تثبت فيها مسامير مدببة، وللحصول على خيوط ناعمة وصالحة للنسيج تُغزل الألياف بمغزل خشبي يتكون من قطعتين هما جسم المغزل، ويكون مخروطياً تلف عليه الخيوط المغزولة، والقرص الدائري المثقوب من الوسط الذي يرتكز عليه جسم المغزل والغاية منه تعيين حركة المغزل، وارتكاز الخيوط المبرومة وتصنع من الخشب وقد عرف المغزل منذ العصور الأكادية والآشورية⁽²⁾.

(1) العلي، صالح أحمد. (2003م): المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، ص 23.

(2) نخبة من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، مج 3، ص 395 .

وقد ظهرت مهنة مرافقة لنسج القطن وهي الدقاق الذي كان يقوم بدق النسيج، ليزيل عنه ما علق به من شعر أو خيط، ويكسب الثوب لمعاناً ونعومة وهي من الحرف التي كانت تلازم الحياكة وكان الدق للمنسوجات القطنية كافة في خانات معينة، يشتغل بها عدة صناعات، يدقون الثياب التي ينتهي الحاك من نسجها، ومنها خان الدقاقين الذي يقع في محلة حمام المنقوشة في الموصل⁽¹⁾.

وتعقب عملية الدق مرحلة القصر التي تلازم المنسوجات والثياب البيضاء لتزيد من نضاعة بياضها، ولزيادة جمال المنسوجات والملابس الموصلية في العصور العربية الإسلامية كانت تنقش بزخارف مختلفة تطبع عليها بقوالب خشبية محفور عليها تلك الزخارف وتطرز بعض الثياب بخيوط ذهبية⁽²⁾.

2- تطور صناعة النسيج القطني وأبرز مواصفاته:

كانت المنسوجات القطنية تأتي في المرتبة الأولى من حيث الأهمية في الجزيرة الفراتية من حيث كثرة استعمالها من فئات المجتمع كافة⁽³⁾.

كانت الموصل تنتج كميات كبيرة من النسيج القطني، من أنواع متعددة منه الشاش الموصلية، فإذا ما وصفوا رجلاً بأن ثيابه جميلة ومظهره أنيق فيقولون إنه كان يلبس من نسيج الشاش الموصلية، وقد وردت قصة في كتاب ألف ليلة وليلة عن تاجر رأى في مقدمة السفينة رجلاً بيده مشعل من الذهب الأحمر⁽⁴⁾ وهو يشعل فيه العود القافلي⁽⁵⁾ وكان على رأسه شاش موصلية، وهناك نوع آخر له وهو النسيج الدقيق الأبيض الذي كان مشهوراً بمتانته، ومن كمال ثياب الفتى أن يلبس وقت الظهر ثوباً موصليةً أبيض، وكان هنالك

(1) الديوبه جي.(1970م): أعلام الصنائع المواصلية، مطبعة الجمهور، الموصل، ص 52 .

(2) نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 397.

(3) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 210.

(4) الذهب الأحمر: هو الكبريت وسمي بذلك بسبب استخداماته المهمة وندرته، ابن منظور.(1993م): لسان العرب، ج2، ص 76.

(5) العود القافلي: هو الخشب الذي يحرق للبخور وله رائحة زكية وقت الحرق وله عدة أنواع منها القافلي، نكري.(2000م): دستور العلماء، ج2، ص 272.

شكل آخر لهذه الثياب وهي النسيج الملون الذي يتخذون منه الثياب المختلفة للرجال والنساء كانت هذه المنسوجات أكثر ما يهديه الملوك والأمراء لنفسها (1).

ومن أبرز صفات الشاش الموصلية أنه نسيج رقيق وكانت تحاك منه الثياب الداخلية الرقيقة والثياب الملونة، وقد صنعت منه الثياب المميزة والغلائل وساعد على رواج المنسوجات القطنية أنها كانت تلبس من قبل النساء والرجال والأطفال، على حين كان الحرير تلبسه النساء أكثر من الرجال، وكانت دور الطراز ومصانع الغزل في مدينة الموصل تُزود بالأقطان الخام الجيدة من خان الغزل، وقد انتجت كميات كبيرة من الشاش الموصلية وصدر إلى البلدان المختلفة سواء كان ذلك داخل العالم الإسلامي أو خارجه (2).

ويذكر الرحالة الفرنسي أوليفيه Olivier 1169-1229هـ/1756-1814م و الرحالة الإنكليزي بوكنكهام Buckingham 1200-1271هـ/ 1786-1855م أيضاً مدينة الموصل ويسجلان مشاهدتهما ويقولان أنه من جملة تجارة الموصل هي ما كانت تصنعه من المنسوجات القطنية الوطنية إذ كانت هذه المنسوجات تصبغ بالألوان البراقة ويطغى عليها اللون الأزرق الجميل، وقد لازمت صناعة نسيج القطن تاريخ مدينة الموصل منذ تأسيسها (3).

والدليل الكبير على تطور صناعة النسيج وضخامتها وانتشارها الكبير ما أورده ابن الجوزي في حوادث سنة 617هـ/ 1220م أنه أصبح في الموصل تسعمئة وثمانون خاناً للحياكة وجوم الحياكة أي الأنوال عددها خمس وسبعون ألفاً، وإذا كان معدل ما تنتجه الجومة الواحدة في اليوم خمسة أمتار من النسيج المحاك فيكون مجموع ما تنتجه الموصل في ذلك الزمن ثلاثمئة وخمسة وسبعون متراً مربعاً في اليوم (4) وهذا رقم

(1) الديوه جي.(1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص 48 .

(2) نخبة من الباحثين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 397.

(3) J.S. Buckingham.(1897.A.D): Travels in Mesopotamia , London, P: 221.

(4) العمري.(2003م): منية الأدياء، ص 67 .

كبير جداً لربما فيه مبالغة أو مجرد توقع لعدد هذه الأنوال.

وقد صنعت في الجزيرة المناديل التي لا نظير لها ولا يعادلها في مثلها صنعة من كثرة دقتها ⁽¹⁾.

وكانت مدينة ماردين تنتج أيضاً نسيجاً قطنياً حسن الملمس كان يستخدم في العادة للبطانة وقد عرف في الكتب الأدبية باسم بوكاسيني ويرجح أن هذه الكلمة جاءت من اسم بخارى، وفي نهاية العصر العباسي أي قبل سنة 656هـ / 1258م برزت أهمية مدينة الموصل في زراعة القطن الجيد ثم مساهمتها مع المدن العراقية في غزل القطن ونسجه ⁽²⁾.

3- أبرز مراكز الصناعة:

قد كانت مدينة عرابان الواقعة على نهر الخابور في ديار مضر تتصف بأنها كثيرة الأقطان والثياب القطنية التي تحمل منها إلى الشام وغيرها ⁽³⁾، وقد اشتهرت بلدة الحربي الواقعة بالقرب من تكريت بالثياب القطنية التي كانت تتسج بها وتحمل إلى سائر البلاد، وينسب إلى مدينة حزة الواقعة بين نصيبين والخابور نسيج النصافي ⁽⁴⁾ الحزية ⁽⁵⁾ وقد كانت ثياب قطن رديئة ⁽⁶⁾، واشتهرت مدينة البقاري الواقعة بالقرب من الموصل بثياب القطن الغليظ الذي كان أهل بغداد يضربون فيه المثل بجودته ⁽⁷⁾، واشتهرت ماردين بصناعة النسيج القطني الذي كان يتصف بأنه ذو جودة كبيرة وحسن الملمس ⁽⁸⁾.

(1) الإدريسي. (1989م): نزهة المشتاق، ج2، ص 826.

(2) المختار، فريال داوود. (1977م): المنسوجات العراقية الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص 183، 184، 185.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 222.

(4) النصافي: نوع من القماش الرقيق، المصنوع من الحرير أو التيل أو القطن، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، 592.

(5) البغدادي. (1991م): مرصد الاطلاع، ج1، ص 400.

(6) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 256.

(7) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص 327.

(8) المختار. (1977م): المنسوجات العراقية، ص 185.

4- أبرز الصناع:

من أبرز الدقاقين في الجزيرة الفراتية أبو الفرج الدقاق الذي كان شخصاً تقياً من الصالحين وورد ذكره عند ابن الأثير في أحداث سنة 57هـ/ 1180م عندما نهى العامة عن ما يفعلوه من النهب وشرب الخمر⁽¹⁾.
وقد ذكر ابن الفوطي عن عز الدين أبو الفضل الحسن بن الحسين الموصلني النقاش الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي " أنه كان يتعاطى صناعة النقش والزرکش⁽²⁾ وقد استخدمه السلاطين وقربوه إليهم طمعاً بما كان يتقنه من الصنعة الفائقة⁽³⁾.

ب - المنسوجات الحريرية :

وهي التي كانت تصنع من الحرير الخالص أو من الحرير والقطن، واختص بها الملوك والأغنياء، وذلك لغلاء ثمنها .

1 - طريقة الصناعة:

بعد الحصول على المواد الأولية من الحرير إذ كانت تغزل بوساطة مغزل خشبي تلف عليه الخيوط المغزولة وقد عرف هذا المغزل منذ العصور القديمة السومرية، وبعد إتمام عملية غزل المواد الخام تصبح جاهزة للنسج، ويأتي دور النول وقد عرفت هذه الآلة منذ أقدم الأزمنة باسم الجومة ويتكون النول من عارضتين عموديتين تربط بينهما عارضتان أفقيتان، وتشكل كل عارضة أفقية بالعارضة العمودية زاوية قائمة في كل جهة، وتمتد بين العارضتين العموديتين خيوط السدى أي الخيوط العمودية، أما خيوط اللحمة أي

(1) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج 9، ص 446 .

(2) الزركش: هي كلمة فارسية تعني الثوب المطرز بالذهب، كسراني، شاكرو. (2014م): قاموس فارسي-عربي، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، ص268.

(3) ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق ت. 723هـ/ 1323م. (1962م): تلخيص معجم الأدباء في مجمع الألقاب، تح: مصطفى جواد، د.م، ج4، القسم الأول، ص 66 .

الخيوط الأفقية فتتزل من الأعلى بوساطته بكرات معلقة في سقف الغرفة، وعن طريق هذه البكرات تتزلق الخيوط إلى النول فتدخل بالنسيج ويضاف إلى النول عادةً إطار أو برواز خشبي⁽¹⁾ ويتضح شكل النول في الملحق رقم (3) ص 187.

2 - تطور صناعة النسيج الحريري وأبرز أنواعه:

نظراً إلى توسع انتشار النسيج الحريري فقد تعددت أنواعه وأهمها:

البَزّ وهو صنف من أصناف ما أطلق عليه اسم الموسلين أو الموصلي (mausili) ويعرف باللغات الأوروبية (muslin) باللغة الفرنسية و (mousseline) باللغة الإيطالية وكان ينسج من الحرير الخالص أو من الحرير والقطن ويتخذ له الحواشي المقصبة ويطرز بالأشرطة الكتابية المختلفة فضلاً عن رسوم أوراق وأغصان الأشجار المختلفة ورسوم الحيوانات والطيور، وكانت تُنفَّذُ الزخرفة على هذا النسيج بالفضة والذهب⁽²⁾، وقد امتازت بصناعته الموصل في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ومن روعة هذا النسيج وعظمته فإنه انتقل عن طريق التجارة إلى الشام ومنها إلى مرسيلية ووصل أيضاً إلى مصر ومنها إلى البندقية ثم إلى الهند والصين⁽³⁾، إذ اقتبست من هذا النسيج معظم مدن الشرق كمدينة مدراس ودكا في الهند⁽⁴⁾.

وذكر نوع آخر من القماش تصنع منه الأثواب التي لا يخالط لونها لون آخر أو هي التي جميعها

ابريسم أي حرير لا يخالطه قطن ولا غيره⁽⁵⁾ وقد كان يدعى هذا النسيج بالخز وقد أشار مسكويه إلى

(1) حميد، عبد العزيز؛ العبيدي، صلاح؛ قاسم، أحمد. (1982م): الفنون الزخرفية الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، ص 230.

(2) المختار. (1977م): المنسوجات العراقية، ص 182.

(3) الديوجي، سعيد. (د.ت): صناعة الموصل، ص 88-98، مجلة سومر، العراق، مج 7، ج1، ص 95.

(4) . 41 P: Travel of Marco- polo, London, (1903.A.D).

(5) الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني ت. 1205هـ/1790م. (1791م): تاج العروس من جواهر القاموس، 10 أجزاء، المطبعة الخيرية، ط1، القاهرة، ج1، ص 561.

صناعته في مدينة الموصل ⁽¹⁾.

3 - أبرز مراكز الصناعة:

اشتهرت الموصل بالملابس الحريرية وذلك لجودة صناعتها فاتخذت لها الحواشي المقصبة وطرزت بالخط العربي، وزخرفت بالتوريقات والأغصان النباتية، وذلك بخيوط الذهب والفضة ⁽²⁾، وقد انتشرت صناعة البزّ في الجزيرة الفراتية وهو نسيج مصنوع من الحرير وذكر الحموي وجود قيسارية للبز في مدينة السلامية الواقعة في نواحي الموصل ⁽³⁾، وأيضاً انتشرت صناعة البزّ في مدينة ميفارقين فقد كان فيها سوق كبير للبزّ وكان له من الحرمة الشيء الكثير إذ كان يمنع أن يدخل إليها أحد وهو راكبٌ على حصانه أبداً ⁽⁴⁾، ووجد نسيج البزّ في مدينة باعشيقا إذ كان بها قيسارية لبيع البز ⁽⁵⁾.

4 - أبرز الصناع:

أبرز الأعلام الذين اشتهروا في صناعة منسوجات الحرير كان السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي المعروف بالسري الرفاء ⁽⁶⁾ الموصلي الشاعر المشهور وقد سلّمه أبوه صبيّاً إلى الرفائين بالموصل، فكان يرفو ويطرز وثم اتخذ له دكاناً يعمل فيها وقد اتصل بسيف الدولة الحمداني وتوفي في بغداد سنة 362 هـ/ 972 م ⁽⁷⁾.

(1) مسكويه.(1989م): تجارب الأمم، ج 2، ص 205.

(2) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 210.

(3) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج3، ص 234.

(4) الفارقي.(1959م): تاريخ الفارقي، ص 66.

(5) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 325.

(6) الرفاء: هو الخياط، رفا الثوب أي أصلحه، العسكري.(1996م): التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص157؛ الفيروز آبادي.(2005م): قاموس المحيط، ص 1289.

(7) الحموي، ياقوت.(1993م): معجم الأدباء، ج 11، ص189،182.

ج - المنسوجات الكتانية :

كانت المنسوجات الكتانية من أثقل المنسوجات في العصر العباسي وقد كانت ألبسة الطبقة الغنية في الجزيرة الفراتية، فقد استخدمت هذه المنسوجات أقمشة تحاك منها الثياب النسائية والستائر والأغطية والشراشف .

وقد اشتهرت الجزيرة الفراتية بصناعة السبنيات⁽¹⁾ وهي نوع من الثياب سميك يصنع من الكتان⁽²⁾ وقد ذكر المقدسي أن مدينة آمد كانت تصدر ثياب الكتان الرومية⁽³⁾.

1- طريقة الصناعة :

يقلع نبات الكتان قبل أن يجف بغية الحصول على خيوط ناعمة ودقيقة، تؤدي هذه العملية إلى سهولة تبييضه في مراحل التصنيع وقد استخدم مشط خاص لذلك وبعد هذه المرحلة تجمع الأغصان على حزمًا وتترك تحت أشعة الشمس للعمل على جفافها وبياض لونها ويجعل خيوطها ممتدة امتدادًا مستقيمًا، ثم تليها مرحلة أخرى وهي تعرض الأغصان للتقيع وذلك بعد مرحلة التجفيف الأولى والهدف من ذلك فصل الخيوط عن أجزاء الغصن والعوالق الترابية ثم تعرض للشمس وتدق بعد ذلك⁽⁴⁾، وعلى العموم تدخل المنسوجات إن كانت كل واحدة منها على حدة أو مخلوطة بأخرى أو مطرزة بخيوط من الفضة والذهب في الثياب الرجالية والنسائية وللأطفال وأثاث المنازل كالستائر والمناديل والوسائد والمقاعد وما شاكلها بأحجام مختلفة وألوان متباينة، وتتم عملية النسيج هذه على مراحل تبدأ بعملية الغزل، إذ تقوم النساء بعملية الغزل، ثم يتولى الرجال نسج تلك الخيوط المغزولة، ثم ينقل إلى النقاشين والصباغين لصبغه ورسم الأشكال الهندسية

(1) السبنيات: مفردا سبينة وهي ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان وهي غليظة جداً وقيل أنها منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يقال له سين، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج13، ص203.

(2) الإدريسي. (1989م): نزهة المشتاق، ج2، ص826.

(3) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص145.

(4) نخبة من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص396.

والأغصان والأوراق والزهور والثمار عليه، وكان اللون الأسود هو الذي تصبغ به الملابس الرسمية في الدولة العباسية لكونه الشعار الرسمي للعباسيين وأيضاً انتشر اللون الأخضر، في حين كانت النساء والأطفال والصوفية وغيرهم من عامة الناس يميلون إلى الألوان والنقوش الزخرفية الزاهية الألوان المختلفة المتمازجة ولاسيما في الحفلات المسائية، في حين يفضل المغنون والفنانون الملابس ذات اللون الأصفر المصبوغة بالزعفران ، وآخر عملية يمر بها النسيج هي تجزئته إلى قطع، ثم يباع للمشتريين من تجار وغيرهم، وينقل كذلك إلى الأسواق الداخلية، وإلى خارج الإقليم لتصدير الفائض منه عن حاجة البلاد ⁽¹⁾.

2 - صناعة القنب:

استفاد اهل الموصل من ألياف أغصان القنب⁽²⁾ لبعض أعمال الحياكة، إذ ذكر المقدسي أن من جملة المواد التي تصدرها مدينة معلثايا هو القنب⁽³⁾، وقد كان هذا النبات يعالج بطريقة خاصة لتهيئة الألياف لهذا الغرض ومفادها قلع الأغصان عند نضوجها وقبل أن تجف يربط بعضها ببعض على هيئة حزم، وتوضع في ماء الأنهار بعد وضع كميات من الحجارة فوقها لكيلا يجرفها الماء، وبعد مرور شهر تقريباً تستخرج الاغصان وتجرد الألياف المحيطة بها ثم تغسل وتجفف وتمشط، وبهذا تكون مهياًة لأعمال النسيج والحياكة وتستخدم في عمل الحبال وبعض المنسوجات الخشنة⁽⁴⁾، وقد اشتهرت بلدة معلثايا بصناعة الحبال من هذا القنب⁽⁵⁾.

(1) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 213.

(2) القنب: نبات حولي زراعي ليفي من الفصيلة القنبية، نخبة من المؤلفين.(2007م): المعجم الوسيط، ص 761.

(3) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(4) نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 399.

(5) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

2- الصناعات النسيجية ذات الأصل الحيواني :

انتشرت هذه الصناعات في عدة مدن في الجزيرة الفراتية وقد وجد بعضها منذ العصور القديمة وهي تتمثل بالمنسوجات الصوفية ومنسوجات الوبر والشعر وذلك لانتشار تربية الأغنام والماعز والجمال في الجزيرة وأيضاً بسبب تنوع استخداماتها من قبل الأهالي فقد كان يصنع منها الثياب والمناديل والبسط والخيام وغيرها الكثير.

أ - المنسوجات الصوفية :

لا تقل صناعة الصوف جودة عن صناعة القطن والحرير، فضلاً عن تنوع استعمالاته من ثياب صيفية نسائية مختلفة الأشكال والألوان وثياب شتوية وكانت تصنع إما من الصوف الخالص، أو يخلط معه خيوط الحرير أو القطن⁽¹⁾.

1 - أبرز مراكز الصناعة الصوفية:

كانت مدينة ماردين أشهر المدن في هذه الصناعة إذ كانت تصنع فيها الثياب المنسوبة إليها من صوف المرعز⁽²⁾ الجيد⁽³⁾، واشتهرت مدينة آمد بالثياب الموشية والمناديل والستر الرقاق والطبالسة⁽⁴⁾ التي نسجت من الصوف⁽⁵⁾ كما في الملحق رقم (4) ص 188، وانتشر فيها أيضاً صناعة ثياب الصوف والكتان

(1) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 211.

(2) المرعز: وهو صفة تعني اللين من الصوف، وهو الزغب الذي تحت شعر العنز، أو الصوف الذي يخلص من بين شعر العنز، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج5، ص 355؛ الفيروز آبادي. (2005م): القاموس المحيط، ص 512 .

(3) ابن بطوطة. (1996م): رحلة ابن بطوطة، ج2، ص 86 .

(4) الطبالسة : مفرداها الطيلس، والطيلسان، وهي كلمة فارسية معربة وهي ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خالي من التفصيل والخياطة، ويعرف بالعامية بالشال، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج6، ص 125؛ نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 561 .

(5) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر البصري ت. 255هـ/869م. (1935م): التبصر بالتجارة، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، ص 30.

الرومية التي كانت تصنع على الطريقة الصقلية ⁽¹⁾، وقد اشتهرت تكريت بصناعة الصوف وأشار الثعالبي إلى جودة هذا الصوف بقوله: " أجود الصوف صوف مصر ثم صوف أرمينيا ثم صوف تكريت " ⁽²⁾.

2 - أبرز الصناعات:

برز في الجزيرة عدد من أعلام الصناعات الذين مارسوا عملية النسيج في العصور العربية الإسلامية، حتى إنها ارتبطت بهم أو أصبحت أحد ألقابهم وغلبت على اسمهم، ومثال على ذلك الشيخ خير النساج أو الشيخ النساج الذي عاش قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذي كان من المتصوفة الذين يمارسون مهنة الحياكة ⁽³⁾، واشتهر أيضاً في الحياكة منتخب الدين عمر بن المظفر بن عبدالله بن المبارك المخزومي البرطلي وقد كان يمارس مهنة الحياكة ومهر في الشعر والأدب والموسيقى وتوفي في الموصل في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ⁽⁴⁾.

ب - منسوجات الوبر والشعر :

اشتهرت الموصل في غزل شعر الماعز ونسجه، وقد كان من الحرف القديمة في الموصل إذ يرد ذكر سوق الشعارين منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي عند ابن الاثير ⁽⁵⁾، وقد شكلت من شعر الماعز المنسوج بيوت الشعر المستخدمة في البادية التي تصنع من شعر الماعز وصوف الأغنام ووبر الجمال وغيرها وتصبغ خطوطاً حمراء وبيضاء وسوداء، وتنصبها الجيوش في معسكراتها والبدو بوصفها

(1) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(2) الثعالبي، أبي منصور عبدالملك ابن محمد بن إسماعيل ت. 429هـ/ 1037م. (2003م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، ص 433.

(3) الهروي. (2002م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص 71 .

(4) الديوه جي. (1970م): أعلام الصناعات، ص 64.

(5) ابن الاثير. (1997م): الكامل، ج4، ص 174 .

منازل لهم وفي الصحراء، وكذلك غرائر⁽¹⁾ الشعر التي ينقل بها الفلاحون غلالهم وتستديم لعدة سنين، واستفاد الموصليون أيضاً من وبر الجمال فنسجوا منه أنسجة دقيقة الصنع ناعمة الملبس خيطة منها البرد⁽²⁾.

1 - أبرز الصناع:

ومن أبرز الصناع في هذه المهنة المبارك بن أبي بكر حمدان بن الشعار الموصلي 593 - 654هـ/ 1196 - 1256م، وعائلته من أبرز الأسر التي امتهنت الشعارة أي ندف شعر الماعز وغزله وحيآكته إذ كانوا يصنعون منه خيم للبدو وهو صاحب كتاب عقد الجمان في شعراء الزمان وهو مؤلف من اثني عشر مجلداً⁽³⁾.

ج - صناعة المفروشات النسيجية:

لقد انتشرت صناعة المفروشات في الجزيرة بكثرة ونتيجة الاستقرار والرخاء فقد تفنن الناس بتزيين بيوتهم بأجمل المفروشات.

ومن أبرز المنسوجات التي اشتهرت بها الجزيرة منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كانت الستور⁽⁴⁾ والمسوح⁽⁵⁾، إذ كانت تحمل من الموصل إلى بغداد، وفي العصر الأتابكي بلغت صناعة مسوح

(1) الغرائر: مفردا غرارة، وتدعى أيضاً الجلال والوليحة، وهي مثل الكيس يحمل بها الطيب والأثواب والفواكه وغيرها وهي تصنع من الشعر أو من الصوف، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج2، ص638.

(2) البرد: هو كساء مخطط يلتحف به، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 48.

(3) اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت. 726هـ/1326م. (1992م): ذيل مرآة الزمان، 4 أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، ج1، ص 33.

(4) الستور: مفردا : ستار وهي ما يستر به وما أسدل على نوافذ البيوت والأبواب حجبا للنظر، مجموعة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 417.

(5) المسوح: عبارة عن كساء مخطط من النسيج الصوفي يفتش ويستتر به، نخبة من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 398 .

الموصل من الدقة بحيث أصبحت مضرب الأمثال في الجودة والإتقان وتناسق الألوان، وتوسعت تجارته كثيراً⁽¹⁾.

وكانوا ينسجون أيضاً أغشية المنامات أي الشرشف من الصوف و يكون ممزوجاً مع القطن، وقد يمزج مع بعض الحرير، فيطرز به، وكانوا يتخذون سجادات للصلاة، التي يصلى عليها في فصل الشتاء⁽²⁾.

وقد صنعت في الجزيرة الفراتية الأغشية والمفارش والسجادات والبسط الأرضية المختلفة الأحجام والأنواع والألوان، وكانت تصنع إما من الصوف الخالص أو يخلط معه خيوط من الحرير أو القطن⁽³⁾.

وقد اشتهرت قلعة وان الواقعة بين خلاط وتغليس من أعمال قاليقلا في أقصى الشمال الشرقي من الجزيرة الفراتية بصناعة البسط⁽⁴⁾.

د - صناعة السروج والأحزمة:

نتيجة لانتشار الخيل بكثرة في الجزيرة الفراتية واستخداماتها المتعددة في الحروب ومن العامة وأيضاً الملوك الذين كانوا يتباهون باقتناء الخيول الأصيلة وتزيينها بأبهى الحلي ولذلك فقد انتشرت في الجزيرة صناعة السروج والأحزمة وأصبح هنالك أماكن خاصة وأسواق تباع فيها إذ كانوا ينسجون فيها قماشاً سميكاً يتخذون منه سروج الخيل، وبرادع⁽⁵⁾ الحمير واقتاب الجمال التي كان لها سوق خاص بها وهو سوق القتابين⁽⁶⁾، وكان لهذا النوع من القماش رواج كبير وإنتاج كثير، ويشغل به عدد كبير من الحاكّة ذلك لأن

(1) نخبة من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 398.

(2) الديوه جي. (1970م): أعلام الصناع، ص 50 .

(3) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 211.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج5، ص 355 .

(5) البرادع: مفردتها البردعة، وهي ما يوضع على الحمار والبغل ليركب عليه، كالسرج للفرس، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 48.

(6) ابن الأثير. (1997م): الكامل، ج4، ص 174.

وسائل النقل في الموصل والجزيرة عمومًا كانت تعتمد على الحمير والبغال والجمال، وكما كانوا ينسجون قماشًا سميكًا من الصوف يشبه المقارم ويضعونه فوق ظهور الخيل في فصل الشتاء ويسمونهم شف، ونسجوا الأحزمة الجميلة التي تكون من الصوف، أو ممزوجاً مع القطن أو الحرير، ويزينون طرفي الحزام بحريز ملون⁽¹⁾.

2 - صناعة الملابس:

أ - صناعة الملابس القطنية:

اشتهرت الجزيرة الفراتية في صناعة الملابس القطنية بأنواعها جميعها وقد شملت فئات الناس كافة من العامة والفئة الحاكمة وزينت بأجمل النقوش والتطريزات، ودخلت في كثير من الثياب الصالحة لكافة فصول السنة لجودتها التي اشتهرت بها وكانت تصنع منها كميات كبيرة من الأصناف والألوان المختلفة وفي العديد من الأماكن⁽²⁾.

1^أ - أنواع الملابس القطنية:

من أبرز الملابس التي صنعت الإزار⁽³⁾ وهو من الملابس الخارجية للبدن لدى الرجال والنساء الذي أصبح في وقت متأخر للنساء فقط، فقد وجدت الأزّر على تصاوير بعض التحف المعدنية الموصلية من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ففي إحدى وجوه صينية لبدر الدين لؤلؤ يظهر شخص

(1) الديوه جي.(1970م): أعلام الصناعات، ص 50.

(2) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 210.

(3) الإزار: هو الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي يلتف به الرجال والنساء، وقد كان إزار النساء عبارة عن قطعة من النسيج، وقد كان عرض هذا الإزار ذراعان أو أكثر حسب طول المرأة وطوله ثلاثة أذرع، وتسحب النساء من قسمه الخلفي حاشية على الجزء العلوي من الرأس وعلى الجبين، ويعلق هذه الحاشية حينئذ بشريط مخطط من الداخل، أما البقية فتندلى إلى الخلف وإلى كل جهة حتى تبلغ الأرض أو تكاد تمسها، وهذا الإزار يلف الجسم كله تقريباً، لأن المرأة تمسك بنهايته بصورة تجعله يلفها من الجهة الأمامية أيضاً، دوزي، رينهارت.(1971م): المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، مطبوعات وزارة الاعلام العراقية، ص35.

يرتدي إزارًا يبلغ طوله مستوى الركبتين وأيضًا وجد الإزار على طست الذكي النقاش الموصل⁽¹⁾ ومن أشهر الإزار آنذاك الإزار الموصل الممول من الحرير المزركش بالذهب وحاشيته من قصب، ونسجت إزار الفئات الشعبية من القطن والكتان وبعضها صنع من القنب⁽²⁾، ومن الغريب انتشار مثل هذه الرسومات البشرية على التحف المعدنية مع منع الدين الإسلامي من وضع الصور الرسومات والصور على التحف وذلك لأنها تعيد المرء إلى الزمن الجاهلي ولاسيما الأصنام والأوثان.

وقد نسجوا التبان⁽³⁾ وهو من السراويل القصيرة وهو مشترك بين الرجال والنساء، وظهر على بعض التحف المعدنية في الموصل في العصر الأتابكي، وظهر تبان امرأة وجدت على رسوم طست الذكي الموصل⁽⁴⁾ وهو من النوع القصير الذي يصل إلى أعلى الركبتين⁽⁵⁾، واشتهرت مدينة ميفارقين أيضاً بصناعة التكاك⁽⁶⁾ الجيدة⁽⁷⁾.

وقد صنعت القمصان أيضاً من الشاش الموصل فقد كانت نساء حلب يرتدين سراويل طويلة مثل الرجال ويلبسن فوقها قميصاً طويلاً عريضاً من الشاش الموصل المخطط المرقط وقد ظلّ يلبس لعصور كثيرة وقد

(1) أحمد بن عمر الذكي النقاش الموصل: هو من الأساتذة البارعين في النقش وصنع عدة تحف للملك العادل أبي بكر الأيوبي 538-615هـ/1144-1219م وتخرج على يده عدة نقاشين هامين أبرزهم أبو بكر بن حاج جلدك الموصل وله العديد من التحف المعدنية المنتشرة في متاحف مختلفة منها الطسوت والشمعدانات، الديوه جي. (1970م): أعلام الصنائع، ص88.

(2) نخبة من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 403.

(3) التبان: هذه الكلمة تحريف للكلمة الفارسية تنبان التي تعني سراويل الجلد التي يستعملها المصارعون، والسراويل التي يرتديها الملاحون وفي اللغة العربية هي سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلطة فقط، ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص72؛ دوزي. (1971م): المعجم المفصل، ص 86.

(4) طست الذكي الموصل: وهو من أقدم الطسوت الموصلية محفوظ في متحف اللوفر بباريس ورقمه (5991) وهو مصنوع من النحاس الأصفر وذو زخارف مكفّنة بالفضة ارتفاعه 19سم وقطر قاعدته 32سم ونقش عليه اسم وألقاب السلطان العادل أبي بكر الأيوبي وتظهر عليه رسوم أشخاص يقومون بالمبارزة وأشكال هندسية مختلفة ويرجع تاريخ صنع لسنة 636هـ/1238م، العبيدي، صلاح حسين. (1970م): التحف المعدنية الموصلية، مطبعة المعارف، ط1، بغداد، ص 116-126.

(5) نخبة من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 405.

(6) التكاك : مفردتها التكة : وهي رباط السراويل، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 86 .

(7) الإدريسي. (1989م): نزهة المشتاق، ج2، ص 826.

طرز بالحريير الملون بلون الذهب وهو مفتوح من الأمام⁽¹⁾ ويظهر القميص في الملحق رقم (6) ص 190.

ومن الألبسة التي صنعت العمامة وهي تعد في مقدمة ألبسة الرأس وكان يتخذ من الشاش الموصل كبر القوم وأغنياؤهم عمام يزينون بها رؤوسهم⁽²⁾، وقد لبس الخطباء العمامة الصفراء فقد ذكر ابن تغري بردي أنه في عام 411هـ / 1020م كان أحد خطباء الموصل يرتدي عمامة صفراء⁽³⁾، فقد ظهرت في الرسوم المنفذة على التحف الأثرية بأشكال متعددة للعمائم في الموصل ولا سيما في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وأكثرها شيوعاً كان النوع المعروف لدى المعاجم بالكوار أو المكورة لأنها تتكون من عدة لفات إذ ظهرت في مخطوط خواص العقاقير 620هـ / 1222م⁽⁴⁾، وظهر نوع آخر من عمام الموصل يتألف من شريط ضيق من القماش يلف حول الجزء المتم لها وهو ما سمي بالقلنسوة، وقد كان هذا النوع أكثر شيوعاً لدى الحرفيين وظهر في مصور مخطوط الترياق لجالينوس من الموصل 595هـ / 1199م⁽⁵⁾، وكانت بيضاء اللون معمولة من الشاش الموصل⁽⁶⁾، وانتشرت أيضاً صناعة العمامة بصلية الشكل التي ظهرت في نقش شمعدان أبو بكر بن حاج جلدك الموصل⁽⁷⁾ إذ كان يرتديها حاكم يجلس على العرش⁽⁸⁾.

وقد كان النساء يلبسن القلائس أيضاً ولاسيما الموسيقىات ومثال على ذلك نقش على طست أحمد

(1) دوزي.(1971م): المعجم المفصل، ص 330.

(2) الديوه جي.(1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص 48 .

(3) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين ت. 874هـ/1470م.(1938م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 12 جزء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج3، ص 194.

(4) مخطوط خواص العقاقير: كتبه عبدالله بن الفضل وكان به 30 صورة وهي موزعة بين متاحف العالم، الألفي، أبو صالح.(1998م): الفن الإسلامي أصوله وفلسفته ومدارسه، دار المعارف، بيروت، 1998م، ص 236.

(5) مخطوط الترياق: ألفه جالينوس وقد نسخ في مدينة الموصل، والمخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية في مدينة فيينا، وهناك نسخة أخرى محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس، صالح، عبدالعزيز حميد.(2019م): الأزياء عند العرب عبر العصور المتعاقبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 311.

(6) نخبة من الباحثين: موسوعة الموصل، مج 3، ص 399.

(7) أبو بكر بن الحاج جلدك الموصل: من أبرز أعلام صناعة التحف في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، تتلمذ على يد أحمد بن عمر الذكي النفاش وتخرج على يده واتقن صناعة النقش ومن أبرز آثاره كان هذا الشمعدان الذي كان من النحاس المطعم ونقش عليه اسمه وتاريخ صنعه وهو محفوظ في متحف الفنون الجميلة في بوستن في الولايات المتحدة، الديوه جي.(1970م): إعلام الصناعة، ص 82.

(8) العبيدي.(1970م): التحف المعدنية، ص 85.

الذكي النقاش الموصلية تظهر فيه امرأة تضرب على قيثارة، وفوق رأسها قلنسوة ويحيط بها من الأسفل عصابة مربوطة في مؤخرة الرأس على شكل عقدة وتنتهي طرفاً هذه العصابة بجزء عريض مثلث الشكل ينتهي بما يشبه خصلة شعر، وأيضاً من أغطية الرأس التي صنعت القناع أو المقنعة وهو ثوب يغطي رأس المرأة ومحاسنها وقد ظهرت عازفة على عود تلبس القناع على نقش صينية بدر الدين لؤلؤ⁽¹⁾، وقد كان هذا القناع قطعة من الشاش الموصلية له طول ذراع أو أكثر، وله أقل من ذلك للعرض، ويوضع شطر منه فوق الرأس تحت الإزار، ويتدلى سائره، من الأمام حتى الوسط، وهو يغطي الوجه بكامله وتسمح برؤية النساء أمامهم⁽²⁾.

ومن أغطية الرأس أيضاً الطرحة التي كانت ترتديها النساء وقد وصفها دوزي Dozy بقوله: هي خمار مقور مصنوع من الشاش الموصلية الذي يوضع على العمامة أو يطرح على الكتفين ويتدلى على الظهر⁽³⁾.

وقد صنعت العمام والطاقيات من الشاش الموصلية وعرفت في مصر والشام⁽⁴⁾ وقد كان الشاش الموصلية يلف حول القلائس⁽⁵⁾ كما في الملحق رقم (5) ص 189 وكان يصنع أيضاً من الشاش الموصلية الشالات التي انتشرت في مصر، إذ ذكر دوزي أن الشال قطعة طويلة من الشاش الموصلية أو من النسيج الذي يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش الذي يوضع على الرأس، وسيدات الفئة العليا ونساء الشريحة الميسورة وضعن على رؤوسهن قطعاً من الشاش الموصلية الأبيض المطرز بالحرير والمرصع بالذهب، وأيضاً كنّ يلبسن الفرودية وهي طاقية أو طربوش أو طرحة مربعة وهي معمولة من الشاش الموصلية

(1) العبيدي، صلاح حسين. (1980م): الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ص 173.

(2) دوزي. (1971م): المعجم المفصل، ص 334.

(3) دوزي. (1971م): المعجم المفصل، ص 212.

(4) نخبة من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج 3، ص 397.

(5) القلائس: بفتح القاف واللام الممدودة وكسر النون، مفردتها: قلنسوة: وهي غطاء الرأس، ويعمل بالقصب والورق، ولقد ألزم الخليفة العباسي المنصور الرعية بلبسها سنة 153 هـ/ 770 م، عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 468.

المنقوش⁽¹⁾، والنساء في ديار بكر لبسن معاطف من القطن عليها نقوش زرقاء⁽²⁾، وقد صنعت من قماش القطن أيضاً الغلائل⁽³⁾ المميزة⁽⁴⁾.

وصنعت ملابس خاصة بالتعزية وغلب عليها اللون الأسود، فقد ذكر ابن الفوطي " أن ركن الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل عندما ذهب لتعزية المستعصم بالله بوفاة المستنصر سنة 640هـ/1242م وخرج إلى لقائه الأمراء فدخل وعليه الثياب الخاصة بالتعزية⁽⁵⁾ .

ب - الملابس الصوفية:

انتشرت صناعة الملابس الصوفية في الجزيرة وذلك لكثرة الأغنام فيها فقد عمل في هذه الصناعة الكثير من سكان الجزيرة وقد صنعوا أجمل الملابس على مختلف أنواعها التي تقيهم برد الشتاء القارس وقد صنعوا أيضاً الحقايب المميزة مختلفة الاستخدامات.

1 - أبرز أنواع الملابس الصوفية:

من أبرز الملابس التي كانوا يصنعونها في الجزيرة الجواجم⁽⁶⁾ وينسجون أيضاً العباءات من الصوف، وقد كانت دقيقة الصنع، ناعمة الملمس، وقد يqlمونها ويسمونها الشال ويرتديها الأغنياء، وكانوا أيضاً ينسجون شالاً خشناً يرتديه الفلاحون والعمال في أثناء العمل، ونسجوا أقمشة مختلفة الاشكال والنقوش من

(1) دوزي.(1971م): المعجم المفصل، ص 220.

(2) دوزي.(1971م): المعجم المفصل، ص 364.

(3) الغلائل: مفرداها الغلة والغلالة والغلائل هي الدروع أو هي البطائن التي تلبس تحت الدروع وهي أيضاً الثوب الرقيق الذي يلبس تحت ثوب آخر أو تحت الثوب السميك، ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 502؛ عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 410.

(4) الديوه جي.(1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص 48.

(5) ابن الفوطي، أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد.(1932م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المانة السابعة، تح: مصطفى جواد، بغداد، ص 165.

(6) الجواجم: وهي التي كانت تعرف أيضاً بالمقارم منذ القرن الثالث للهجرة ومفرداها مقرم وهي التي يلتحف بها في فصل الشتاء، وتكون سميكة وقوية وطرزوا حواشيها بغزل القطن ومازالت صناعاتها موجودة إلى اليوم و تدعى الحرامات، الديوه جي.(1970م): أعلام الصانع، ص 50 .

الصوف وكانت سميكة وغالية الثمن وتشتغل النساء في نسجها أيام الصيف والخريف وتبعنها في فصل الشتاء للتجار الذين كانوا يصدرونها إلى البلدان المجاورة ⁽¹⁾.

وقد كان الخمار من أبرز المنسوجات التي صنعت، وظهر على بعض المنقوشات التي على التحف المعدنية مثل إبريق شجاع بن منعة الموصلية ⁽²⁾ إذ نُقش عليه جارتان ترتديان ملابس فضفاضة وتضع إحداهن خماراً على وجهها وتضرب على العود ⁽³⁾.

وقد كان نسج الجوارب من الحرف المهمة التي كانت تمارسها النساء في الموصل على اختلاف طبقاتهن فيغزلن الصوف والقطن، وينسجن ما يحتاجه أهل البيت منها، ويبيعن الكثير إلى التجار، وكنّ ينسجن حقائب صغيرة من غزل دقيق، يطرزنها بالحريز الملون تتخذ لوضع المصحف الشريف فيها، ويتخذن حقائب مزدوجة تكون تحت الفارس عند ركوبه يضع بها أمتعته ولوازمه ⁽⁴⁾.

أما النوع الآخر من الألبسة الذي اشتهرت بصناعته الموصل فهو السروال وهو من ألبسة البدن الداخلية للرجال والنساء، والحكمة من استعماله ستر العورة، وقد كان السروال الموصلية يصنع من قماش صوفي يلبسه المترفون فوق السروال القطني في الشتاء وقد كانت تنقش أطرافه السفلى بالإبريسم، وهناك سراويل لها حزمة وساقان تُصنع بالتفصيل والحياسة، وقد وجد السروال على الآثار الموصلية ضمن التصاوير التي وجدت على بعض العناصر المعمارية والتحف الفخارية والمعدنية، وقد كان يتميز بطوله الذي يصل إلى القدمين ⁽⁵⁾.

(1) الديوه جي.(1970م): أعلام الصناعة، ص 50 .

(2) شجاع بن منعة الموصلية: من أبرز النقاشين المواصل مازالت العديد من صناعاته منتشرة في المتاحف أبرزها هذا الأبريق المصنوع من النحاس الأصفر المكفت بالفضة ونقش سنة 629هـ/1231م وهو محفوظ في المتحف البريطاني في لندن، الزركلي.(2002م): الأعلام، ج2، ص 157.

(3) العبيدي.(1970م): التحف المعدنية، ص 61 .

(4) الديوه جي.(1970م): أعلام الصناعة، ص 49 .

(5) نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 404 .

ج- صناعة الملابس الحريرية:

انتشرت صناعة الملابس الحريرية بكثرة في الجزيرة الفراتية ولاسيما أنها ملابس الفئة العليا في الدولة التي تشمل الأمراء وكبار التجار الذين كانوا يتباهون بأبرز الملابس وأندرها وأيضاً أغلاها سعراً.

1 - أبرز الملابس الحريرية:

اهتمت زبيدة زوج الرشيد في أيام سكنها في قصرها في الرقة كثيراً بالتزين فقد صنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي⁽¹⁾ الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار، وهي أول من اتخذت القباب⁽²⁾ من الفضة وقد كانت أساورها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي، وأنواع الحرير المختلفة من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق⁽³⁾.

انتشرت في الموصل ثياب المحررات وهي التي يكون غزلها بالحرير وتسمى الملحم من الثياب⁽⁴⁾ ومن أبرز الأمثلة على انتشاره في الجزيرة الفراتية ولاسيما في الموصل أنه كان يرتدي علي إسحاق الموصلية مطرف خز أسود جميل قيمته مئة دينار⁽⁵⁾.

ومن أهم المنسوجات التي صنعت من الحرير القباء وقد كان يصنع من الحرير الصرف أو من الحرير المنسوج بالصوف ومثال على صناعتها في الجزيرة النقوش التي زينت الإبريق النحاسي المرصع بالفضة

(1) الوشي: الوشي من الثياب هو المعروف أما الوشي في اللون هو خلط لون بلون آخر مخالف له؛ ابن منظور: لسان العرب، ج15، 392؛ عمارة (1993م): قاموس المصطلحات، ص 623.

(2) القباب، مفرد قبة: وهو طوق الثوب الذي يحيط بالعنق، نخبه من المؤلفين (2008م): المعجم الوسيط، ص 709.

(3) العلي (2003م): المنسوجات والألبسة، ص 236.

(4) محمد (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 275.

(5) الأصفهاني (1952م): الأغاني، ج10، ص 20.

الذي من صنع إبراهيم بن مواليا الموصل⁽¹⁾ إذ يظهر عليه رسمٌ لشخصين يرتدي كل منهما قباءً مختلفًا عن الآخر⁽²⁾.

وكان للخلفاء والأمراء معامل خاصة تعرف بدور الطراز وكانوا يزينون النسيج بسطور من الكتابة وكانت الكتابة تنسج على حافة القماش وتحوي اسم الخليفة أو الأمير ولقبه وبعض عبارات الدعاء، وكانت الكتابة تحاك من خيوط الذهب، أو من خيوط ذات ألوان زاهية، وكانت دار الطراز مظهرًا من مظاهر السلطان وكانت تنتج البسط والثياب والأعلام والبنود والفرش، وهذه يستعملها الأمير أو يعطيها لكبار الموظفين بوصفها علامة تشريف له وقد كان للولاة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الكثير من دور الطراز لاسيما عند الحمدانيين في الموصل⁽³⁾.

د - الملابس المصنوعة من الوبر:

صنعت من الوبر الكثير من الملابس التي يرتديها الرجال في الشتاء، واشتهرت الموصل أيضًا بنسيج القطيفة⁽⁴⁾ المعمول من الوبر وتخاط منه ملابس النساء ذات الخامة الجيدة والألوان الزاهية، وقد كانوا يصنعون العباءات من نسيج الوبر وقد كانت تلبس في فصل الشتاء⁽⁵⁾.

ومن أهم الألبسة التي انتشرت من الوبر الفرجية⁽⁶⁾ واكتسبت شهرة واسعة في الجزيرة الفراتية وقد كانت من الألبسة الشتوية ومن أهم الهدايا التي يقدمها الخلفاء والأمراء لرجال الدولة، والمثال عليها ما ذكره ابن

(1) إبراهيم الموصل: من أبرز الصناع المواصل في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر ميلادي وقد تعلم على يده العديد من الصناع أبرزهم قاسم بن علي الموصل وإسماعيل بن ورد الموصل، الديوه جي. (1970م): أعلام الصنائع، ص 85.

(2) العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 80.

(3) الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن الهلال الحارثي ت. 384هـ/ 994م. (1898م): رسائل الصابي، نشره شكيب أرسلان، لبنان، ص 141.

(4) القطيفة: هو كساء له أهداب أو فراش ذو أهداب كأهداب الطنافس، وهو نسيج من الحرير أو القطن أو الوبر تتخذ منه الثياب والفرش، جمعه: قطائف وقطف، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 747.

(5) الديوه جي. (1970م): أعلام الصنائع، ص 50.

(6) الفرجية: هو نوع من القباء يوجد به شق من الخلف، معلوف، لويس. (2009م): المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 574.

الأثير في كتابه الباهر في حوادث سنة 520 هـ / 1126 م " أنه البرسقي في إحدى ليالي الشتاء بالموصل قام البرسقي من فراشه وعليه فرجية وبر صغيرة، وبيده إبريق نحاسي وقد قصد دجلة ليأخذ ماء يتوضأ به" (1).

سادساً: الصباغة :

رافق انتشار صناعة النسيج في الجزيرة الفراتية صناعة الصباغة وكانت ضرورية لإعطاء المنسوجات سواء الصوفية أو الكتانية أو القطنية أو الحريرية الألوان، ومن الألوان التي عرفت في ذلك الوقت في الجزيرة الأسود والأخضر والأصفر والأحمر والأزرق، وكانت أكثر المواد الصبغية المستعملة هي النيلة⁽²⁾ ونبات الزعفران⁽³⁾.

فاللون الأحمر كانوا يحصلون عليه من لحاء شجر البلوط وهو مصدر نباتي أما اللون نفسه من المصادر الحيوانية فقد كانت بعض الحشرات والديدان ومنها دودة القز أو القرمز وذلك بعد تجفيفها وغليها ثم وضعها في محلول ملحي، أو من بعض القواقع البحرية إذ يستخرج اللون الأرجواني أما اللون الأزرق فيؤخذ من نبتة النيلة، ومن تجفيف وتحليل بعض أوراق الأشجار، ويستحصل على اللون الأصفر من نبات الزعفران والكرم⁽⁴⁾، أو الأصباغ الصفراء التي تنتج من سحق بعض الأزهار وجذور النبات المجففة، ثم ينقع المسحوق بماء بارد فينتج لون أحمر ثم يفصل بإضافة بعض المواد عليه فينتج اللون الأصفر، أو ينتج عن طريق سحق ثمار شجرة الرمان ومن ثمار السماق⁽⁵⁾، أما اللون الأخضر فقد كانوا يحصلون عليه عن طريق خلط

(1) ابن الأثير. (1963م): الباهر في الدولة الأتابكية، ص 54 .

(2) النيلة: جنس نباتات مُحولة أو معمرة من الفصيلة القرنية تزرع لاستخراج صبغة النيلة الزرقاء المعروفة من ورقها وتسمى النيل والنيلج، البابلي، حسين. (1949م): قاموس النباتات، دار النيل للطباعة، القاهرة، ص135؛ نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 967.

(3) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 199.

(4) الكرم: نبات طبي هندي من الفصيلة الزنجبارية، يستعمل بعد سحقه كصباغ أصفر فاقع، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص784.

(5) السماق: وهو شجر ينتشر في الجبال وله ثمر طعمه حامض على شكل عناقيد وفيه حب صغير يطبخ ويوضع مع الطعام، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج10، ص 164.

مادة من اللون الأصفر مع مادة من اللون الأزرق فيتم الحصول على اللون الأخضر ولتثبيت اللون على القماش استخدمت مواد مختلفة منها قشور الرمان والفسق والجوز وقد استخدموا بعض المواد المثبتة أبرزها الشب⁽¹⁾ والخل⁽²⁾ .

وفضلاً عن أصباغ الملابس كان هنالك أصباغ للشعر تستخرج من ثمار وأوراق أشجار السماق الذي انتشر في أراضي الجزيرة⁽³⁾ .

وقد انتشرت المصايغ في عدة أماكن في الجزيرة وأشهرها مصايغ سوق السراجين في مدينة الموصل⁽⁴⁾ .

ويظهر من تتبع الصناعات النسيجية والصباغة في الجزيرة مدى التقدم الكبير في هذه الصناعة فقد شملت أنواع الأنسجة الصوفية والقطنية والكتانية والوبر والشعر جميعها وصنعت السروج والخيام وأنواع الألبسة كافة التي لاقت شهرة عالمية في ذلك العصر ولاسيما نسيج الموسلين وأيضاً مما أسهم في تطور هذه الصناعة كثرة الدول والحضارات التي قامت على أرض الجزيرة وكل دولة كان لها البسة خاصة بها وتراث مختلف عن الأخرى وهذا أسهم في اختلاف الألبسة وتعددتها وقد تركت كلٌّ منها بصمة مميزة في هذه الصناعة.

(1) الشب: حجر معروف يشبه الزاج يدبغ به الجلود، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج1، ص 483.

(2) القيسي، ناهض عبد الرزاق. (2009م): الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ص 19.

(3) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 198.

(4) الوريكات. (2001م): الحياة الاجتماعية، ص 136.

الفصل الرابع : الصناعات الاستخراجية والمعدنية والخشبية وصناعات أخرى:

أولاً: الصناعات الاستخراجية:

1- القار والنفط والكبريت.

2- الملح والكلس.

3- معادن استخراجية مختلفة.

ثانياً: الصناعات المعدنية والخشبية:

1 - الصناعات المعدنية:

أ - صناعة الصياغة والحلي.

ب - الصناعات الحديدية.

ج - الصناعات النحاسية.

د - صناعة التحف المعدنية.

2 - الصناعات الخشبية.

ثالثاً: صناعات مختلفة:

1 - الصناعات الزجاجية.

2 - صناعة الفخار.

- 3- الخزف.
- 4- صناعة الخمر.
- 5 - صناعة الأدوية.
- 6- صناعة الأسمدة الزراعية.
- 7- صناعة الورق والأقلام ونسخ الكتب.
- 8- الصناعات الجلدية.
- 9- صناعة مواد البناء.
- 10 - صناعة العطور.
- 11 - صناعة الأسلحة.
- 12 - صناعة الآلات الموسيقية.

الفصل الرابع : الصناعات الاستخراجية والمعدنية الخشبية وصناعات أخرى :

أولاً: الصناعة الاستخراجية :

نتيجة تنوع المظاهر التضاريسية على كافة أراضي الجزيرة الفراتية الممتدة على مناطق واسعة جعل منها منطقة غنية بالثروات الباطنية المتنوعة، التي قامت عليها العديد من الصناعات وأبرزها:

1 - القار والنفط والكبريت:

انتشرت هذه الثروات في عدة مناطق في الجزيرة الفراتية وقد استثمرها سكان الجزيرة في كافة المجالات الممكنة ومنها المجال الصناعي.

القار: وهو القير أو الزيت ويسمى في العصر الحاضر الإسفلت.

أماكن وجوده: ذكر الإصطخري أن جبل بارما الذي يمتد إلى وسط الجزيرة مما يلي الغرب قد كثر في مأيه عيون القير ⁽¹⁾، وقد وجد القير في عين القيارة التي تدعى عين ميمون الواقعة بالقرب من الموصل التي كانت شديدة الحرارة ويخرج مع مائها القليل من القار وتنفع للعديد من الأمراض ⁽²⁾، وقد كان القار يخرج من عين تغور الواقعة في الجانب الغربي من الموصل التي كانت تقصد أيضاً للعلاج من الأمراض ⁽³⁾، وقد ذكرهم ابن جبير في رحلته حين مر بموضع يعرف بالقيارة بالقرب من دجلة بالجانب الشرقي منها وعن يمين الطريق إلى الموصل، ذكر أنه توجد قطعة من الأرض فيها عيون كبيرة مليئة بالقار وقد كانت يخرج منها

(1) الإصطخري.(2004م): المسالك والممالك، ص 75.

(2) ابن الأثير.(1997م): الكامل، ج10، ص 470 .

(3) العمري.(1955م): منية الأدباء، ص 147 .

القار إلى جوانبها، وقد تحدث عن عين بجوار هذه العيون يوجد بها القار على شط دجلة يظهر منها الدخان عن بعيد⁽¹⁾.

وقد تحدث الشابشتي في كتابه الديارات عن دير القيارة الذي يقع في الجانب الغربي من الموصل وأنه يوجد تحته عين قير وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة ويخرج منها القير⁽²⁾.

كيفية استخراجها:

ويذكر الشابشتي طريقة استخراجها في كتابه إذ قال إن الناس كانوا يجتمعون بقرب العين ويجمعون القير ويغرفونه من الماء بالقفاف، ويضعونه على الأرض في أواني حديد كبيرة وينخل على الرمل، فيضاف عليه بمقدار يعرفونه ويوقد تحته حتى يذوب ويختلط بالرمل، ويحركونه لمدة طويلة حتى يتجمد ويقطعونه إلى قطع كبيرة ويصدرونه إلى البلدان المجاورة⁽³⁾.

وذكر ابن جبير أيضاً طريقة استخراجها فقال أن الناس كانوا يشعلون النار فيه إذا أرادوا نقله فتتشف النار رطوبته المائية وتعقده فيقطعونه إلى قطع كبيرة ويحملونه إلى البلدان المجاورة إلى الشام وعكا والبلدان البحرية جميعها⁽⁴⁾.

أبرز استخداماته: كانت تقير السفن والحمامات به بدلاً من استخدام الرخام والبلاط وكانت العديد من الأواني تقير به، وكان الناس يكثرلون القصد للمواضع الغنية به للتنزه فيها والشرب، ويستحمون فيها من ذلك الماء الذي يخرج مع القير، لأنه يساهم في علاج بعض الأمراض⁽⁵⁾.

(1) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 209 .

(2) الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد ت. 390هـ/998م. (1966م): الديارات، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، ط2، بغداد، ص 302.

(3) الشابشتي. (1966م): الديارات، ص 303.

(4) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 210.

(5) الشابشتي. (1966م): الديارات، ص 303.

الكبريت:

أماكن وجوده: كان في مدينة ترجلة الواقعة في الموصل عين كثيرة الماء وغنية بالكبريت⁽¹⁾ وقد وجدت عين كبريتية في مدينة قرقيسيا بجانب عين الزاهرية وكان مأوها يظهر أخضر ليس له رائحة⁽²⁾ ووجد الكبريت في مدينة حمام علي في الموصل إذ كان بها عين ماء حارة كبريتية⁽³⁾، وقد ظهر بالقرب من الدير الأعلى في الموصل على قمة الجبل المشرف عليها معدن الكبريت⁽⁴⁾.

أبرز استخداماته: كثر استخدام هذا المعدن في المجالات الطبية، فقد وصف الأطباء المياه المعدنية الكبريتية الموجودة في الدير الأعلى في الموصل دواء لبعض الأمراض كالجرب والحكة والبثور⁽⁵⁾. وكان يستخدم للإشعال فقد كانت تصنع من الكبريت المشاعل التي كانت تستخدم في المهرجانات ولإلانة في المنازل والسفن وغيرها⁽⁶⁾.

النفط:

أماكن تواجده: يقول ابن سعيد المغربي إنه كان يصنع النفط في مدينة تكريت⁽⁷⁾، وقد ذكر الإصطخري أن جبل بارما قد كثر في ماءه العيون المليئة بالنفط⁽⁸⁾.

(1) البغدادي.(1991م): مراصد الاطلاع، ص 258 .

(2) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج3، ص 14 .

(3) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج2، ص 299 .

(4) العمري.(2003م) : مسالك الأبيصار، ص 371 .

(5) العمري.(1955م): منية الادباء، ص146.

(6) الديوه جي.(1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص48.

(7) المغربي.(1958م): بسط الأرض، ص 91 .

(8) الإصطخري.(2004م): المسالك والممالك، ص75.

أبرز استخداماته: كثر استخدام النفط في الحروب ولاسيما الكرات المشتعلة التي ترميها المنجنيقات فقد كانت تصنع من القماش المشبع بالنفط وورد ذكرها كثيراً في الحروب في الجزيرة ⁽¹⁾، وقد استخدم النفط الأبيض في العصر الأتابكي فقد كانوا يضعونه على رأس السهام ويشعلونه من أجل حرق منازل الأعداء وخیامهم، وورد ذكر النفط الأبيض عندما قام عزالدين مسعود بن مودود صاحب الموصل بإهداء صلاح الدين الأيوبي أحمال كثيرة من النفط الأبيض والرماح والتروس ⁽²⁾، وهذا دليل على وجوده بكثرة في الجزيرة الفراتية.

2 - الملح والكلس :

الملح :

قد وجد في بعض المدن في الجزيرة الفراتية، إذ كان يقتلع من البراري المنتشرة في وسطها، ثم ينقى وتجهز به المدن وبلاد العراق وقد وجد بها أيضاً القلي ⁽³⁾ والأشنان ⁽⁴⁾ وغيرها من المواد ⁽⁵⁾، ومن أبرز المدن التي انتشر بها الملح جزيرة ابن عمر ومدينة باسورين وهي من أعمال الموصل وقد كان يحمل منهما الملح في الزوارق ويتجهون به إلى العراق أو إلى البلدان المجاورة ⁽⁶⁾.

الكلس :

أماكن وجوده: وجد في الجزيرة الفراتية بكثرة إذ كان في مدينة نصيبين عين ماء عظيمة ينبع منها كلس

(1) حميد، عبدالعزيز وآخرون.(1982م): الفنون الزخرفية، ص183.

(2) الأصفهانى، أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد ت. 597هـ/1201م.(د.ت): الفتح القسى فى الفتح القدسى، دار المنار، القاهرة، ص188.

(3) القلي: هي مواد كاوية تذوب في الماء فترفع نسبة أيونات الهيدروكسيد فيه فوق أيونات الهيدروجين، نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 757.

(4) الأشنان: شجر من الفصيلة الرمرامية ينبت في الأرض الرملية، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي، نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 19.

(5) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 228 .

(6) ابن خرداذبة.(1889م): المسالك والممالك، ص 245.

أبيض، ومن أبرز الأماكن التي انتشر بها الكلس مدينة نصيبين⁽¹⁾ وأيضاً مدينة سنجار⁽²⁾ وجزيرة ابن عمر⁽³⁾.

استخداماته: يستخدمه الناس في تزيين الحمامات والدور⁽⁴⁾، وفي بناء الحصون فقد كان الحصن الذي يحيط بمدينة نصيبين مبني من الكلس⁽⁵⁾، وأيضاً مدينة سنجار قد كان حولها سور منيع مبني بالكلس والحجارة⁽⁶⁾، وكان يدخل في بناء الجسور حيث كان في مدينة جزيرة ابن عمر جسر على نهر دجلة وكان من الأبنية العجيبة فقد كان مبني بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس⁽⁷⁾.

3 - معادن مختلفة :

وقد اكتشف في الجزيرة معدن المغناطيس⁽⁸⁾ ولكن لم يكن الناس على دراية به وكيفية استخدامه إذ وجد في مدينة آمد جبل فيه معدن المغناطيس وكان في الجبل صدع وفي ذلك الصدع سيف لو أمسكه الرجل بكلتا يديه، اضطرب السيف في يده، ولو كان من أشد الناس وهذا السيف يجذب الحديد بقوة، وكان إذا حك به سيف أو سكين، جذبته إليه ولو بقي السيف الذي يحك به مئة سنة، ما نقصت القوة التي فيه من جذب⁽⁹⁾.

(1) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص146.

(2) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص220.

(3) أبو شامة.(1997م): عيون الروضتين، ص 430.

(4) المقدسي.(1991م) : أحسن التقاسيم، ص 146 .

(5) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 140.

(6) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 220.

(7) أبو شامة.(1997م): عيون الروضتين، ص 430.

(8) المغناطيس: حجر يجذب القطع الحديدية من أبر ونحوها وذلك بسبب خاصية الجذب التي يحتويها، نخبه من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 879.

(9) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج1، ص 56 .

وكان معدن البرونز منتشرًا في الجزيرة الفراتية ولاسيما في مدينة حران إذ كان يصنع منه الآلات الفلكية، كالإسطرلاب والموازين الدقيقة⁽¹⁾، وكذلك النقود في دور الضرب في الرقة وفي مدينة الرافقة⁽²⁾.

وقد وجد في منطقة هرور الواقعة بالقرب من العمادية من أعمال الموصل العديد من المعادن⁽³⁾ ومنها معدن الموميا⁽⁴⁾، وكانوا في الرقة يصنعون من الحجر المعدني الذي يسمى أرسون الكحل المستخدم لمعالجة العيون وهو حجر أملس مخمس الشكل⁽⁵⁾.

وقد ظهر بالقرب من الدير الأعلى في الموصل على قمة الجبل المشرف عليها معدن المرقيشيا⁽⁶⁾ والقلقطار⁽⁷⁾.

وقد ذكر الجاحظ أنه كان يجلب من نصيبين معدن الرصاص⁽⁸⁾، وقد وجد معدن الرصاص في جزيرة ابن عمر فقد كان بها جسر مصنوع من الحديد والرصاص⁽⁹⁾.

ويظهر من تتبع الصناعات الاستخراجية أن السكان في الجزيرة لم يأخذوا وضع المتفرج على هذه المعادن الثمينة بل تعمقوا في معرفة خصائصها ودراساتها وقاموا بتطويعها واستخدامها في مختلف الصناعات

(1) أمين، أحمد. (2013م): ظهر الإسلام، 4 أجزاء، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، ج2، ص 440.

(2) الفيصل، ناديا. (2010م): مدينة الرقة، ص 109.

(3) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج5، ص 403 .

(4) معدن الموميا: لم يرد ذكر هذا المعدن في المصادر كثيراً سوى عند ابن الفقيه، وورد ذكره عنده على أنه معدن أبيض يخرج مع المياه التي تنبع من الكهوف ويجمع في قوارير وقد كان يستخدمه السلاطين و الأطباء حيث به خاصية أنه إذا أنكسر أو أنصدع عظم في جسم الإنسان يسقى من هذه المياه ويضع القليل منه على موضع الكسر فيجبره ويصلحه ويشفى من الكسر، ابن الفقيه. (1996م): تقويم البلدان، ص 408.

(5) القزويني، زكريا. (1978م): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت، ص 248 .

(6) المرقيشيا: هو حجر متعدد الأصناف منه الذهبي والفضي والنحاسي والحديدي، وكل صنف منه يشبه الجوهر الذي ينسب إليه في لونه، وقيل هو ما يعرف الآن بالبزموت، وقد استخدمت المرقيشيا كدواء للجرب والحكة والبثور وتنفع للمفعدين، الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص500؛ عمارة. (1996م): قاموس المصطلحات، ص 528.

(7) القلقطار: وهو مادة معدنية وهو الزجاج الأخضر ويغلب على معدنه النحاس، أما الزجاج فهو مادة معدنية يمكن تحليلها بالماء والطبخ وتوجد في العادة مخالطة لأحجار لا تقبل التحليل، وقد كانت لها نفس استخدامات المرقيشيا كمياد معدنية تشفى العديد من الأمراض، العمري. (2003م): مسالك الأبيصار، ج22، ص 235؛ عمارة. (1993م): قاموس المصطلحات، ص 265.

(8) الجاحظ. (1935م): التبصر بالتجارة، ص 32 .

(9) أبو شامة. (1997م): عيون الروضتين، ص 430.

منها الدوائي وعلاج الأمراض المختلفة بحنكة وذكاء وأيضاً صناعة الآلات والنقود في العصور المختلفة.

ثانياً: الصناعات المعدنية والخشبية:

1 - الصناعات المعدنية :

أ - صناعة الصياغة والحلي :

تفنن الصناع في الموصل بصناعة المجوهرات والصياغة من الذهب والفضة وأيضاً إبراز مظاهر الترف من مراكب ومن صناعات مختلفة .

أبرز الأمثلة عليها ما ذكره الرحالة ابن جبير عن مركب خاتون بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل 576-589هـ/1180-1193م⁽¹⁾، فقد كان هودجها عليه الجلال المذهبة، وكانت عصاية الذهب على رأسها، وكان على يمينها جواربها وقد ركب على الدواب التي عليها السروج المذهبة وعصبن رؤوسهم بالعصائب الذهبية وكان يحوي هذا المركب على السلاسل والتمائيل بديعة الصفات⁽²⁾، وكانت مراكب الملوك في مدينة آمد أيضاً تصنع من الذهب المرصع بالجواهر⁽³⁾، ويذكر أن زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد هي أول من اتخذ القباب من الذهب والفضة والأبنوس⁽⁴⁾ والصندل⁽⁵⁾، واتخذت عليّة بنت المهدي أخت الرشيد أيضاً العصائب المكللة بالجواهر⁽⁶⁾.

(1) عز الدين مسعود: هو عز الدين بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وهو أحد الأمراء الزنكيون الذين تولوا إمارة الموصل وتوفي عام 1193م، ابن الأثير: الكامل، ج8، ص626.

(2) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 185.

(3) الفارقي. (1959م): تاريخ الفارقي، ص 83 .

(4) الأبنوس: شجر ينبت في الحبشة والهند، خشبه أسود صلب ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 1.

(5) الصندل: شجر خشبه طيب الرائحة يظهر طيبها بالدلك أو بالإحراق ولخشبه ألوان مختلفة أحمر وأبيض وأصفر، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 525.

(6) العلي. (2003م): المنسوجات والألبسة، ص 236.

وقد استمرت صياغة الحلي وأدوات الزينة ولاسيما النسائية من معدني الذهب والفضة في العهد الأتابكي، ونقش على بعض الأواني الكتابات المذهبة الجميلة وأيضاً في زخرفة بعض المنسوجات الحريرية والتحف المعدنية وتطعيم الصناديق الخشبية الفاخرة وبعض المصنوعات الجلدية ومقابض السيوف وقد دخل ماء الذهب أيضاً في كتابة بعض الآيات القرآنية الكريمة، وكذلك وجدت في قصور الملوك والأثرياء بعض المصنوعات والأدوات والأواني الذهبية والفضية من كؤوس الشراب وأطباق وشمعدانات وثريات مزينة إما بالفضة أو بالذهب، وكان أهل الذمة من المسيحيين واليهود أشهر من عمل بالصياغة وكان ربحهم منها كبيراً⁽¹⁾، وقد كان من أبرز الصاغة الذين اشتهروا بصناعة الحلي والصياغة، سليمان بن سليمان بن أبي الجيش عبد الجبار⁽²⁾.

وتقنوا في التيجان المصنوعة من الذهب والمطعمة بالأحجار الثمينة وكانت منتشرة منذ بداية العصر العباسي، ومثال هذه التيجان المسكوكة النحاسية التي ضربت في الموصل وتعود إلى ناصر الدين محمود أتابك الموصل 616 - 630هـ / 1219 - 1232 م فقد أظهرته النقوش وهو يرتدي ملابس ضيقة ويضع تاجاً مرصعاً بالذهب والأحجار الثمينة⁽³⁾.

وكان بدر الدين لؤلؤ من أكثر المشجعين على هذه الصناعة فقد كان يرسل في كل عام منذ بداية حكمه إلى أن توفي إلى مشهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قنديلاً كبيراً من النحاس مطعماً بالفضة والذهب زنته ألف دينار، وشمعدان مطعماً بالفضة والذهب كتب عليه اسمه، حتى بلغت أربعين من كل منهما، أي عدد أعوام حكمه في الموصل 616 - 657 هـ / 1219 - 1259 م⁽⁴⁾.

وقد أظهر التقن بصناعة الصياغة والحلي مدى الغنى الكبير والرخاء الذي كان في الجزيرة الفراتية

(1) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 219 .

(2) اليونيني. (1992م): ذيل مرآة الزمان، ص 321؛ ابن تغري بردي. (1938م): النجوم الزاهرة، ج7، ص 372.

(3) العبيدي. (1980م): الملابس العربية، ص 86.

(4) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 216 .

والاستقرار والعظمة التي شجعت الأمراء على التباهي بالحلي وبالجواهر الثمينة، ويظهر مدى الدقة التي وصل إليها الصانع في الجزيرة في هذا المجال، فقد استطاعوا تحويل هذا المعدن إلى أشكال غاية في الإبداع باستخدام أدوات بسيطة جدًا على عكس اليوم إذ تُستخدم الآلات والأدوات المتطورة في هذه الصناعة.

ب - الصناعات الحديدية:

نتيجة لتنوع طبيعة أرض الجزيرة وغناها فقد وجدت فيها العديد من المعادن ومن أبرزها كان الحديد الذي وجد في العديد من المدن وأبرزها مدينة حاني الواقعة في ديار بكر وقد كان ينقل منها إلى أنحاء البلاد جميعها (1).

ووجد هذا المعدن في الموصل، وصنع منه السكاكين والنشاب والسلاسل (2)، وكذلك شبابيك الحديد في منطقة رأس العين، ووضعت على العيون التي كانت موجودة بها (3)، وقد وجد معدن الحديد في منطقة هرور الواقعة بالقرب من العمادية من أعمال الموصل (4).

وهناك ما يشير إلى سبائك الحديد أي صهره إذ يسبك بواسطة البواتق أو القوالب التي تصنع من معادن القار والطين بالقرب من جبل البشر على حدود الجزيرة الفراتية وفي أراضيها واستمرت الصناعات القائمة على الحديد لأوقات طويلة ففي مدينة ميفارقين كانت تستعمل قضبان الحديد بين الأحجار، وأيضاً الحوانيت كانت لها أبواب صنعت من الحديد والمساجد كان لها شبابيك من حديد (5)، وقد ذكر ابن جبير في رحلته أن أبواب قيسارية التجار في الموصل مصنوعة من الحديد وقد تحدث أيضاً عن الجامع الذي بناه

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 333.

(2) المقدسي. (1991م): أحسن التقاسيم، ص 145.

(3) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 222.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج5، ص 403.

(5) محمد. (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 219.

مجاهد الدين قايماز أنه يحوي على العديد من الشبائيك الحديدية⁽¹⁾.

ويدل انتشار صناعة الحديد بكثرة في الجزيرة على مدى الاستخدام الواسع لخامات الحديد فيها وذلك لما يمتلكه هذا المعدن من قوة ومرونة كبيرة وقد امتلك الصناع في الجزيرة قدرة كبيرة على صهر هذا المعدن والتحكم فيه في أفران خاصة، وقوالب جاهزة وفق الصناعة المراد إنجازها أما قضبان شبائيك أو سكاكين ونشاب وغيرها من الأمور التي استفادوا منها في حياتهم وأبدعوا مصنوعات متميزة قد شهدت المخلفات الأثرية على عظمتها ويتبين أن هذه الصناعة نالت اهتماماً كبيراً من الخلفاء فعملوا على العناية والتوسع بها وتطويرها وإيجاد أسواق خاصة لها.

ج - الصناعات النحاسية:

كان لهذه الصناعات في الجزيرة باعٌ طويل وأثبت ذلك الكم الكبير من التحف النحاسية المنتشرة في متاحف العالم كافة والمكتشفة من عمليات التنقيب وقد كان للجزيرة دور كبير في تطوير هذه الصناعة.

أبرز أماكن انتشارها: اشتهرت بهذه الصناعات ديار بكر وكانت تصدر النحاس الذي كان يكثر في بعض مناطقها وذلك لغرض استخدامه في الصناعات المختلفة في الجهات المصدر إليها، وقد تميزت بهذه الصناعة مدينة إسعرد، وأيضاً كانت الموصل تشتهر بهذه الصناعة⁽²⁾.

أهم استخداماته: كان يصنع من هذا المعدن الأواني الفاخرة من الطسوت المكفتة بالذهب والفضة⁽³⁾ والقذور والشمعدانات والسرر والأباريق والصناديق الجميلة التي كانت تزين بالعاج وأيضاً بعض الآلات الفلكية

(1) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 188.

(2) خليل. (1980م): الإمارات الأثرية، ص 454.

(3) المغربي. (1958م): بسط الأرض، ص 90.

والنقود⁽¹⁾، وأقداح الشرب⁽²⁾.

أبرز الصناع:

برز فن النقش على الأواني النحاسية في الجزيرة الفراتية، ومن أبرز النقاشين الذين تفوقوا في هذه الصناعة في مدينة الموصل علي بن عبدالله العلوي النقاش ومن أهم آثاره إناء من النحاس مطعم بالذهب والفضة ومزين بتصاوير داخل جامات تحف بالإناء من ظاهره ومكتوب على الإناء اسم صانعه وقام أيضاً بصناعة إبريق نحاس مطعم بالفضة والذهب⁽³⁾، والنقاش محمد ابن هلال الموصلي وهو من الصناع الذين عاشوا في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد ومن أبرز آثاره كرة للأرض من النحاس رسم عليها اليابسة والماء⁽⁴⁾.

ويتضح من تتبع الصناعات النحاسية في الجزيرة الفراتية إلى أي مدى وصل الإنسان العربي في العصر العباسي من تطور في مراحل هذه الصناعة كافة من الدق والنقش بعبارات جميلة وآيات قرآنية ووضع اسم صانعها عليها والزخرفات النباتية والحيوانية المذهبة وتلميع هذه المصنوعات بحرفية وإبداع فاق الوصف لدرجة ذهول المؤرخين والرحالة بهذه المصنوعات ووصفها بأجمل العبارات فقد سخر الناس في الجزيرة النحاس لأغراض حياتية عديدة وصنعوا التحف وزينوا بها منازلهم.

د - صناعة التحف المعدنية :

نتيجة لغنى أرض الجزيرة الفراتية بالمعادن المختلفة كما مر في البحث شجع هذا الأمر الصناع والفنانين على صناعة التحف المعدنية المختلفة التي بلغت من الدقة والإتقان الشيء الكثير، فقد طوع الصناع

(1) لسترنج. (1985م): بلدان الخلافة، ص 145 - 146.

(2) خليل. (1980م): الإمارات الأرتقية، ص 454 .

(3) الديوه جي. (1970م): أعلام الصناع، ص 101 .

(4) الديوه جي. (1970م): أعلام الصناع، ص 117.

في الجزيرة ولاسيما الموصل هذه المعادن وقاموا بزخرفتها بالكتابات والنقوش المختلفة واحتلت الجزيرة الفراتية ولاسيما الموصل المركز الأول في العالم الإسلامي في صناعة المعادن، وذلك لتوفر معدن النحاس في الخابور والتشجيع الكبير من الملوك الذين تولوا حكم البلاد، وقد كانت هذه الصناعة تمتاز بالجمال والإبداع، وكان لمدرسة الموصل أكبر الأثر في تطور صناعة المعادن في سائر الأقطار الإسلامية، فقد رحل كثير من صناع الموصل الذين برعوا في هذا الفن إلى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد، ونشروا صناعة التحف المعدنية في أسلوب فني يظهر فيه التأثير بأساليب مدرسة الموصل⁽¹⁾.

وهناك أربع طرائق لإنتاج التحف المعدنية :

- طريقة الترصيع: فيها يحفر النحاس ويرصع بالفضة، ويطلّى غير المرصع بالقيصر، فتظهر عليه النقوش الفضية بوضوح .
- طريقة الضغط: وفيها تنقش الصور على ظاهر اللوح المعدني، ثم تضغط من الداخل فتظهر على سطح الإناء بارزة .
- الجمع بين الطريقتين: وفيها ترصع بعض أقسام التحفة المعدنية وتزين بعضها بصورة بارزة .
- التكتيف بالذهب والفضة: وقد أبدعت فيه مدرسة الموصل إبداعاً كبيراً حتى كانت تتفرد به عن غيرها فصار ما يصنع بها مثلاً يحتذى به من المدارس الأخرى، وكانت تحفها من أجمل التحف التي صنعت في تلك الحقبة وكانت تحمل أسماء صناعها⁽²⁾، فقد كان الصانع الموصل يولي ذلك أهمية كبيرة بحيث يغطي التكتيف سطح الإناء كله في معظم الأحيان، وقد استعملت مواد الفضة والنحاس الأحمر والذهب في تكتيف التحف المعدنية المصنوعة في مدينة الموصل وكان الصانع يستخدم مادة أو أكثر في تكتيف التحفة الواحدة كأن يستخدم الفضة والنحاس الأحمر أو الفضة والذهب⁽³⁾.

(1) الجميلي، رشيد. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، ص 306.

(2) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية ، ص 219.

(3) نخبة من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 427 .

ولقد امتازت الموصل في زخرفة تحفها المعدنية بالرسوم الآدمية والحيوانية والنباتية التي تقوم على أرضية من خطوط منكسرة ومتداخل بعضها في بعض بحيث تؤلف أشكالاً متعامدة أو شكلاً قائماً ممتداً يعلوه خط مستقيم، ويمتاز الأسلوب الموصل بتفرده عن باقي المناطق الأخرى⁽¹⁾.

وانتشرت مجموعة من التحف المعدنية تؤكد اشتغال الموصل والموصلين بصناعة المعادن وهي علب وأباريق وشمعدانات وقدرور وآلات فلكية وزهريات وصناديق وغيرها موزعة على معظم متاحف العالم وهي كثيرة جداً⁽²⁾، ومن أبرز الأمثلة على هذه التحف وفق أنواعها:

1 - العلب:

تقن الصناع في الجزيرة في صناعة العلب وزخرفتها وتزيينها بالنقوش المختلفة مع تدوين أسمائهم عليها وقد كانت تستخدم إما لوضع القرآن الكريم بها أو لوضع المجوهرات والملابس وغيرها وأبرز هذه العلب هي:

● علبة إسماعيل بن ورد الموصل:

من أقدم التحف المعدنية وهي علبة من البرونز مؤرخة في سنة 617 هـ / 1220م محفوظة في متحف بناكي بأثينا والعلبة بيضوية الشكل طولها 6,3 سم وعرضها 3,6 سم وارتفاعها 2,3 سم وهي مزودة بغطاء ارتفاعه 1,1 سم وتزين العلبة زخارف قوامها عناصر نباتية وكتابية وهندسية مكتفة بالفضة، ومما يلفت النظر في زخارف هذه العلبة خلوها من الرسوم الآدمية والحيوانية والبدن يتألف من كتابة دعائية بخط النسخ نصها (العز الدائم والنعيم الملازم والجد الصاعد)⁽³⁾.

(1) محمد، سعاد ماهر. (1986م): الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986 م، ص 131.

(2) نخبة من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 410.

(3) العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 27، 28، 29، 30.

ومن الصناديق التي عثر عليها صندوق النقاش إسماعيل بن ورد الموصللي الذي كان من أبرز النقاشين في أوائل القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر ميلادي، وقد كان هذا الصندوق من النحاس المكفت بالفضة والمزين بتصاوير وكتابات مختلفة وتاريخ صنعه: إسماعيل بن ورد الموصللي سنة 617 هـ / 1220م⁽¹⁾، وهناك علبة من النحاس المطعم بالفضة صنعت لبدر الدين لؤلؤ تظهر في الملحق رقم (16) ص 200.

2 - الأباريق :

كثرت صناعة الأباريق في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي واستخدمت لأغراض متعددة ومنها نقل المياه، وحفظ بعض المشروبات وأبرز الأباريق كان:

إبريق ابن شجاع الموصللي :

وهو من أجمل القطع المعدنية التي يتمثل فيها الأسلوب الموصللي هو أبريق من النحاس المكفت بالفضة والنحاس الأحمر ورقبته عليها حلقة بارزة تقسمها إلى جزئين عليه كتابة نسخية منقوشة على أرضية من الزخارف النباتية والكتابة مؤرخة 629 هـ / 1232 م ونصها (نقش شجاع بن منعة الموصللي في شهر الله المبارك شهر رجب في سنة تسع وعشرين وستمئة بالموصل⁽²⁾).

3 - الشمعدانات :

انتشرت صناعتها في الجزيرة الفراتية وكانت تستخدم للإضاءة في الكنائس والبيوت ومن أبرز تلك

الشمعدانات :

(1) الديوه جي. (1970م): اعلام الصنائع، ص 90.

(2) محمد. (1986م): الفنون الإسلامية، ص 131.

● شمعدان بدر الدين لؤلؤ :

هو من أبرز التحف المعدنية؛ مصنوع من البرونز ومكفت بالفضة، أما عن صفاته فالبدن مزين بزخرفة قوامها رسوم أشخاص جالسين بأوضاع مختلفة على أرضية ذات زخارف دقيقة تمثل موضوعات مألوقة في الفن الإسلامي من طرب وصيد وشراب وغناء فضلاً عن كتابة نسخية على خلفية ذات زخرفة نباتية تتضمن اسم بدر الدين لؤلؤ وألقابه، ومن التحف المعدنية الأخرى شمعدان معروض في متحف بوسطن بأمريكا، ويحمل توقيع صانعه وتاريخ صنعه، وكفتت زخارفه بالفضة، ويغطي سطحه زخرفة متنوعة تمثل ثلاثة أنواع من الموضوعات، فالنوع الأول يتضمن صور الحكام الذين يجلسون على عروشهم وبين اتباعهم والنوع الثاني يشمل مناظر البساتين التي يظهر فيها مجموعة من الفلاحين وهم يؤدون أعمالهم المعتادة في الحراثة وقطف الثمار أما النوع الثالث فيشتمل على مناظر للصيد، ويظهر فيها الصيادون وهم يصطادون الحيوانات والطيور بالأسلحة المعروفة مثل القوس والسهم والرمح أما رقبة الشمعدان فتزينها زخارف موضوعة داخل أشرطة وعند أسفل الرقبة شريط عليه كتابة نسخية تقرأ عمل أبي بكر بن الحاج جلدك غلام أحمد بن كامل المعروف بالذكي النقاش الموصل في سنة اثنين وعشرين وستمائة والبقاء لصاحبه⁽¹⁾ ويظهر شكل هذه الشمعدانات في الملحق رقم (12) ص 196، وقد انتشرت العديد من الشمعدانات المصنوعة من النحاس في الموصل وقد كفتت زخارفها بالفضة، وبعضها كان يصنع من البرونز ومن النحاس الأصفر المكفت بالفضة⁽²⁾.

4 - الطسوت والزهریات والقذور :

كانت الطسوت الموصلية تتألف بشكلها العام من أسطوانة ذات فوهة واسعة وقاعدة مستوية، وتتميز بالعمق الكبير، أما الزهریات فقد كان شكلها يتألف من بدن كروي ذي قاعدة مستديرة، تقوم على عنق ضيق

(1) العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 85- 95، 622هـ/1225م.

(2) (1949.A.D). Rice.D.s: The Oldest Dated Mosul, Candlesick Burlinton Magazine, New jersey, P: 337.

أما الفوهة فتكون مستقيمة⁽¹⁾ كما في الملحق (9) ص 193، وانتشرت أيضًا صناعة القدور ومن أبرز الأمثلة عليها قدر مسعود بن أحمد الموصللي الذي كان من أبرز الصناع الذين عاشوا في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر ميلادي، وكان يتقن صناعة التطعيم، وامتاز قدره أنه من النحاس المطعم والمزين بزخارف متنوعة جميلة ومكتوب عليه اسم صانعه، الذي قام بتطعيمه وتاريخ صنعه (من عمل محمد بن عبد الواحد، تطعيم مسعود بن احمد سنة 559 هـ / 1163 م)⁽²⁾.

5 - صناعة الآلات :

فضلاً عن هذه الصناعات الكثيرة فقد صنعت في الجزيرة الآلات الفلكية التي كانت تحتاج إلى براعة وإتقان لصنعها لما فيها من تفاصيل دقيقة وأبرز الأمثلة على هذه الصناعة آلة فلكية وهي جدول حساب فلكي موجودة في المتحف البريطاني من صنع محمد بن ختليج الموصللي وهي مصنوعة من النحاس الأصفر، وهي غنية بالكتابات الفلكية والزخارف النباتية، والتحفة مكفّنة بالفضة والذهب وتتألف من قطعتين متداخلتين مع بعضهما، وهي مستطيلة الشكل طولها 33 سم وعرضها 19,9 سم وعليها كتابة نسخية مكفّنة بالفضة دون إطار وخلفية تتضمن اسم الصانع وتاريخ الصناعة ونص الكتابة كالآتي: صنعه محمد بن ختليج الموصللي في سنة 639 هـ/ 1241 م⁽³⁾ الملحق رقم (42) ص 226.

وقد صنعت الكثير من المراصد الفلكية وذلك لوجود العديد من الفلكيين ومن أبرزهم الفلكي العظيم حمد بن جابر البتاني الحراني الرقي⁽⁴⁾، إذ حسب البتاني بمرصده الفلكي ميل فلك معدل النهار، فوجده 23 درجة و35 دقيقة، وحسب طول السنة الشمسية، فوصل إلى النتائج الحديثة بفارق دقيقتين و22 ثانية فقط،

(1) نخبة من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 415 ، 424 .

(2) الديوه جي. (1970م): اعلام الصناع، ص 118.

(3) العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 127 .

(4) البتاني: وهو من مشاهير علم الفلك ومن علماء الرقة وقد لقب ببطليموس العرب من أصل صابني اسلم في حوالي 244 – 371 هـ / 858 – 929 م وقد درس كتاب المجسطي لبطليموس وأصبح من أعظم فلكيي العالم حيث قام بأرصاد متعاقبة ومتوالية في نحو خمس وأربعين سنة من سنة 264 – 306 هـ / 877 – 918 م في مرصد أقامته في مدينة الرقة الذي سمي بمرصد البتاني، الخالدي، صلاح الدين. (1984م): وقائع الندوة الدولية لتاريخ الرقة وآثارها، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ص 98 .

وكتب عن كلف الشمس أي البقع الشمسية التي تظهر على سطح الشمس بسبب المجال المغناطيسي قبل أن تعرف أوروبا أسباب هذا الكلف بعدة قرون⁽¹⁾، وقد صنع البتاني أيضاً إبريقاً لصب الماء للملك الصالح الذي كره أن يصب عليه أحد من الخدم الماء في أثناء وضوئه، وكان إبريقاً كبيراً الشكل لطيف الصنعة وله فوهة مرتفعة إلى فوق ومعكوفة إلى أسفل وطرفها مصوب يقارب موازاة الأفق، يوضع الإبريق على كرسي وتحتة طست وعند أخذ الماء منه يصفر طائر على غطاء الإبريق لبعض الوقت، ثم يبتدئ الماء ويجري من فوهته فيتوضأ، وأيضاً قام بصناعة ساعة مائية يشير عقربها إلى الوقت، وذكر تفاصيلها وإجزاءها وخزان الماء اللازم لها وطريقة تثبيتها، وذكر أبعاد الدائرة التي يفيض فيها الماء وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة المبنية على فكرة سريان الزمن بمعدل ثابت⁽²⁾.

واشتهرت مدينة حران بصناعة الاسطرلاب⁽³⁾ وقد تمكن أحد أبناء ديار بكر وهو عبدالله بن يوسف الإصطرلابي الإسعدي من إتقان صناعة الإسطرلاب فقد أبدع في صنعه وعمل به أوضاع حسنة⁽⁴⁾، وقد صنع الميكانيكي الجزري ساعة مائية فريدة من نوعها⁽⁵⁾ وصنع هذه الساعة المعقدة مستخدماً علامات وأشكال تعبر عن الاحتفاء بتنوع البشرية وبطبيعة عالمية الإسلام وقد استخدم الجزري مبادئ أرخميدس المائية الإغريقية مع جهاز التوقيت المائي الهندي (غاتي) والفيل إشارة إلى الهند وطائر العنقاء (الفينيقس) إشارة إلى مصر القديمة ودمى متحركة كانت تلبس العمامة وهي رمز للحضارة العربية الإسلامية، فضلاً عن سجادة فارسية وحياتان على شكل تنانين صينية، ويعتقد أن الدمية المتحركة في أعلى القلعة تشير إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد كان تألقها جلياً في مواءمة طاسة الماء المثقوبة بحيث تتأرجح حول

(1) أبو خليل، شوقي. (1996م): الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، ص 547.

(2) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 381.

(3) الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف ت. 334هـ/945م. (1884م): صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، ص 132.

(4) العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي ت. 852هـ/1449م. (1950م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 4 أجزاء، حيدر آباد، الهند، ج2، ص 38.

(5) الجزري: هو ابن الرزاز عبد العزيز بن إسماعيل الجزري 602 هـ/ 1205 م وهو مهندس وله العديد من الاختراعات أبرزها الساعة المائية وله كتاب الجامع بين العلم والعمل، الأعلام. (2002م): الزركلي، ص 3013.

حافتها بدلاً من أن تغوص رأسياً وكانت هي الجهاز المركزي لجهاز قياس الزمن، أما مبدأ عملها فقد كانت تعوم الطاسة المثقوبة في حاوية مليئة بالماء في بطن الفيل ولدى امتلائها تدريجياً تغوص ببطء وتميل، ساحبة في الوقت نفسه ثلاثة حبال مربوطة بها، فتطلق الحبال الثلاث آليات تتحكم بثلاثين كرة تتطلق انفرادياً، فتحرك التنانين، ثم دمية الكاتب الدوار، ثم عاتلات ترفع الطاسة من جديد والدواليب، وقد تجلت عبقرية الجزري في دقة قياس الثقب في الطاسة المتأرجحة: إذ كانت تستغرق نصف ساعة كي تمتلئ، وتغوص، ثم تعيد الكرة ثانية، وعندما تغطس الكرة تحدث نغمة كزقزقة العصفور، ويدور طائر العنقاء، وأما الكرة المحررة تجعل المزولة الموجودة خلف دمية السلطان تتحرك من جهة إلى جهة لتحدد الصقر الذي سوف يطلق الكرة التي تسقط في فم التنين الذي ينحني بدوره إلى الأسفل بتأثير ثقل الكرة محرراً دمية الكاتب الذي يشير بعصاه إلى الوقت وتشير الدوائر المرسومة على المزولة أعلى القلعة إلى الوقت أيضاً، وقد كانت الساعة تضبط مرتين في اليوم، عند شروق الشمس وعند غروبها وذلك بإعادة الكرات المعدنية الثلاثين إلى مواقعها الأصلية⁽¹⁾ الملحق رقم (41) ص 225.

وقد انتشرت صناعة المزاوّل أي الساعات الشمسية ومن أبرزها المزولة الصغيرة التي صنعها أبو الفرج عيسى الذي كان من أبرز الحرفيين في صناعة التطعيم في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر ميلادي في الموصل وقد صنع هذه المزولة للأتابك نور الدين بن عماد الدين زنكي⁽²⁾، وقد ذكر الرحالة بنيامين التطيلي أنه يوجد في الجزيرة الفراتية في مدينة بالس مزولة تعين ساعات النهار في برج المدينة⁽³⁾.

6 - صناعات معدنية أخرى:

كان الصناع في الموصل يصنعون الهواوين من البرونز الأصفر، ويجعلون لها قاعدة أوسع من الهاون، ويحيط بها عنق تكون واسعة أيضاً، ويزينون أعلى العنق برؤوس تماثيل لأسود وكباش أو غير ذلك،

(1) الحسني، سليم. (2011م): ألف اختراع واختراع، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، ط1، المملكة المتحدة، ص14، 15.

(2) الديوه جي. (1970م): أعلام الصناعات، ص 83، 109.

(3) التطيلي. (2002م): رحلة التطيلي، ص 122.

ويصورون حول محيط جدار الهاون صوراً مختلفة لحيوانات ونباتات، ويكتبون حولها كتابات بخطوط مختلفة⁽¹⁾، ومن أبرز الأمثلة على الهاونات هاون للكحلة صنع من البرونز المصبوب يعود إلى العصر الزنكي / الأيوبي 479-699هـ / 1100 - 1300م، طوله 12,9 سم وعرضه 7,7 سم⁽²⁾ الملحق رقم (13) ص 197، وكان يصنع في الجزيرة ولاسيما في مدينة الرحبة قواعد للسرّج من البرونز المصبوب المنقوش وأبرز مثال عليها قاعدة مسرّجة وجدت في مدينة الرحبة وكان ارتفاعها 38 سم، وقطرها 19,5 سم⁽³⁾ الملحق رقم (14) ص 198، وقد صنعت المباخر في الجزيرة كما في الملحق رقم (15) ص 199.

أما بالنسبة إلى أبرز الصناع الذي اشتهروا بصناعة التحف المعدنية في الموصل فنجد:

داوود بن سلامة الموصلي وهو مطعم ماهر، كان في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وأنتج عدة تحف معدنية وأبرزها شمعدان من النحاس المطعم مزين ظاهره بتساوير مسيحية، كمنظر ميلاد المسيح عليه السلام وأيضاً صنع الطسوت النحاسية الجميلة المزخرفة، وكذلك اشتهر عمر بن حجي جلدك وقد تعلم على يد احمد بن عمر الذكي النقاش الموصلي وأبرز آثاره إبريق من النحاس المطعم صنعه في سنة 623 هـ / 1226 م وكتب عليه اسمه وسنة صنعه، وقاسم بن علي الموصلي ومن أبرز آثاره إبريق من النحاس المطعم وقد صنعه لأحد موظفي البلاط الايوبي في حلب وزينه بالكتابات والصور الجميلة وصنعه في سنة 624 هـ / 1227 م، محمد بن عبد الواحد الموصلي وقد كان من الصفارين⁽⁴⁾ الذين يحسنون صنع الأواني التي تقدم للتطعيم، وقد عاش في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، ومن أبرز آثاره قدر من النحاس، جميل الصنعة وقد صنعه في سنة 559 هـ / 1163 م، محمد بن فتوح الموصلي وقد برز بصناعة النقش والتطعيم وقام بصناعة شمعدان من النحاس مطعم بالفضة وعليه زخارف أشخاص في مناظر

(1) الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الاتاكي، ص 59 .

(2) المحمود، أسعد؛ بوناتز، دومينيك؛ كونه، هارتموت. (1999م): التراث الحضاري للجزيرة السورية وما حولها، المديرية العامة للآثار، دمشق، ص 165.

(3) المحمود وآخرون. (1999م): التراث الحضاري، ص 165.

(4) الصفارين: هم صناع النحاس الأصفر، نخبة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 516.

صيد وطرب وأيضاً صنع إبريقاً من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، مسعود بن أحمد الموصللي وهو من الصناع الذين عاشوا في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلادي، وكان يتقن صناعة التطعيم وصنع قدر من النحاس المطعم والمزين بالزخارف المتنوعة الجميلة ⁽¹⁾.

وكان يتعاون في إنتاج التحفة الواحدة عدة أشخاص :

- كان الصفار يقوم بعمل التحفة وصلها .
- ثم يقدمها إلى الأستاذ الذي يعمل عنده، فيتولى الأستاذ نقشها أو يكلف أحد النقاشين الذين يعملون تحت يده، ويتدربون عنده فينقش عليها الزخارف والتصاویر والكتابات التي تناسب من تعمل له التحفة.
- ثم يتولاها الحفار الذي يحفر ما نقش وصور ، فقد يكون هو النقاش، أو ممن تدربوا على الحفر .
- ثم تقدم إلى المطعم، فيقوم بملىء ما حفر على الإناء بالذهب والفضة، لتظهر النقوش والكتابات جلية واضحة، وبعد هذا قد يكتبون على التحفة أسماء من أسهموا بصنعها والأستاذ الذي يتدربون عنده، وتاريخ صنعها، والمدينة التي صنعت بها ⁽²⁾.

ويظهر من تتبع صناعة التحف المعدنية في الجزيرة أنها كانت من أهم الصناعات وأكثرها انتشاراً وتقدماً فقد أصبح في الموصل مدرسة خاصة بتعليم هذه الصناعة ووصلت شهرتها إلى أرجاء المعمورة كافة ويمكن للمرء القول إنها كانت من أشهر البلدان بالصناعات المعدنية في ذلك الوقت، وتظهر هذه الصناعات مدى الخبرة الكبيرة والفن والصبر الذي يتمتع به الصناع في الجزيرة وقد مكنت هذه الصناعات بنقوشها من التعريف بطبيعة الحياة في الجزيرة وأنواع الألبسة والآلات الموسيقية والأسلحة وكانت من أهم المصادر الأولية للتاريخ، وأيضاً تظهر هذه الصناعات السبق العلمي العربي الإسلامي في العديد من المجالات إن كان منها الفلكية بمعرفة العديد من الظواهر الفلكية قبل أن تعرفها الحضارات الأخرى جميعها وأيضاً السبق في معرفة صناعة الدمى المتحركة بشكلها الأولي التي تظهر في العصر الحالي.

⁽¹⁾ الديوه جي.(1970م): أعلام الصناع، ص 95- 120.

⁽²⁾ الديوه جي.(1970م): أعلام الصناع، ص 73 .

2 - الصناعات الخشبية :

نتيجة لتوفر الأخشاب بكثرة في إقليم الجزيرة الفراتية دخل الخشب مادةً خام في كثير من الصناعات، ودخل في مواد البناء والنقش عليه الذي يعد أحد فنون الزخرفة الفنية، إذ قام الفنانون والنجارون بتطعيم المصنوعات الخشبية بأصداف وبأخشاب ذات ألوان مختلفة عن الأخشاب التي صنعت منها.

ومن أبرز الأمثلة على الصناعات الخشبية ما ذكره ابن جبير عن أسواق مدينة حران إذ كانت مسقوفة كلها بالخشب⁽¹⁾، وهناك العديد من الأمثلة أيضًا في الجزيرة ومنها كانت تظهر فيها اللوحات الخشبية على شكل زخارف غائرة، وبعضها بارزة تحيط بها، ويكون داخلها زخارف دقيقة للغاية، كما في باب مسجد النبي جرجيس في الموصل، ومن التحف الخشبية الرائعة منبر مسجد قلعة العمادية بالموصل، وهو مصنوع من خشب الأثل، ويتكون من عوارض وقوائم بينها حشوات مستطيلة ومربعة، وزُخِرَ بأشكال هندسية وأشكال نباتية تنتهي بمراوح نخيلية كاملة أو أنصاف مراوح فضلًا عن بعض الثمار كالرمان، وهو من صنع علي بن أبي النهى وعلي بن سلامة الجزيريين نسبة إلى جزيرة ابن عمر، وذلك في عام 548 هـ / 1153م الملحق رقم (33) ص117، وهناك العديد من صناديق الأضرحة (التوابيت) في المشاهد التي أقامها بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لأسرة آل البيت عليها كتابات بالخط الكوفي المشجر بارزة على أرضية مغطاة بوريقات نباتية، ووجدت لوحات خشبية كثيرة عليها زخارف هندسية وأبواب خشبية مغطاة بصفائح نحاسية محلاة بأشرطة حديدية في شكل هندسي جميل، أمر بصناعتها بدر الدين لؤلؤ عام 646 هـ / 1248 م لمشهد الأمام ابن حسن⁽²⁾.

أما الصناديق الخشبية التي صنعت في الموصل فقد زينت بالصدف وبأخشاب ذات لون مغاير للخشب المطبق، أما الحشوات الخشبية فيوجد على بعضها زخارف دقيقة للغاية وقد انتشرت في عدة أماكن،

(1) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 198.

(2) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 229.

وأيضاً كثرت صناعة الأضرحة الخشبية التي كانت تزين بكتابات كبيرة بالخط الكوفي المشجر وتكون الكتابة نافرة ومورقة مغطاة بنقوش نباتية، وهناك نماذج رائعة من الصناديق الخشبية مثل الصندوق الذي فوق مشهد ابن الحسن والصندوق الذي فوق مشهد الإمام يحيى بن القاسم الملحق رقم (36) ص 220، وصندوق ضريح النبي جرجس⁽¹⁾، وعلي الهادي⁽²⁾، وقد كانت الأبواب الخشبية والمنابر التي صنعت في الموصل تزين بالألواح الهندسية وعليها كتابات تشير إلى سنة عملها، واسم الصانع الذي قام في العمل كالباب الخشبي الذي كان في حضرة الإمام الباهر، والباب الذي كان في مصلى جامع العمادية⁽³⁾.

كما توجد تحفة خشبية أخرى تنسب إلى العصر الأيوبي محراب المدرسة الحلاوية⁽⁴⁾ وتاريخه سنة 643 هـ / 1245م، وكان المحراب شكلاً مجوفاً امتلأت أجزائه كافة بالوحدات الهندسية المتنوعة تتخللها الزخارف النباتية وتعتمد في تكويناتها على حركة الأغصان ويوجد على هذا المحراب نص كتابي بخط الثلث يظهر فيها اسم الصانع وهو أبو الحسن محمد بن الحراني⁽⁵⁾.

وهناك صناعات خشبية أخرى عديدة، كصناعة الأبواب والنوافذ والمنابر وأثاث المنازل من مناضد وأسرة ومقاعد وصناديق فاخرة لحفظ الملابس والنقود⁽⁶⁾.

أما أبرز الأبواب التي صنعت فهو باب لحضرة الإمام عون الدين المعروف بابن الحسن الذي يعد من أبرز المباني الأثرية في الموصل ويتألف الباب من مصراعين وقد كُسي كل مصراع بصحيفة من

(1) الديوه جي. (1970م): أعلام الصناع، ص 186.

(2) علي الهادي: هو أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي رضا ويعرف بالعسكري وهو أحد الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية ولد سنة 213 هـ / 828 م في المدينة المنورة ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من المدينة وأقره في مدينة سامراء وهي تدعى بالعسكر لأن المعتصم لما بناها نقل العسكر إليها ولهذا قيل لأبي الحسن بالعسكري وأقام بها عشرين سنة وتوفي بها في سنة 254 هـ / 868 م، ابن خلكان. (1994م): وفيات الأعيان، ج2، ص 272.

(3) الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الاتاكي، ص 62,63.

(4) المدرسة الحلاوية: أنشأها نور الدين محمود في مدينة حلب في عام 543 هـ / 1148م، واسند التدريس إلى برهان الدين أبي الحسن علي بن الحسن البلخي، الصلابي. (2007م): القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي، ص 64.

(5) القيسي. (2009م): الفنون الخزفية، ص 50، وتظهر هذه التحفة الخشبية مدى شهرة الصناع في الجزيرة حيث ذاع صيتهم بشكل كبير، الأمر الذي دفع نور الدين محمود بطلب صانع حراني من القيام بصنع محراب المدرسة الحلاوية في مدينة حلب.

(6) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 220 .

النحاس، مثبتة بشرائط نحاسية رقيقة، وتؤلف زخارف هندسية على خلايا وهو الباب الوحيد من هذا الطراز في الموصل ومكتوب على المصراع الأيمن (عمل عمر بن الخضر ولي آل محمد)، وكان فوق مدخل الباب خلف الرخام قطعة خشب مزينة بزخارف على شكل خلايا النحل دقيقة الصنع ⁽¹⁾، ومن أبرز الأمثلة على الأبواب الخشبية المتقنة الصنع الباب الخشبي في جامع الإمام إبراهيم الملحق رقم (34) ص 218.

وقد انتشرت المباني الخشبية في الجزيرة الفراتية إذ ذكر الحميري أنه كانت كنيسة الرها لا يوجد بناء خشب أحسن من بنائها، لأنها مبنية بخشب العناب ⁽²⁾، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود الخشب في تكريت إذ وجدت العديد من القطع الخشبية المزخرفة فيها ⁽³⁾ الملحق رقم (35) ص 219.

وقد رافق الصناعات الخشبية صناعة أدوات الألعاب الرياضية ومن أبرزها عصي الصولجان أو اللعب بالكرة التي تعرف حالياً بالبولو وهي إحدى ألعاب الفروسية وهي قديمة جداً وقد مارس هذه اللعبة ملوك الجزيرة الفراتية ومن أبرزهم عماد الدين زنكي ⁽⁴⁾، وكذلك شاعت في قصور الملوك لعبة الشطرنج بوصفها إحدى وسائل الترفيه التي عُدت من الألعاب الخاصة بالملوك والأمراء، وأيضاً من مشاهد التسلية التي صنعت وانتشرت في القصور لعبة خيال الظل، وكانت تماثيل خشبية أو مصنوعة من القطن يلبسونها الجلود وتحرك بعضها من وراء ستار أبيض مشدود فيظهر خيالها فيه، وقد شاعت هذه التمثيليات في الموصل ⁽⁵⁾.

وانتشرت أيضاً في الموصل صناعة السفن والقوارب والزوارق الخشبية ⁽⁶⁾، وأيضاً اشتهرت الرقة بصناعة

(1) الديوه جي.(1970م): أعلام الصناعات، ص 193 .

(2) الحميري.(1980م): الروض المعطار، ص 273 .

(3) الطائش، علي أحمد.(2000م): الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 184.

(4) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 500 .

(5) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 452 .

(6) نخبة من الباحثين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج 2، ص 325 .

الأقلام التي تصنع من القصب (1).

ثالثاً: صناعات مختلفة :

برزت العديد من الصناعات الأخرى في الجزيرة الفراتية التي لم تكن بشهرة الصناعات النسيجية والمعدنية والغذائية ولكن كان لها دور كبير في الاقتصاد، وتحسين مستوى المعيشة أو من نواحي دينية وفنية وأبرز هذه الصناعات:

1 - الصناعات الزجاجية :

كانت هذه الصناعات من أجمل ما صنع في الجزيرة وأجوده وقد لاقت رواجاً كبيراً في مدن الجزيرة وأصبحت مدنها من أهم مراكز صناعة الزجاج في العصر العباسي.

طريقة الصناعة:

يُصنَّعُ الزجاج عن طريق حرق الرمال الغنية بالمعادن بأفران خاصة وبدرجات حرارة عالية، أما التذهيب والتمويه بالمينا فهو مرحلة متقدمة ومتطورة من مراحل زخرفة الزجاج، وقد كانت تمر بمراحل فنية متعددة، إذ كان الزجاجون يعمدون إلى تذهيب الأنية الزجاجية بوساطة الريشة وذلك عند رسمهم للخطوط الخارجية للزخرفة ويستعملون الفرشاة في تذهيب المساحات الكبيرة، وبعد ذلك يضعون الأنية الزجاجية في الفرن للمرة الأولى، ثم يعمد الصناع إلى تحديد الموضوعات الزخرفية باللون الأحمر ليموهوا بالمينا المختلفة الألوان التي تختلف من تحفة زجاجية لأخرى وفق موضوعات الرسم، وكان طلاء المينا نصف الشفاف يتكون من ذائب الرصاص ثم يلون بالأكاسيد المعدنية، فكان يحصل على اللون الأخضر من أكسيد النحاس والأحمر من أكسيد الحديد، والأبيض غير الشفاف من أكسيد القصدير، أما لون المينا الزرقاء التي شغلت دوراً عظيماً في

(1) المقدسي.(1991م): أحسن التقاسيم، ص 145 .

زخرفة التحف الزجاجية المموهة بالمينا فكان يُحصلُ عليها من سحق حجر اللازورد⁽¹⁾ وخلطه مع مسحوق زجاج نقي لا لون له⁽²⁾.

أماكن انتشار الزجاج:

اشتهرت بلاد الشام ولاسيما الرقة بوصفها بلدًا منتجًا للزجاج منذ العصور القديمة إذ كان إنتاجها بعد اكتشاف طريقة نفخ الزجاج وقد عادت هذه الصناعة في العصور الإسلامية، وانتشرت فيها أنواع كثيرة منها ذات الخيوط المستقيمة أو المتموجة وقد وجد منها في الرقة مع آثار القرنين 3 - 4هـ / 9 - 10م ومع آثار القرون 5 - 7هـ / 11 - 13م⁽³⁾.

وقد وجد الزجاج أيضاً في جبل ماردين إذ انتشرت على سفحه جواهر الزجاج⁽⁴⁾، وقد كان يوصف بالنوع الجيد وكان يحمل منها إلى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلد الروم فيفضل على ما سواه بسبب نقائه وجودته⁽⁵⁾، وقد كان يكثر في نصيبين الحجر الذي يصنع منه الزجاج الجيد⁽⁶⁾.

وقد أصبحت الرقة في منتصف العصر العباسي من أكبر المدن في الشام في إنتاج الزجاج مدة طويلة وعثر فيها على مخلفات الزجاج في قصر المعتصم وقصر آخر⁽⁷⁾، إذ عثر في تنقيبات الرقة التي أجرتها المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية على أواني متعددة وكسر ذات بريق معدني وهي الآن

(1) اللازورد: هو حجر أزرق نادر يقال أنه ينفع العين كتحالاً إذا خلط في الأحكال، ابن الوردي. (2008م): خريدة العجائب، ص 301.

(2) حميد. (1982م): الفنون الزخرفية، ص 164، 165.

(3) العث، محمد أبو الفرج. (1966م): الزجاج السوري المموه بالمينا والذهب، مجلة الحوليات الأثرية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية، مج 16، ص 37 - 43.

(4) الإصطخري. (2004م): المسالك والممالك، ص 73.

(5) ابن حوقل. (1938م): صورة الأرض، ص 214.

(6) مجهول. (2002م): حدود العالم، ص 162.

(7) عبد الخالق، هناء. (1976م): الزجاج الإسلامي في مخازن ومتاحف الآثار في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص 90.

محفوظة في قاعة الرقة في متحف دمشق وقد زينت بزخارف نباتية وشبه هندسية تميل إلى العفوية ووجد أيضاً في تنقيبات الرقة أجزاء قرص كبير من الزجاج الرقيق العسلي اللون ورسم عليه بدهان أسود عرق نباتي مورق⁽¹⁾، وقد كانت في البداية الزخرفة بالخيوط الزجاجية والحبيبات والخيوط الزجاجية الغارقة في الوسط الزجاجي وبعدها ظهرت في الرقة الألوان الزجاجية المعروفة المموهة بالمينا⁽²⁾ إذ وجدت في حفائر أثرية جرت هناك بقايا كسر زجاجية مذهبة ومموهة بالمينا، ومن أهم التحف الزجاجية المذهبة وأشهرها مجموعة من الأكواب ذات حافات براقة موزعة بين عدد من المتاحف الأوروبية⁽³⁾.

وقد عثر في التنقيبات الأثرية في الموصل على قنينة عطر زجاجية صغيرة الحجم وقد كانت مواصفاتها أنها ذات رقبة طويلة جداً وليس لها شفة أما شكلها فقد كان سداسياً وقاعدتها مستوية وكان زجاجها سميكاً يقارب 3 ملمترات من الأعلى أما القاعدة فهي أكثر سماكة ولون القنينة أخضر غامق مائل للون الأصفر وقد صنعت عن طريق النفخ الحر إذ تظهر فقاعاتها كبيرة وواضحة وقد صنعت هذه القنينة في القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي، وعثر في مدينة تكريت على قنينة صغيرة الحجم وقد كانت تستخدم لوضع المساحيق أو لبعض أنواع الأدوية النادرة، ومن مميزات أنها تتمتع بفوهة عريضة وواسعة والرقبة تشابه شكل الجرس والبدن أسطواني والقاعدة مقعرة باتجاه الداخل ويظهر أثر الفصل وهذا دليل أنها صنعت بطريقة النفخ الحر، ولون القنينة أسود وتعود هذه القنينة إلى القرنين الخامس أو السادس الهجري/ الحادي عشر أو الثاني عشر الميلادي⁽⁴⁾.

استخدامات الزجاج:

استخدم الزجاج لأغراض مختلفة في الكنائس وواجهات المساجد والمراقد وشبابيك البيوت وداخل

(1) العش. (1966م): الزجاج السوري، مجلة الحوليات الأثرية، مج 16، ص 40 .

(2) الميناء: هو جوهر الزجاج الذي يعمل منه الزجاج، ابن منظور. (1993م): لسان العرب، ج 15، ص 417؛ الفيروز آبادي. (2005م): قاموس المحيط، ص 1236.

(3) حميد، (1982م): الفنون الزخرفية، ص 164، 165.

(4) عبد الخالق، (1976): الزجاج الإسلامي، ص 208.

الأسواق والقيساريات وقد استعمل مع الرخام أيضاً⁽¹⁾، وصنع من الزجاج الكؤوس كما في الملحق رقم (8) ص 192 والمصابيح وكانت الأواني الزجاجية ذات زخارف نباتية وهندسية وملونة⁽²⁾، وصنع منها القناديل والسرّج من الأحجام والألوان جميعها والقوارير الكبيرة والقناني الصغيرة⁽³⁾، وكذلك الصّحون في الرقة كما في الملحق رقم (7) ص 191.

وقد جاء القزويني على ذكر الحمامات التي كانت في مدينة سنجار التي كان على سقوفها جامات ملونة منها الأحمر والأصفر والأخضر والأبيض، وهي إناء يوضع فيه الأزهار وكان عليها نقوش جميلة وقد وصف الجالس في الحمام وكأنه في بيت كبير مزين وملون⁽⁴⁾.

وكما مر في البحث ذكر ابن كثير في حوادث سنة 656هـ / 1258م أن بدر الدين لؤلؤ كان يبعث كل سنة إلى مشهد علي رضي الله عنه قنديلاً⁽⁵⁾.

ومن تتبع الصناعات الزجاجية والاكتشافات المختلفة ولاسيما في الجزيرة والرقة يظهر مدى الإبداع الكبير في الصناعات الزجاجية وساعد على ذلك انتشار الجبال المليئة بمعدن الزجاج ونتيجة لتوفر المواد الأولية لهذه الصناعة بكثرّة فقد تفنن الصناع في الجزيرة بتزيينها بالذهب والأحجار الكريمة وكانوا يطلونها بطبقة من المينا متعدد الألوان، وقد كانت الجزيرة من المناطق السباقّة في هذه الصناعة في البلاد العربية ووصلت شهرتها إلى البلدان كافة وكانت تتباهى في هذه الصناعة وذلك نظرًا إلى مهارة الصناع وجودة معدن الزجاج وصفائوته.

(1) محمد (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 294.

(2) نخبة من الباحثين (1992م): الرقة درة الفرات، مراجعة: سهيل زكار، تقديم: محمد نجيب السيد أحمد، الرقة، ص 138.

(3) الحارثي (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 219.

(4) القزويني (د.ت): آثار البلاد، ص 393.

(5) ابن كثير (1986م): البداية والنهاية، ج 17، ص 383.

2 - صناعة الفخار :

تعد صناعة الفخار من الصناعات القديمة المنتشرة في الجزيرة الفراتية وذلك لتوفر المادة الخام بكثرة ولتعدد استعمالاته في شتى الأغراض منها: لإحضار الماء ولحفظه وتبريده كالجرار ذات الأحجام والأشكال المختلفة وأقداح وكؤوس الشرب وأواني الطبخ، وحفظ الأطعمة في الأواني المختلفة الأحجام⁽¹⁾ وتظهر هذه الأواني في الملاحق رقم (19) ص 203 و(20) ص 204.

- طريقة الصناعة:

تمر صناعة الفخار بمرحلتين الأولى بعد عجن الطينة الخاصة بها، يقوم صانعها بتشكيل هيكلها العام، وذلك بوساطة الدولاب الدوار، ثم يترك الإناء ليجف، وقبل جفافه تماماً يبدأ بالمرحلة الثانية وهي مرحلة الزخرفة فيحفر في بدنه الرسوم والزخارف المطلوبة، ثم يحرقه حرقاً أولياً، وبعد ذلك يطلّيه بطبقة البطانة فيرسب جزء منه في الشقوق الحادثة من الحز، فتظهر وكأنها لون داكن من دهان البطانة، أما الزخرفة الظاهرة التي تلتصق على سطح الإناء فبعد أن يضع الخزاف الإناء يبدأ بإضافة الصلصال أي القطع المراد وضع الزخرفة عليها، وتلتصق بالإناء، ثم تبدأ رحلة الزخرفة النهائية بوساطة السكين وبعض الآلات البسيطة التي تستخدم في التخریم أو التختيم⁽²⁾، وقد يستخدم الصانع أظفر إبهامه في بعض أنواع النقوش⁽³⁾.

تميزت مدينة الرقة بصناعة الفخار، فقد كان السكان يعتمدون عليه كلياً وذلك لتلبية احتياجاتهم كافة، واشتهرت الرقة بأصناف مختلفة من الفخار التي اكتشفت بكميات كبيرة وتعود إلى القرن الثالث للهجرة/ التاسع ميلادي، ومن ذلك الإبريق الذي ترجع صناعته إلى القرن الثالث للهجرة/ التاسع ميلادي، والجرة التي

(1) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 216.

(2) الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، ص 307.

(3) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 217.

تعود صناعتها إلى الحقبة نفسها، وكانت هذه اللقى تتميز بكثرة الزخارف إذ وجد على الأواني الفخارية زخارف نباتية وهندسية مطلية وأخرى كانت غير مطلية ⁽¹⁾.

ويظهر فخار الرقة دور الجزيرة بوصفها منطقة حضارية حدودية بين الشرق والغرب بوضوح أيضاً، إذ كانت الرقة هي مركز إنتاج الفخار في سورية في الحقبة ما بين 378-479هـ / 1000 - 1100 م وقد مكن نمط الفخار المصنوع هناك من التعرف على تأثير الفخار الفارسي - السلجوقي من ناحية، لكنه أظهر قرائن لتقاليد صناعة الفخار المصري - الفاطمي من الناحية الأخرى وهذا يدل على التبادل الحضاري الكبير، وقد برز العديد من التقنيات الجديدة ⁽²⁾.

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر ميلادي شاعت صناعة الحباب ⁽³⁾ الفخارية المزخرفة إلى درجة كبيرة في الموصل وتعدتها إلى سنجار، وقد مرت بمرحلتين أساسيتين من التطور في المرحلة الأولى كانت أغلب الحباب أسطوانية ذات رقبة ضيقة نسبياً ولها عرى كبيرة تعلوها تيجان مخروطية مرتفعة وكانت مزينة بالعقود المدببة والعقود المفصصة، وكانت زخارف هذه الحباب كثيرة ومتنوعة فهي تجمع بين العناصر النباتية والحيوانية والأشكال آدمية والنصوص الكتابية ويغلب على الزخارف النباتية الأغصان الملتوية والحلزونية المنتهية بأنصاف مراوح نخيلية متقابلة، أما بالنسبة إلى رسوم الحيوانات فإن هناك العديد منها، ومن أهمها رؤوس النسور والأسود والطيور المختلفة وكتابات دعائية مثل عبارات العز لصاحبه أو العز الدائم والإقبال الشامل والعمر السالم لصاحبه ومن أبرز الرسومات أمير أو سلطان يجلس متربعاً وهو يحمل بيده كأساً أو يقف إلى جانبه عدد من الأتباع أو المغنين والموسيقيين ⁽⁴⁾.

(1) الفيصل. (2010م): مدينة الرقة، ص 109.

(2) العش، محمد أبو الفرج. (د.ت): الفخار غير المطلي، مجلة الحوليات الأثرية، مطبعة الترقى، دمشق، مج 13، ص 168.

(3) الحباب: مفردا الحب، وهو وعاء الماء أو الجرة الكبيرة أو الخابية وهي كلمة فارسية معربة، نخبه من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 151.

(4) نخبه من الباحثين. (د.ت): موسوعة الموصل، مج 3، ص 432- 433 .

وقد وجد في الرقة إبريق يعود إلى القرن السادس أو السابع الهجري/ الثاني والثالث عشر ميلادي كان مصنوعاً من الفخار غير المطلي وارتفاعه 17,5 سم، وقطره 15,3 سم، وعثر على إبريق آخر في الرقة يعود إلى القرن الثاني أو الثالث الهجري / الثامن أو التاسع الميلادي ويتألف من جذع كروي وكعب مرتفع، وعنق طويل ⁽¹⁾، كما في الملحق رقم (17) ص 201.

وعثر في الرقة على مطرة من الفخار غير المطلي تعود إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وقد زين كل وجه بها في الوسط ضمن تقعر خفيف بوردة كبيرة خاضعة لتنسيق هندسي ذات أربع عشرة وريقة ذات انحناء زويعي تتجه عكس عقارب الساعة، وتبدو متراكبة تراكباً منتظماً ودقيقاً، ويحيط بالوردة نطاق رفيع محدود بخيطين بارزين، وقوام زخرفته عرق نباتي ذو التفاف حلزوني، وقد زينت بعنصر هندسي مؤلف من ثلاث خيوط منكسرة متشابكة وتظهر هذه المطرة في الملحق رقم (20) ص 204.

وقد وجد في مدينة الرحبة صحن من طراز الرقة وكان ذا عجينة حجرية مع زخرفة سوداء تحت طلاء زجاجي فيروزى وذو ارتفاع 6,8 سم وقطره 25,8 سم ⁽²⁾.

ويتضح الانتشار الواسع لصناعة الفخار في الجزيرة ولاسيما في الرقة وذلك من تتبع التنقيبات الأثرية المختلفة وقد ساعد على انتشار صناعته طبيعة التراب الملائمة لهذه الصناعة واعتماد الناس الكبير عليه في حياتهم وتصديره إلى المناطق المجاورة بكثرة بسبب شهرة هذا الفخار وجودته.

3 - الخزف :

كثرت الألوان الخزفية والزجاجية المختلفة الأشكال مثل الصحن والأباريق والأكواب والكؤوس والجرار والمصابيح وغيرها الكثير مما عثر عليه في المكتشفات الأثرية في الرقة، وكانت الرقة أيام العباسيين وحتى في العصر الأتابكي والأيوبي مركزاً لمعامل خزفية تكفي حاجة سكان المدينة وتزيد بحيث كانت تصدر

(1) العث. (د.ت): الفخار غير المطلي، مج 13، ص 43 ، 33.

(2) العث. (د.ت): الفخار غير المطلي، مج 13، ص 169.

إلى البلدان المجاورة، التي كانت تفخر بمصنوعات الرقة المتقنة الجميلة، التي هي نتيجة الخبرة الطويلة وقد أثبتت البحوث والتتقيقات أن خزف الرقة كان من صنع مدينة الرقة نفسها بدليل وجود الأماكن التي كانت مصانع الخزف فيها، كذلك العثور على أدوات الصنع كالقدور غير المطلية وأخرى مطلية صغيرة في حالة ممتازة كما عثر في المدينة على خزف غير مطلي وخزف مطلي بغير رسوم وآخر ذي نقوش سوداء وكان لكل نوع من هذه الأنواع خصائص عديدة في الصنع والزخرفة⁽¹⁾، وكشفت هذه التتقيقات عن عدد كبير من قطع الفخار والخزف والكثير من الأفران وهنا يؤكد إنتاج الفخار والخزف فيها وأنتجت الرقة عدة أنواع من الخزف منها:

- خزف لقبى وهو نوع متعدد الألوان وذو زخارف نافرة ويتميز هذا النوع من الخزف بأرضية بيضاء .
- الخزف ذو البريق المعدني، إذ أنتجت الرقة الأواني الكبيرة الحجم والقدور والسلطانيات العميقة ذات الفوهات الواسعة وألوانها الجميلة التي كانت تميل إلى الخضرة أو الزرقة وكذلك اللون الزيتي كما يظهر في الملحق رقم (39) ص 223.

وكانت صناعة الخزف متنوعة ومنتشرة، مما جعل صناعتها في الرقة يتسابقون لإتقانها والتفنن بزخارفها وكتاباتاتها وألوانها وأشكالها، وتؤكد ذلك الأواني الزجاجية والخزفية التي وجدت في حفريات الرقة ذات الزخارف الخطية والهندسية الملونة، وبعضها ذو زخارف نافرة هندسية وخطية ونباتية، ووجدت أيضاً أبريق نحاسية مزينة بكتابات، وقد ذاعت شهرة مدينة الرقة في صناعة الخزف وكانت الرقة تضاهي بهذه الشهرة مدينة الموصل التي كانت أعظم مركز لصناعة التحف المعدنية المكفنة بالفضة والذهب في القرنين السادس والسابع بعد الهجرة / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ومعظم إنتاجها الخزفي كان في تلك الحقبة⁽²⁾، وقد أثرت الموصل بهذه الصناعة في الرقة؛ بسبب العلاقات السياسية والتجارية والإدارية التي كانت بين المدينتين.

(1) ماهر، سعاد.(1954م): خزف الرقة، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، م 16، ج2، 110 – 115 .

(2) (1930.A.D).Diamond, Maurices: A hand book of Muhammeden Art, New York, , P: 189.

وقد احتوت بعض الزخارف النقوش الأدمية والطيور والحيوانات والعناصر النباتية كالأغصان الحلزونية والتموجة التي تنتهي بأزهار الزنبق واللوتس، وحملت بعض الأواني الخزفية المنتجة بالرقعة الخط العربي النسخي⁽¹⁾.

واشتهرت الرقعة بإنتاج الخزف المعماري وهو ما يعرف بالقراميد الخزفية وهذه تستخدم في تزيين القباب والمساجد والقصور والجدران المهمة، كما استخدمت في تزيين المحاريب بالمساجد، وقد كشفت الحفريات في الرقعة عن بلاطات ذات البريق المعدني، ومن أشهرها ثلاثة بلاطات محفوظة إلى اليوم في متحف الدولة في برلين ووصفها :

• زينت الأولى بصورة فرس يمشي بين الشجيرات وحركة الفرس رائعة ودقيقة تتناسب مع أعضاء جسم الفرس.

• البلاطة الثانية حملت زخارفها صورة أسد تحيط به زخارف نباتية محورة عن الطبيعة تنتهي بمراوح نخيلية.

• والبلاطة الثالثة من بلاطات الرقعة يظهر في منتصفها طير كبير تحيط به عناصر نباتية مشابهة لعناصر البلاطة الثانية .

وقد أنتجت في الرقعة موائد صغيرة منها مائدة سداسية الأضلاع استخدمت بعملها طريقة النقر أي التشويق ونقش عليها عناصر نباتية فضلاً عن الخط النسخي الرائع في كلمات منها الإقبال والسعادة وكان لمثل هذه الموائد ستة أرجل غليظة وقصيرة الملحق رقم (37) ص 221، وأنتجت في الرقعة الصحون الخزفية الجميلة الملحق رقم (38) ص 222.

أنتج الخزافون في الرقعة أيضاً وسائل الإنارة التي تعرف بالمشكاوات ومنها واحدة من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وقد زينت بالزخارف النباتية والخط النسخي الجميل، وظلت منتشرة بها هذه

(1) القيسي.(2009م): الفنون الزخرفية ، ص 35 – 36.

الصناعة في مدينة الرقة لعدة قرون منذ أن بناها الخليفة العباسي هارون الرشيد 170 - 193 هـ وحتى غزوها من قبل المغول سنة 657 هـ / 1259 م ⁽¹⁾ الملحق رقم (40) ص 224.

ومن الأنواع الأخرى المشهورة من خزف الرقة نوع رسمت زخارفه باللون الأسود تحت طلاء فيروزي وتتكون الحليات الأساسية في هذه المجموعة من الأواني، من زخارف نباتية وزخارف متداخلة وحروف كوفية⁽²⁾ وطيور ألحقت بها رسوم نقط ولولب داخل مناطق منفصلة، وكثيراً ما يختلط هذا النوع من خزف الرقة مع نوع آخر مشابه من الخزف في بلاد فارس، وتعد بعض تحف الرقة المرسومة باللونين الأسود والأزرق من بين أهم منتجات الخزف الإسلامي وتوجد في متحف نيويورك تحفتان من هذا النوع يزينهما رسم طاووس يؤلف الخط الذي يحده جسماهما وذيلاهما المنفرجان على شكل دائرة، موضوعاً زخرفياً جذاباً⁽³⁾.

ومن القطع الأخرى المشهورة سلطانية بمتحف المتروبوليتان Metropolitan Museum في نيويورك، يتوقع أن تكون من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ويزينها تينان متشابكان، لهما جسد ثعбاني منقط إلى جانب تفرّيعات نباتية تركت باللون الأبيض على أرضية سوداء، وكان في كثير من الأباريق الكبيرة بروز الزخرفة وتلوينها باللون الأسود وتوجد إلى جانب خزف الرقة ذي اللونين الأزرق والأسود، مجموعة ذات زخارف متعددة الألوان وتشمل زخارف هذه المجموعة على رسوم حيوانات لها رؤوس آدمية ورسوم محاربين وصيادين وحيوانات وتفرّيعات نباتية استخدمت فيها الألوان الكثيرة منها الأسود والأزرق والأخضر والبني الفاتح تحت طلاء شفاف مائل إلى الأخضرار، وأسلوب هذه المجموعة الشبيهة بخزف الرقة ذي البريق المعدني يمثل الأسلوب السلجوقي⁽⁴⁾.

ويمكن أن نضيف عنصر التنميق في الزخرفة الجصية بالأطر الجصية التي تزين بها واجهات الأبواب والأروقة والمداخل والدهاليز وعلى الجدران في الغرف فقد وجد في مدينة الرقة العديد من النماذج

(1) القيسي.(2009م): الفنون الزخرفية، ص 35 - 36 .

(2) زغلول، سعد عبد الحميد.(1986م): العمارة والفنون في دول الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 427 .

(3) ديمانند.(1953م): الفنون الإسلامية، تر: أحمد عيسى، دار المعارف، مصر، ص 197.

(4) نخبة من الباحثين.(1992م): الرقة درة الفرات، ص 130.

عليها ⁽¹⁾، وقد كان الفن في مدينة الرشيد (الرقعة) من أنقى الفنون المعروفة وهو يعتمد تماماً على التلاعب بالخطوط والأشكال والألوان وهذا ما يشاهد في مدينة الرقة وقد قدم أروع إنتاج في الفن الإسلامي وهو الأرابيسك أي التوريق و يخطئ من يقول إن بدايته كانت في سامراء فالرقة أقدم من سامراء ويوجد في متاحف دمشق والرقة عشرات القطع التي تعد النماذج الأولى لفن الأرابيسك، ويتميز هذا الفن باستخدامه النماذج النباتية المحورة عن الطبيعة التي يمكن تكرارها في اللوحة الواحدة أو الإطار الجصي الواحد، لكنها غير مكررة في لوحات، وأطر جصية في المباني بالرقعة، وعلى هذا فزخارف الأطر الجصية لقصور مدينة الرشيد يختلف فيها الزخرف بين إطار وإطار مجاور بصورة إبداعية مذهشة، بحيث يعجب الناظر من كثرة ما كان في أذهان الفنانين من مبتكرات وأشكال متعددة، وهي أحياناً أشكال نباتية محورة عن الطبيعة وأحياناً ممزوجة بالزخارف الهندسية بأسلوب رشيق أخاذ ⁽²⁾، وقد استمرت الرقة في صنع أجمل أنواع الخزف في عصر هارون الرشيد وحتى بعد عصره كانت مزدهرة إلى حد كبير.

وأبرز مثال على خزف الرقة:

فارس الرقة الخزفي :

وهو دليل واضح على أهمية خزف الرقة وقد دخلت هذه الدمية متحف دمشق في أواخر سنة 1368هـ/1949م لهذا الفارس أهمية كبيرة في تاريخ الفن الإسلامي إذ يعدُّ من أعظم الآثار الإسلامية ومن أشهر محتويات متحف دمشق ويبلغ ارتفاعه 46 سم ويمثل محارباً إسلامياً له لحية مثلثة وشفيرة طويلة تتحدر على ظهره وعلى رأسه خوذة مخروطية، يحمل درعاً طويلة، وفي يده اليمنى سيف مسلول ذو نصلة عريضة، أما الجواد فصغير الرأس ضخم الجسم والقوائم، وله لجام غليظ يتألف من ثلاثة حبال تحيط برأسه

(1) المحمود وآخرون.(1999م): التراث الحضاري، ص 165.

(2) نخبة من الباحثين.(1992م): الرقعة درة الفرات، ص 130.

وله سرج، والفارس يهـم بضرب شعبان يلتف على قائمة الجواد الأمامية اليمنى ثم على القائمة اليسرى⁽¹⁾.

وهذا الشكل مصنوع ضمن قالب، وتعلوه طبقة زجاجية رقيقة، ووجه الفارس ورأس الحصان وجسمه ملونة باللون الأبيض، والسيف ولحية الفارس واللجام والحوافر والحبال باللون الأزرق، والدرع وقدم الفارس والشعبان باللون البنفسجي وخوذة الفارس باللون الأخضر⁽²⁾، ويظهر هذا التمثال في الملحق رقم (45) ص 229.

واشتهرت الموصل أيضاً بالخزف فقد كان الخزفيون الموصليون في غاية الدقة والإتقان إذ شاع بها الخزف ذو الزخارف البارزة⁽³⁾.

ومن تتبع صناعة الخزف يتبين تقدم هذه الصناعة في الجزيرة وتنوع أشكالها ومنتجاتها ومنها القدور والأواني والقباب والمشكاوات التي زخرفت بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية وآيات قرآنية وأبرز ما أخذ شهرة وانتشار في الجزيرة كان الخزف ذو البريق المعدني الذي أصبح ينسب إلى أرض الجزيرة بسبب كثرة الصناعة منه وأيضاً كانت أرض الجزيرة ولاسيما الرقة من أوائل المناطق التي انتشر فيها فن الأرابسك الذي كان من أبداع الفنون في صناعة الخزف وأكثرها جمالية.

4 - صناعة الخمر:

انتشرت صناعة الخمر في عدة مدن في الجزيرة الفراتية وكان يتميز بالمذاق الجيد إذ قام المسيحيون بصنعه في المناطق التي استقروا بها؛ وذلك نتيجة لانتشار بساتين الكروم على مساحات واسعة :

- أهم أماكن صناعة الخمر:

ديار بكر: انتشرت فيها صناعة الخمر التي امتازت بجودتها، وقد صنعت على أيدي المسيحيين

(1) عياش، عبد القادر. (1969م): الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة، منشورات وزارة الثقافة، دير الزور، ص 5، رقم التحفة في المتحف 5819/ع.

(2) عياش، عبد القادر. (1969م): الرقة كبرى المدن، ص 6.

(3) أمين، حسين. (1965م): تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد، ص 311.

ولاسيما سكان الأديرة والكنائس وذلك بسبب كثرة ما كانوا يمتلكون من بساتين الكروم، وبسبب خبرتهم العريقة في هذا المجال (1).

وقد اشتهر دير أحويشا الذي يقع في إسعرد من ديار بكر بخرمه الذي يحمل منه إلى سائر البلدان (2).

وقد انتشر نوع من الشراب يعمل من الشعير ويعلوه الزبد يسمى الفقاع وقد أشار أسامة بن منقذ إلى هذا الشراب الذي كان يصنع في مدينة حصن كيفا سنة 568 هـ / 1172 م ويجلب إلى المدن الأخرى ومنها الموصل وعلى الأرجح هذا الشراب هو البيرة (3).

وذكر الحموي أنه كان في قرية قطربل الواقعة بجانب مدينة آمد بديار بكر يباع الخمر الجيد وتنتشر بها الحانات (4).

كما ينسب إلى دير أكمين الخمر الذي يشتهر بجودته الكبيرة وقد قيل عنه أنه لا يورث الخمار أي لا يسكر بعد شربه بإفراط (5).

وقد ذكر ابن حوقل أن بلدة الحسنية قد اشتهرت بصناعة الخمر والنبيذ وذلك بسبب كثرة زراعة الكروم بهذه المنطقة (6).

- طريقة صناعة الخمر:

وقد كان يوضع شراب (الفقاع) بعد عصره في آنية كروية مخروطية ليخزن به المشروب الروحي

(1) خليل.(1980م): الإمارات الأرتقية، ص 456.

(2) العمري.(2003م) : مسالك الأبيصار، ص 392.

(3) ابن منقذ.(د.ت): الاعتبار، ص 177.

(4) الحموي.(1995م): معجم البلدان، ج4، ص 371 .

(5) محمد.(1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 294.

(6) ابن حوقل.(1938م): صورة الأرض، ص 221 .

الخفيف المختمر، وتشد قطعة رقيقة من الجلد على شكل غطاء للإناء وتربط لكي لا يدخل الهواء للسائل، وفيما بعد تتقب قطعة الجلد بإبرة فيتدفق السائل إلى خارج الإناء بعد تخمره تحت تأثير الضغط عليه وذلك بعد مدة زمنية طويلة وكلما زادت المدة أصبحت جودة الشراب أكبر⁽¹⁾ وتظهر هذه الأنية في الملحق رقم (21) ص 205.

5 - صناعة الأدوية :

انتشرت صناعة الأدوية في الجزيرة الفراتية وذلك لوجود النباتات والأعشاب التي تصنع منها ومن أجل علاج المرضى وأيضاً لوجود العديد من الأطباء المشهورين بها ومعرفتهم صناعة الأدوية وتأليفهم العديد من الكتب التي تناولت هذا الموضوع وأبرزهم :

- ثابت بن قرة الحراني⁽²⁾: الذي ألف كتاب الذخيرة في علم الطب وكان يتألف من إحدى وثلاثين باباً ذكرت فيها أمراض القلب والأذن والأنف والفم والمعدة والكبد والرئة وغيرها الكثير وتحدث عن الأدوية لكل مرض منها⁽³⁾.
- رشيد ابن الفارس ابن داود أبو حليقة: الذي جمع معلوماته في عدة كتب من أبرزها المختار في ألف عقار في الأدوية المفردة ورسالة في حفظ الصحة وكتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها⁽⁴⁾، وقد ولد في قلعة جعبر عام 591هـ / 1194م ثم رحل إلى مدينة الرها ويذكر أنه لما انعدم دواء الدرياق⁽⁵⁾ الفاروق قام بنفسه بعمل دواء الدرياق الذي توجد مركباته في معظم الأماكن وقد صنع ذلك تقريباً منه لوجه الله تعالى،

(1) المحمود.(1999م): التراث الحضاري، ص 169.

(2) ثابت بن قرة: هو أبو الحسن بن هارون الحاسب الحكيم الحراني، كان في أول حياته صيرفياً بخران ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلم الأوانل فمهر فيها وبرع في الطب وكان الغالب عليه الفلسفة، وله عدة مؤلفات في فنون من العلم مقدارها عشرين تأليف، وأخذ كتاب إقليدس ونقحه وقد تنقل بين بغداد وخران وكفرتوثا، ابن خلكان.(1994م): وفيات الأعيان، ج 1، ص 313.

(3) بن قرة، أبو الحسن ثابت بن عرفان الحراني.(1938م): الذخيرة في علم الطب، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1938 م، ص 13 .

(4) الخالدي.(1984م): وقائع الندوة الدولية، ص 138 .

(5) الدرياق: هو الترياق، وهو معجون أسود اللون، حلو الطعم مركب من عدة عناصر مسكنة، وفيه جزء من مئة جزء من الأفيون وشيء من النبيذ، وهو دواء لآلام المعدة، وأن دهن به الجسم من الظاهر سكن الألم وحلل الأورام، وجدي، محمد فريد.(د.ت): دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط3، بيروت، ص 112.

وكان مفعوله قوياً في العلاج، فاستخدمه في علاج المفلوجين⁽¹⁾، وفي علاج الأعصاب وفي إزالة البلغم، وفي التخفيف من مرض القولنج⁽²⁾، وقد أعطى دواؤه هذا إلى السلطان الكامل 615-635هـ/1218-1238م الذي كان يعاني من ألم حاد في الأسنان وطلب منه أن يستخدم هذا الدواء، ولما استعمله الكامل شفي في الحال، وعندما مر في مدينة القاهرة على مفلوج ملقى على جنب الطريق أعطاه شربة من درياقه فشفي في الحال، وأيضاً استخدم درياقه هذا في علاج حصاة المثانة فكان يفتتها في الحال⁽³⁾.

- الطبيب أبو بكر محمد ابن الخليل الرقي الذي يقول عنه ابن ابي أصيبعة أنه كان مشهوراً في الصناعة الطبية، عارفاً بأصولها وتخصصاتها، وقد كان حسن المعالجة وهو أول من فسر مسائل حنين ابن إسحاق في الطب وقد عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي .
- أبو دانيال الحراني الموصلي شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي بالكحال الذي ابتكر دواء لمرض العيون (الرمد)⁽⁴⁾.
- الطبيب عماد الدين محمد بن عباس بن أحمد الربيعي الحكيم البارع الذي ولد في مدينة دنيسر وقد صنف عدة مقالات منها المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة⁽⁵⁾.
- أحمد بن أبي الاشعث وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الاشعث وقد كان طبيباً موصلياً واشتهر بممارسته للطب في الموصل في سنة 348هـ/ 959م وعالج ابن ناصر الدولة أبو محمد الحسن الحمداني وبرز في

(1) الفالج: هو حدوث شلل أو استرخاء أو ترهل أو ضعف في أحد أعضاء الجسم وقد يرافقه استرخاء في اللسان واللثة وله العديد من الأسباب أبرزها السكتة الدماغية، التهانوي، محمد بن علي ابن صابر الفاروقي ت. بعد 1158هـ/1745م. (1996م): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، ج1، ص153.

(2) القولنج: هو مرض معوي مؤلم، يتعسر معه خروج الفضلات من الجسم، وهو يحدث في القولون ومنه اشتقت تسميته، الخوارزمي. (1924م): مفاتيح العلوم، ص183؛ ابن النفيس. (2002م): الشامل، ج1، ص156.

(3) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص396.

(4) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن قاسم ت. 688هـ/1270م. (1996م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح : عامر النجار، دار المعارف، ط1، القاهرة، ج1، ص342.

(5) ابن أبي أصيبعة. (1996م): عيون الأنباء، ج3، ص437 .

صناعاته للأدوية فقد ألف العديد من الكتب في علاج الأمراض والأدوية منها كتاب السرسام⁽¹⁾ والبرسام⁽²⁾ وكتاب القولنج واصنافه ومداواته وكتاب في البرص⁽³⁾ والبهق⁽⁴⁾ وفي الجدري⁽⁵⁾ والحصبه⁽⁶⁾ وفي أمراض المعدة ومداواتها⁽⁷⁾.

- أحمد بن محمد البلدي وهو أبو العباس أحمد بن يحيى من مدينة بلد ومن أبناء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وقد ألف كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان والمحافظة على صحتهم ومداواة الأمراض التي يتعرضون لها وقد اكتشف فيه معالم وأعراض مرض الحميقاء؛ وهو الجدري الكاذب وأرسى فيه الدعامه الأولى لعلم الحصانة ضد الأمراض.

- عمار بن علي الموصلي: وهو أبو القاسم عمار بن علي، أحد أطباء العيون الذين برزوا في مدينة الموصل وتعلم الكحالة (طب العيون) فيها وألف كتاب المنتخب في العين في سنة 401هـ/ 1010م وصنف في كتابه مرض الساد وهو الماء البيضاء التي تصيب العيون وحذر من معالجاتها بالقدرح قبل نضج المرض، ويعزى له اختراع المقداح المعدني⁽⁸⁾.

- مهذب الدين بن هبل البغدادي: هو أبو الحسن علي بن هبل ولد في بغداد سنة 515هـ/ 1122م وانتقل إلى الموصل واستقر بها مدة من الزمن وتعلم بها الطب وألف كتاباً عن الأمراض أسبابها وعلاماتها وعلاجها وقد تناول فيه الأدوية المستعملة في الضماد والحقنة، وكان فيه فصل لتسكين الأوجاع وعلاج الأورام وذكر به

(1) السرسام: هو حمى دائمة مع صداع وثقل في الرأس والعين ويحدث في العين احمرار وكرابية للضوء، الخوارزمي.(1924م): مفاتيح العلوم، ص186.

(2) البرسام: ويسمى أيضاً بالجرسام وهو الورم الذي يتعرض له الحجاب الذي بين الكبد والمعدة، التهانوي.(1996م): موسوعة اصطلاحات الفنون، ج1، ص322.

(3) البرص: وهو داء معروف وهو بياض يقع في الجسم ويسمى الشخص المصاب به بالأبرص، ابن منظور.(1993م): لسان العرب، ج7، ص5.

(4) البهق: وهو مرض يصيب الجلد وهو على شكل بقع بيضاء تظهر على الجلد، الخوارزمي.(1924م): مفاتيح العلوم، ص184.

(5) الجدري: هي قروح تظهر على الجلد تكون ممتلئة بالماء، ابن منظور.(1993م): لسان العرب، ج4، ص120.

(6) الحصبه: هي بثور حمراء تظهر على الجلد ثم تصبح على شكل حبوب ولا تتقيح ويرافقه ارتفاع درجة الحرارة، التهانوي.(1996م): موسوعة اصطلاحات الفنون، ج1، ص679.

(7) ابن ابي اصيبعة.(1996م): عيون الانبياء، ج3، ص330.

(8) نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص209.

أيضاً أنواع متعددة من الأمراض وطرق مداواتها والأدوية المستعملة فيها وذكر فيه أيضاً الأدوية المفردة المستعملة لأمراض التناسل للمرأة والرجل ⁽¹⁾.

واشتهر في الرقة دهن الخطارة وهو خلاصة زيت الزيتون، وهو دهن عجيب يقال إنه كان لا يتخذ إلا من حانوت بالرقعة فإذا اتخذ من غيره فسد، وهو مفيد لمعالجة الرياح ⁽²⁾.

تميزت الرقة أيضاً بصناعة الكحل المستخدم لمعالجة العيون إذ تؤخذ مادته الأولية من حجر معدني يسمى أرسون ويوجد أيضاً في بلاد الروم وهو حجر أملس مخمس الشكل ومن اكتحل به لا يصيبه الرمذ ⁽³⁾.

ووصف زيت الرقة مطهراً ومرهماً ضد داء النقرس ⁽⁴⁾، وصنع أطباء نصيبين من الورد النصيبي دواءً نافعاً للكثير من الأمراض، إذ كان ماؤه البارد يشفي من الصداع، وشرابه يبرد الدماغ، ويساعد على تخفيف آلام المعدة ⁽⁵⁾.

وكان الأطباء يصفون مياه دير القيارة الواقع على جانب دجلة الغربي للشفاء من مرض النقرس ويبسط التشنج ويقضي على الأورام والرياح ويلحم الجراح ⁽⁶⁾، وقد وصفوا أيضاً مياه البئر الواقع في دير باطا ⁽⁷⁾ لعلاج البهاق ⁽⁸⁾.

(1) السامرائي، كمال. (1990م): مختصر تاريخ الطب، دار النضال للنشر والتوزيع، بغداد، 1990م، ص 599 .

(2) ابن الفقيه. (1885م): مختصر كتاب البلدان، ص 134.

(3) القزويني. (1978م): عجائب المخلوقات، ص 248.

(4) الخالدي. (1984م): وقائع الندوة الدولية، ص 109.

(5) الدمشقي، أبو البقاء عبدالله البدري ت. 894هـ/1489م. (1980م): نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، ط1، بيروت، ص 61 ؛ ابن البيطار. (د.ت): الجامع، ج3، ص 136.

(6) العمري. (2003م): مسالك الأبصار، ج1، ص 380.

(7) دير باطا: يقع بين مدينة الموصل وتكريت، وقد كانت يمتلئ في الورود في الربيع، ويسمى أيضاً بدير الحمار وهو قريب من نهر دجلة، الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 500 .

(8) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج2، ص 501.

وأيضاً قد وصف الأطباء المياه المعدنية الموجودة في الدير الأعلى في الموصل وهي المرقيشيا والقلقطار دواءً للجرب والحكة والبثور وتنفع المقعدين⁽¹⁾.

وورد ذكر سوق العديم في مدينة ميفارقين وكان يضم المحلات التي تباع فيها الأدوية والأشربة والعقاقير⁽²⁾.

يظهر من تتبع صناعة الأدوية غنى الجزيرة بالعديد من الأطباء الماهرين الذين أبدعوا في معرفة كم هائل من الأمراض، ووصفوا أسبابها وطرائق الوقاية منها وابتكروا أدوية لمعالجتها إذ استفادوا من الطبيعة من حولهم ودرسوا وصنفوا الأعشاب وفائدة كل منها لجسم الإنسان وذكروا أهمية المياه الحارة الكبريتية لجسم الإنسان ومعالجتها للعديد من الأمراض وقد صنّفوا العديد من كتب الأدوية التي طورت من علم الطب في الجزيرة وفي البلاد العربية جميعها.

6 - صناعة الأسمدة الزراعية:

أتقن السكان في الموصل صناعة الأسمدة الزراعية إذ استخدموا الأسمدة المفردة والمركبة في الزراعة وفق نوعية المحاصيل الزراعية، وغالبًا ما كانت تسمد الأرض من فضلات الحيوان ولاسيما المواشي والحمّام والرماد، وأيضًا استخدموا بعض المواد في معالجة النباتات والحشائش الضارة للمحاصيل الزراعية وذلك بخلط مواد مثل البنج⁽³⁾ والطرفاء⁽⁴⁾ والخلاف⁽⁵⁾ ونشرها على الأرض فقد كانت تقضي على النباتات والحشائش الضارة الموجودة في البساتين⁽⁶⁾.

(1) العمري.(1955م): منية الأدباء، ص 146.

(2) محمد.(1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 325 .

(3) البنج: هو جنس نباتات طبية مخدرة من الفصيلة الباذنجانية، نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 71.

(4) الطرفاء: هي شجيرة صغيرة تنمو برياً، البابلي.(1949م): قاموس النباتات، ص 89.

(5) الخلاف: هو شجر الصفصاف، نخبة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 251.

(6) نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج2، ص 318.

وفي النهاية من الطبيعي معرفة المزارعين في الجزيرة فنون الزراعة المختلفة ولاسيما الأسمدة الزراعية وذلك لأن أرض الجزيرة من أوائل المناطق التي اكتشفت الزراعة وقد طوروا وأضافوا عليها الكثير ووصل بهم الأمر إلى اكتشاف خصائصها ومعرفة صناعة أنواع الأسمدة الطبيعية المختلفة التي زادت من جودة المزروعات.

7 - صناعة الورق والأقلام والوراقة :

لم تكن هذه الصناعة منتشرة كثيراً في الجزيرة الفراتية في بداية العصر العباسي إذ لم يرد ذكر صناعتها سوى في مدينة الرقة فقد تحدث الحميري أن الرقة ينسب إليها الورق ذو الجودة العالية من ورق المصاحف ⁽¹⁾، وقد كان الورق يصنع من لحاء شجر التوت ومن نبات الكتان.

وقد صنعت المحابر في مدينة نصيبين ⁽²⁾، وقد ذكر الوزير أبو علي بن مقلة 328 هـ / 939 م الذي قدم إلى الموصل سنة 323 هـ / 934 م طريقة صناعة الحبر حيث ذكر أن أجود أنواع الحبر ما كان مصنوعاً من النفط حيث يؤخذ منه ثلاثة أرطال وتتخل وتصفى ثم توضع في إناء ويصب عليها من الماء ثلاثة أمثالها ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً ومن العفص ⁽³⁾ عشرة دراهم، ويوضع الإناء على نار هادئة حتى يثخن ويصبح على هيئة الطين ثم يترك في الإناء حتى وقت الحاجة، واشتهرت الرقة بصناعة الأقلام ⁽⁴⁾، وكان الاهتمام بها من الوراقين الذين زاروا مدينة الموصل إذ ذكر الوزير أبو علي بن مقلة أن أفضل الأقلام ما كان طوله من ستة أصابع إلى اثني عشر، ولما انتشرت مهنة التخطيط في العصر العباسي أخذ الكتّاب والخطّاطون يحتفظون بأعداد كبيرة

(1) الحميري.(1980م): الروض المعطار، ص 273.

(2) السامر.(1970م): الدولة الحمدانية، ص 347.

(3) العفص: شجرة البلوط، وثمرها كان يستخدم كدواء قابض مجفف، وكان يتخذ منه الحبر أو الصباغ، نخبه من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 611.

(4) المقدسي.(1991م): إحسن التقاسيم، ص 145.

من الأقلام، وقد وصف القلم من نساخ الكتب في الموصل ومنهم السري الرفاء 362 هـ / 972 م الذي ذكر كثيراً من مزيائه مبيناً دقة بريه كأنه نصل الرمح، وقد عرفت مدينة الموصل عدداً من الوراقين الذين اهتموا بجمع الأوراق وبيعها، وكان من أبرزهم حمدان بن عمرو الموصلية توفي بعد سنة 300 هـ / 912 م وأبو الحسن علي بن إبراهيم الموصلية الوراق 383 هـ / 993 م وعمر بن عبد الباقي بن علي الموصلية 474 هـ / 1081 م وقد ولد في الموصل، وأبو الفضائل محمد بن طوق الموصلية الوراق 494 هـ / 1100 م وأبو الطيب الطاهر الطبري 450 هـ / 1058 م وأبو جعفر بن السمين عبيد الله بن علي وأبو منصور القزاز 535 هـ / 1140 م وأيضاً العديد من نساخي الكتب الذين ينسخون الكتب لقاء مبلغ معلوم ومنهم من كان ينسخ من دون مقابل وهم الذين أسهموا في المحافظة على تراث الحضارة العربية الإسلامية بنسخهم المستمر لكنوزها من العلوم المختلفة ولعل أبرز نساخي الكتب أبي علي الفارسي 377 هـ / 987 م وأبو القاسم عبيد الله الأسدي 387 هـ / 997 م وغيرهم كثيرون⁽¹⁾.

ومن أبرز نساخي الكتب أيضاً الراهب مبارك بن داود البرطلي الذي كتب الإنجيل وقام بتزيينه بأربع وخمسين صورة ملونة أضافت إليه رونقاً وجمالاً وبعض هذه الصور ليوحنا الإنجيلي وجبرائيل رئيس الملائكة وصورة العذراء وزكريا وميلاد يسوع المخلص ومار أنطونيوس رئيس الرهبان وغيرها الكثير من الصور الدينية، وافتتح فصول الإنجيل بحروف مذهبة، وانتهى منه سنة 617 هـ / 1220 م، وقد وضعه في دير مار متى في مدينة الموصل، وقد حمّله السيد جرجس دلال مطران الموصل إلى روما وأهداه إلى البابا بيوس الحادي عشر وحفظ في مكتبة الفاتيكان وهذا الكتاب عبارة عن 476 صفحة وطوله 44 سنتمراً، وقد انتشرت العديد من المکتبات في الجزيرة من أبرزها مكتبة الرها الملكية ومكتبة تكريت وآمد وقد كانت تلك المکتبات مليئة بالمخطوطات والذخائر العلمية⁽²⁾.

(1) حميد، مها سعيد. (2017م): الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية، مجلة دراسات موصلية، كانون الأول، العدد 46، ص 9.

(2) دي طرازي، فيليب. (2012م): عصر السريان الذهبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 102، 111.

وقد اشتهر يوحنا مطران ماردين والخابور 518-544هـ / 1125-1165م باعتنائه بتجليد الكتب والمخطوطات النفيسة التي اهتم بها في مكتبته، ونسخ بيده أيضاً أربع نسخ من كتاب الإنجيل الكريم، ورصعها بحروف ذهبية وفضية، ونسخ إنجيلاً ممتازاً لدير الزعفران⁽¹⁾.

وقد كان يوضع على غلاف الكتب صور الخلفاء والأمراء إذ وضعت صورة الأتابك بدر الدين لؤلؤ في مدينة الموصل حوالي 614هـ / 1218م على الصفحة الأولى لغلاف كتاب، ونشأت في المراكز المدنية في الجزيرة صناعة المنمنمات وهو رسم دقيق مفصل لصورة أو رسم أو حرف يزين بها المخطوط أو يزخرف واستوعبت الجزيرة تأثيرات من الحضارات المجاورة في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي، وتتطابق مع التقليد التركي صورة الحاكم وهو يحمل القوس في يده رمزاً للحكم، أما التنانين الطائرة فوق رأسه فترجع إلى التقاليد الفارسية⁽²⁾.

أبدع الصناع في الجزيرة في تجليد الكتب وإعطائها جمالية كبيرة ومظهرًا رائعًا يحافظ على محتواها، ومثال عليها جلدة مخطوطة كانت محفوظة في جامع الباشا في مدينة الموصل لكتاب السياسة لأرسطو طاليس وطول الجلدة 25 سم وعرضها 18 سم وتتضمن جملة (هذا كتاب السياسة وقد كتب لخزانة السلطان المعظم ملك ملوك الترك والعرب والعجم السلطان مسعود بن مودود)، الذي حكم الموصل بين سنتي 576 - 589 هـ / 1180 - 1193 م وغلفت واجهتا الكتاب بجلد أحمر غامق عليه نقوش مصنوعة بالقالب، وقوام النقوش عليه: إطار من مجموعة من الدوائر يحيط بالمتن وفي وسط المتن صرة لوزية في الأعلى والأسفل منها دلايتان صغيرتان واحتوت الزوايا الأربع للمتن على قطع زخرفية مستمدة من الصرة الوسطية، إذ ملئت الصرة والدلايات والزوايا بالنقوش النباتية على أرضية غائرة جداً، وتكمن أهمية هذا الجلد بقدمه الكبير الذي يعد أهم من عناصره الزخرفية، ففيه الكثير مما يدل على أن الموصل كانت جزءاً مهماً أسهم في انتشار العناصر الزخرفية وتطويرها للتجليد في العالم العربي الإسلامي فقد استخدمت مبكراً عنصر الصرة والدلايات

(1) دي طرازي. (2012م): عصر السريان الذهبي، ص 103.

(2) المحمود وآخرون. (1999م): التراث الحضاري، ص 167.

المتصلة بها والإطار المحيط بالمتن واللسان الذي يرجع إلى العرب استخدامه في فن التجليد، وهذه العناصر جميعها كانت من الخصائص العامة التي استخدمت في فن التجليد، فاستخدام الصرة أصبح من الأمور الشائعة في تجليد الكتب منذ القرن السابع هجري/ الثالث عشر الميلادي وما بعده ⁽¹⁾ الملحق رقم (43) ص227.

نشطت زخرفة الكتب وتزيينها في إقليم الجزيرة الفراتية إذ زينت الكتب بالزخارف النباتية المختلفة مثل الأوراق والزخارف الهندسية التي كانت غاية في الدقة حتى صارت للموصل مدرستها التي عرفت بها في التصوير، وبلغت من الأهمية أن نسب إليها علماء الآثار والفنون بعض الكتب والمخطوطات التي لم يذكر عليها اسم ناسخها ⁽²⁾.

وقد أبدعوا في تزيين الكتابة وزخرفتها إذ زينوها بماء الذهب الذي عرف بالتذهيب وكان في البداية يستخدم لتزيين القرآن الكريم وطبعه ثم توسع ليشمل المخطوطات الأخرى، إذ نالت الصفحات الأولى منها عناية المزيين والمذهبين، فزخرفت أجزاءها العليا بعناصر نباتية وهندسية مختلفة الألوان ومذهبة، وكذلك زخرفت الحواشي وبدايات الفصول والأبواب ⁽³⁾، ويوجد في المكتبة البطيركية الكلدانية في مدينة الموصل العديد من المخطوطات المنسوخة على ورق من صناعة القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد تظهر فيها الآيات الإنجيلية مكتوبة بماء الذهب ⁽⁴⁾.

ويتضح من تتبع صناعة الورق ونسخ الكتب في الجزيرة كثرة عدد العاملين بها الذين مارسوا هذه المهنة وكان لهم الفضل الكبير في الحفاظ على الكتب للأجيال القادمة والمساهمة في نشر المعرفة والاطلاع على الحضارات المختلفة.

(1) نخبة من الباحثين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج4، ص 347.

(2) الديوه جي.(1982م): تاريخ الموصل، المكتبة الوطنية العراقية، بغداد، 1982 م، ص 416.

(3) الحارثي.(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 461 .

(4) دي طرازي.(2012م): عصر السريان الذهبي ، ص 111.

8 - الصناعات الجلدية :

انتشرت هذه الصناعات بكثرة في الجزيرة الفراتية وذلك بسبب غناها بالثروة الحيوانية وكان من أبرز الصناعات الجلدية في الجزيرة صناعة الأحذية والنعال⁽¹⁾ والأحزمة والحقائب التي تحمل فيها النقود، والقرب التي تحمل فيها المياه في السفر والرحلات، وتستخدم أيضاً لتبريد المياه والصغيرة منها يوضع فيها السمن والمواد السائلة كالعسل والعصائر والزيوت النباتية المختلفة، وقام الصناع بدباغة⁽²⁾ الجلود قبل القيام بتصنيعها فقد كانت هذه الصناعة منتشرة في بلاد الجزيرة الفراتية وقد وجد بها العديد من مدابغ الجلود⁽³⁾.

الموصل العديد من الأحذية القصيرة ذات الفتحة الواسعة إذ يظهر النصف الأعلى من القدم مكشوفاً وتشبه الأحذية المنزلية المنتشرة في الوقت الحاضر، وأيضاً صنع نوع آخر من الأحذية وهو الخف⁽⁴⁾ وكان أكثر الأحذية استعمالاً في المجتمع وخلا من الكعبين، وكان من تقاليد ذلك العصر أن لا ينزع العاملون بدار الخلافة الخفاف في أثناء أدائهم لواجباتهم والمخالف لذلك يعرض نفسه للعقاب الصارم⁽⁵⁾، وقد كان الخف الأحمر من لباس الخطباء، إذ ذكر ابن تغري بردي أنه في عام 401 هـ / 1010م خطب في مدينة الموصل خطيب الحاكم بأمر الله فظهر للناس وهو يرتدي قباء وخف أحمر⁽⁶⁾.

وكذلك وجدت صناعة تجليد الكتب في الموصل وقد كثر المجلدون في الموصل الذين يقومون بتجليد الكتب وتزيينها وممن عمل بتجليد الكتب في المدينة السري الرفاء وكذلك المجلد محمد بن سليمان بن كمشتكين الموصلية 630 هـ / 1232 م وكانت صنعتها في ابتداء أمره تجليد الكتب والوثائق وشهرته بعمله

(1) النعل : الحذاء، وهو الذي يوقى به القدم من الأرض، مجموعة من المؤلفين.(2008م): المعجم الوسيط، ص 935.

(2) الدباغة: هي صناعة دبغ الجلود بإزالة النتن والرطوبة النجسة من الجلد مع إضافة لون للجلد، عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 209.

(3) المنشئ النسوي، محمد بن أحمد ت. 647هـ/1249م.(1953م): سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تج: حافظ أحمد حمدي، مطبعة الاعتماد، مصر، ص 314.

(4) الخف: جمعها خفاف وهو حذاء قصير أو ما يستر الكعب وأمكن السفر به أو المشي ويلبسه الرجال والنساء، عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 196.

(5) نخبة من الباحثين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 407.

(6) ابن تغري بردي.(1938م): النجوم الزاهرة، ج3، ص 194.

هذا جعلته يعرف بالمجلد وهذا يدل على جودة صنعه وقد كان بعض وراقي الموصل يجمعون بين تذهيب الكتب وتجليدها وكانوا يتمتعون بالخط المميز والرائع مثل الشاعر أحمد بن بوران بن سنقر الموصلية المتوفى سنة 654 هـ / 1256 م وأتقن تذهيب الكتب وتفق في ذلك على أهل زمانه وكان لا يماثله أحد⁽¹⁾.

يتضح من تعقب الصناعات الجلدية في الجزيرة تنوع استخداماتها في الجزيرة من حقائب أو قرب لوضع الماء بها أو مواد أخرى أو أحذية ومن أبرز هذه الصناعات تجليد الكتب إذ أسهم الصناع في الجزيرة بتطوير هذه المهنة بإضافة بعض العناصر الفنية والزخرفات التي لم تكن معروفة من قبل.

9- صناعة مواد البناء :

انتشرت صناعة مواد البناء في الجزيرة الفراتية بسبب الحاجة الكبيرة إليها لبناء البيوت والمرافق العامة ونتيجة للرخاء الكبير الذي رافقه بناء الصروح والقصور وتنوعت مواد البناء تنوعاً كبيراً وذلك بسبب غنى أرض الجزيرة بموادها المختلفة، وكان من أهم هذه الصناعات:

أ - الطوب:

كان يصنع من اللبن والتبن أو من الآجر واللبن المحروق والنورة وهي الحجارة الذي يصنع منها الكلس بعد حرقها وطحنها وإذابتها في الماء، وازدهرت هذه الصناعة لكثرة الحاجة إليها، وذلك لتواكب الحركة العمرانية من بناء القصور والحصون والمساجد والمدارس حيث تسابق الملوك والأمراء في تخليد ذكراهم بإقامة بعض هذه العمائر أو واحد منها على الأقل وجعلها بأبهى حلة، ثم تزين وتزخرف بالرخام الأبيض والأسود والقاشاني⁽²⁾ والفسيفساء، وكانت غالبية مباني الموصل وصروحها ذات قباب لا يستخدم الخشب في

(1) حميد. (2017م): الوراقون، ص 11.

(2) القاشاني: وهو ضرب من الزليج أي الأجر العريض المربع الملون بألوان مختلفة ويسمى في بغداد بالكاشي وفي بلاد الشام بالقاشاني ، تعود النسبة إلى بلدة قاشان من مدن الجبال في إيران وتقع جنوبي مدينة قم الإيرانية واشتهرت في ديار الشرق بقرميدها الذي يقال له القاشاني وأصبحت تطلق هذه التسمية على القرميد الأزرق والأخضر المتخذ في تزويق المساجد، نخبة من المؤلفين.(د.ت): فوائد لغوية، مجلة لغة العرب العراقية، ج5، ص 612-619.

تسقيفها (1).

ب - صناعة الآجر :

كانت صناعة الآجر قديمة ومعروفة في الجزيرة الفراتية ولاسيما في الرقة، لعدم وجود مقالع حجر على أراضيها وكان إنتاج مصانع الآجر فيها كثير لتلبية حاجات السكان الكبيرة إلى بناء الدور ولاسيما لبناء قصور الأمراء والقادة الكثيرة الحجرات؛ التي تتميز بالعظمة وكانت عالية الحيطان، والمحاطة بالأسوار العالية الحصينة، وقد كانت معظم البيوت في الرقة من الآجر، وأتقنوا صنعه بحيث أن الآجر الموجود قاوم عوامل الطبيعة المختلفة مئات السنين، وقد تميزت صناعته بالجودة الكبيرة إذ أنه لا يزال يبدو وكأنه صنع منذ وقت قريب، وأيضاً استعمل اللبن في بناء سور الرقة الكبير وأبراجه والبرج الضخم الذي كان في مدخل الرقة (2).

ج - الجص :

انتشر الجص في الجزيرة الفراتية وكان من أهم مواد البناء ولاسيما في الموصل لتوفره وسهولة البناء به، لذا كان البنّاؤون يتقنون بتلبس دورهم ومنشأتهم بالزخارف الرخامية والجصية وجعلوا السقوف مرتفعة، جيدة التهوية والاضاءة، فسيحة الفناء وزوقوا ظاهر البنايات وباطنها، وقد ذكر ابن جببر أن مدينة حران كانت تنتشر بها أسواق ذات قبب جصية كبيرة (3).

وقد كان هناك إقبال كبير من الناس على الزخارف الجصية التي زينوا بها جدران البنايات والسقوف من الداخل بزخارف ونقوش وتصاوير متنوعة بارزة وغائرة ومثال على هذه الزخارف الجصية التي انتشرت في مدينة الرقة الملحق رقم (22) ص 206 وكانت هذه الزخارف متنوعة ومنها ما يكون داخل وحدات متساوية الابعاد ومتقابلة، كما في مشهد الإمام يحيى بن قاسم وقد تكون نافرة في البناء وتتألف من زخارف نباتية مثل

(1) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 221.

(2) عياش. (1969م): الرقة كبرى المدن الفراتية، ص 5.

(3) ابن جببر. (د.ت): رحلة ابن جببر، ص 198.

أوراق الأشجار وهندسية متشابكة مع بعضها ومتنافرة وقد يتخللها كتابات وكانوا يزينون بعض هذه الوحدات بتصاوير لحيوانات أليفة، أو بعض الطيور وأبرزها الجارحة بحيث تكون التصاوير متداخلة مع الزخارف، وموضوعة بأشكال يصعب على الناظر تمييزها، ومثال عليها محراب الجامع المجاهدي في الموصل، ومنها ما تكون زخارف نباتية مزهرة، وهي كثيرة في الجوامع والمنازل⁽¹⁾.

واتخذوا شرائط مكتوبة كالتحف حول البناء أو تكون داخل وحدات في البيوت والاروقة، فيها آية كريمة، أو حديث شريف، أو كلمات تؤرخ البناء، وزينوا الزخارف التي تكون داخل القباب وفي زوايا الغرف الكبيرة بكتابات وتشكيلات دقيقة تستمر إلى أعلى القبة، فتظهر من اجتماعها وحدة زخرفية جميلة كما في مشهد الامام يحيى بن القاسم وفي دير الجب في الموصل، واتخذوا داخل القباب زخارف خشنة تكون على شكل شرائط عريضة، وتبدأ من محل ارتكاز القبة على الجدران، وتستمر إلى أعلى القبة متقاطعة مع بعضها، ويظهر من تقاطعها اشكال هندسية دقيقة، تتلاقى في أعلى القبة، ويحصل من تلاقيها شكل هندسي رائع، وزينوا البنايات بتصاوير نافرة في الجدران، مختلفة الحجم كما في دير الجب إذ توجد صورة القديس بهنام كما في الملحق رقم (24) ص 208، وعلى الجدار المقابل له صورة أخته القديسة سارة وهما بارزتان في الجبس وكان هذا في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلادي⁽²⁾، ومن الشواهد على البناء بالجبص قلعة السلطان بدر الدين لؤلؤ فقد صنع من الجبس الأبيض وبقي منه إيوانان كما في الملحق رقم (25) ص 209، والزخارف الجصية في المحراب الداخلي للجامع النوري الملحق رقم (26) ص 210.

ومن أبرز المحاريب المبنية بالجبص في مدينة سنجار محراب مرقد السيدة زينب سلام الله عليها وهو يوجد في جدار القبلة من المصلى الصغير الذي يقع بين غرفة الضريح والغرفة المقابلة لها وشيد هذا المحراب من الحجارة والجبص ودون على الجهة اليسرى منه آيات قرآنية **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**

(1) الديوه جي. (1970م): إعلام الموصل، ص 135.

(2) الديوه جي. (1970م): إعلام الصنائع، ص 136.

وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم⁽¹⁾ وقد زال قسم كبير من الآية وزود المحراب بعمدان عليها عقود مدببة وأغلب الظن أن تاريخه يرجع إلى زمن بدر الدين لؤلؤ 637-644هـ/1239-1246م⁽²⁾ الملحق رقم (28) ص 212.

أما المحراب الثاني الشهير في مدينة سنجار فهو محراب كوكمت ويقع في الجنوب الشرقي من سنجار وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مرقد لليزيدية القريب منه وبني هذا المحراب من عدة قطع من حجر الكلس الأسمر أما باطن التجويف فقد شيد بالحجارة الكبيرة والجص وكسيت واجهته بطبقة سميكة من الجص وشكل المحراب مستطيل وارتفاعه الكلي 3,65م، وعرضه 3,15م وتعلو المحراب نصف قبة حفر بداخلها أشكال ومقرنصات وقد زين المحراب بزخارف نباتية وصور بشرية لأشخاص يرتدون العمام ويدهم أسلحة مختلفة مثل القوس والسهم والسيف وأوراق نخيلية وزهرة الربيع الموصلية ويرجع تاريخ هذا المحراب إلى القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري⁽³⁾ الملحق رقم (29) ص 213.

د - الرخام :

تنوعت أحجار الرخام في الجزيرة الفراتية، فمنها الأسود ومثال عليه السور الذي يحيط بمدينة آمد وقد كان مصنوع من الحجر الأسود الصلب وكل حجر منه يزن ما بين مئة وألف كيلو وأكثر وهذه الحجارة ملتصق بعضها ببعض بقوة من غير طين أو جص وذلك بسبب ضخامتها، وأيضاً انتشر في الجزيرة الرخام الأبيض الجميل فقد كانت مدينة ميفارقين محاطة بسور عظيم من الحجر الأبيض الذي يزن الحجر منه خمسمئة كيلو⁽⁴⁾، وقد وجد في الجزيرة الرخام الأزرق الذي كان يستخدم للتزيين.

(1) سورة البقرة (آية الكرسي)، الآية رقم: 255.

(2) شميساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 341.

(3) شميساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 244.

(4) خسرو. (1983م): سفر نامه، ص 41، ص 42.

وقد كان يستعمل الرخام في تشييد الجسور والدور والكنائس والأسوار، وقد كانت منطقة البلايق التي تقع بين تكريت والموصل وهي فجوات في الرمل كانت مليئة بالحجارة الرخامية⁽¹⁾، وقد وصفت هذه الأحجار بأنها صلبة مانعة، لا يخترقها الحديد ولا تسبب فيها ضرر النار، ولكن مع ذلك فقد صنعت البيوت منها ونحتت لتوضع مع الحديد والكلس، كما نقش وتوضع على الأرض في الكنائس وصنعت منها المياض التي يتوضأ منها الناس في المساجد⁽²⁾، ومثال على الرخام الأسود قلعة الموصل الملحق رقم (27) ص 211. ونظراً إلى توفر مادة الرخام بكثرة في إقليم الجزيرة الفراتية ولاسيما في الموصل صار مادة أساسية في البناء وشاع استخدامه أكثر من الخشب ومن الآجر؛ وذلك لسهولة قطعه وزخرفته لذلك فضله الحفاريون فغطوا به أعمدة منازلهم وجوامعهم ولاسيما عند أحواض الوضوء وأماكنه، ويعد شريط المدرسة النورية التي بناها نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود الأتابكي صاحب الموصل 586 - 607 هـ / 1193 - 1210 م من أندر الأمثلة عن الرخام المزين بزخارف هندسية، إذ طعمت الزخارف الرخامية البيضاء على الأرضية الزرقاء بأسلوب رائع يلفت الناظر إليها ولا يمكنه التفريق بينها وبين الأرضية التي وضعت عليها إلا باختلاف لون الرخام، وهذا الفن شبيه بطريقة الموزاييك الحديثة⁽³⁾ وكانت من أبرز البنايات المطعمة بالرخام الأبيض ويزين أسفل جدران الحضرة شريط من الرخام الأزرق، مطعم رخام أبيض، وبزخارف هندسية جميلة⁽⁴⁾، وقد ذكر ابن جبير أن جامع مدينة حران قد كان يحوي أربعة قباب تقوم على سوار من الرخام وفي وسط القبة عمود من الرخام عظيم جداً⁽⁵⁾، ومن أبرز الزخارف الرخامية شاهد القبر في مسجد الخلال في الموصل الملحق رقم (32) ص 216.

(1) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج1، ص 478؛ البغدادي. (1991م): مرصد الاطلاع، ج1، ص 216.

(2) محمد. (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 292.

(3) الحارثي. (2007م): الأوضاع الحضارية، ص 228.

(4) الديوه جي، سعيد. (د.ت): الزخارف الرخامية، مجلة سومر، مج20، ص 171.

(5) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 198.

تتوعد زخارف الرخام وقد أبدع الفنانون في النقش عليه وهناك آثار عديدة على إنتاجهم فكانوا يطبقون الرخام الأزرق بالرخام الأبيض أو ببعض الصدف ويكون ذلك إما بالكتابة بأحرف كبيرة، أو تكون على أشكال ألواح هندسية منتظمة، وزينوا به المحاريب والأبواب والأقواس والمداخل والجدران التي تحيط بأسفل الغرف، ومن أبرز الأمثلة على الرخام المطعم، محراب بنات الحسن في الموصل ، فإنه قطعة فنية خالدة وغاية في الدقة يدل على مدى ما وصلت إليه صناعة زخرفة الرخام في الموصل، وكان قبر الإمام علي الهادي في الموصل مطعمًا بالمرمر وعليه كتابات مختلفة وأفاريز عليها نقوش وأشكال هندسية مختلفة، وكانت معظم البيوت الأتابكية تحتوي على رخام مطعم بالصدف ورخام أبيض، فقد وجدت ألواح كثيرة مطبقة بالزخارف الهندسية وعليها كتابات ونقوش مختلفة، وأما الأبواب والشبابيك والمحاريب الرخامية فكانوا يزينونها بزخارف هندسية ونباتية وحيوانية وكتابات مختلفة وتكون هذه محفورة بصورة نافرة وغائرة ببعضها، والزخارف بعضها أكثر غورًا من التي تليها وهكذا حتى يصل الحفر إلى عمق 4 سم وأكثر فتؤلف هذه الزخارف المحفورة بعضها فوق بعض قطعة فنية جميلة، وكانوا يكتبون على الرخام بأحرف بارزة يحفرون ما حولها فتظهر الكلمات، وتكون إما مورقة أو خالية من التوريق، وكثيرًا ما كانوا يجعلون الكتابات حول الأبواب والأروقة والشبابيك، وكانوا يجعلون حول الأبواب الرخامية إطارًا كبيرًا مزخرفًا بزخارف هندسية دقيقة، وقد كان في جامع مدينة الموصل قبة داخلها سارية رخام قائمة وفي صحن الجامع قطعة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء ويرتفع في الهواء أعلى من القامة كأنه قضيب من البلور (1).

أما في الكنائس والأديرة فكانوا يضعون داخل الإطار صورة قديس كما في دير الجب في الموصل، ونجد في الزخارف الحجرية صور أسود وحيوانات بعضها مفترس كالجاموس والأفاعي والطواويس والحمام وحيوانات خرافية، وهي كثيرًا ما تكون فوق الأبواب كما هو موجود فوق باب الموصل في العمادية ، وكانوا يجعلون فوق الأبواب الكبيرة وفي بعض الكنائس صورة إنسان يطعن التتين بالرمح، وهي من الصور التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، كما وجد فوق بعض الأبواب الكبيرة صور أفاعي تحيط بالباب وينتهي رأسهما

(1) ابن جبير. (د.ت): رحلة ابن جبير، ص 189.

إلى إنسان متربع فوق أعلى الباب كما هو فوق باب الخان قرب سنجار، وقد حفرت الصور الرخامية حتى على أبواب بعض الأماكن الدينية للمسلمين كما هو موجود فوق باب حضرة الإمام الباهر في مدينة الموصل، إذ يحيط بالباب حيطان تتشابكان في أعلى الباب (1).

وكانوا يبنون الشخيمات (2) التي تكون للحمام وقد كانت تحفة من المرمر ناتئة تكون على شكل رأس كبش، ويسمون بها كبشاً حتى إذا ما أراد أحد أن يصعد إليها، علق حبلًا بالكبش وتسلق الحبل وصعد، وكانوا يتخذون من الرخام أحواضاً لشرب الحمام، وكانت هذه منتشرة كثيراً في الدور وكان الحوض قطعة مستطيلة من الرخام، ينقرون بها حوضين كل منهما على شكل نجمة كبيرة، وينحتون تحت كل نجمة في مقدم الحوض رأس كبش أو رأس بارز مفتوح الفم، ويسيل الماء من الحوض إلى هذا، ويخرج من فم الكبش والأسد (3).

ومن أبرز الأمثلة على النحت على الرخام الأسود حجر من الغرانيت مساحته 15×33 سم، كان على يمين الداخل إلى حضرة الإمام إبراهيم الذي قام بنحته عبد الرحمن الموصللي وهو من أبرز النحاتين الموصليين وقد تميز بزخرفة الرخام والكتابة عليه في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد.

ومن أبرز الأمثلة على الآثار المرمية المطعمة بالمرمر الأزرق:

محراب الجامع النوري الذي يظهر في الملحق رقم (30) ص 214 وتتوضح زخارفه الجميلة في الملحق (31) ص 215 وقد كان من أفخم المحاريب في القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد وقام بصنعه النحات سنقر البغدادي الذي كان من النحاتين الموصليين وهو قطعة فنية خالدة يتجلى فيها قمة الابداع في زخرفة الرخام، وكانت زخارف المحراب هندسية بارزة ومتشابكة مع بعضها وقد حفر سنقر ما حول الزخارف،

(1) الديوه جي. (1970م): اعلام الصنائع، ص 167.

(2) الشخيم: يكون في أعلى جانبي الرواق، يبات فيه الحمام، و لم تزل الشخيمات كثيرة في الدور القديمة، الديوه جي، سعيد. (د.ت): الزخارف الرخامية في الموصل، مجلة سومر، مج 20، ص 168.

(3) الديوه جي. (د.ت): الزخارف الرخامية، مجلة سومر، مج 20، ص 169.

وتفنن فجعل بعضها أكثر عمقاً من التي تليها وهكذا يستمر الحفر إلى عمق يقارب ست سنتمترات، فتؤلف هذه الزخارف المتعاقبة قطعة فنية رائعة وكتب سنقر اسمه على المحراب (عملت هذه القبة في جمادى الأولى في سنة 543هـ/ 1148م وصنعه سنقر البغدادي)، وهناك محراب في مسجد الصوفية في الموصل وكان المحراب مصنوعاً من المرمر الغامق وعليه زخارف نباتية وكتابات بارزة فيه، وأيضاً الباب الذي في دير الجب المبني بالرخام الأزرق الغامق ويزينه أفاريز تحف به من جانبيه وفي أعلى الباب، على جانبيه صورتان نافرتان، تمثل إحداها القديس بهنام وهو ممتطياً صهوة جواده، وبيده رمح ويقابلها صورة مار جرجس⁽¹⁾ ويظهر هذا المحراب في الملحق رقم (24) ص 208.

وكان هنالك عدة عمال يعملون في صناعة الرخام وهم:

- شقاق الفرش: وهو الذي يتولى شق القطع الكبيرة إلى قطع مختلفة الأحجام، وفق الحاجة إليها، يشق القطعة الواحدة عاملان بوساطة منشار كبير، وهذه المهنة من الصناعات القديمة في الموصل ، وجدت في تاريخ الموصل للأزدي، عند كلامه عن حمام إسماعيل العباسي الذي كان في سوق الطعام وقال أنه حمام شقاقين الفرش⁽²⁾.
- النقار: وهو الذي يتولى نقر الرخام وصقله، وفق الحاجة إليه، ينقره بشوكة حديدية حادة الرأس، وقدم عريض قاطع، وينقر الرخام بعد نقله إلى المحل الذي سيوضع فيه للمحافظة على ما ينقش فيه، ويتعاون النقار والبناء في تجهيز القطع التي تبنى .
- النقاش: وهو الذي ينقش الزخارف والكتابات، وقد يكون هذا النقاش عادةً لا يعرف القراءة والكتابة، فهو ينقش ما يقدم إليه من زخارف.
- الحفار: وهو الذي يحفر الزخارف والكتابات المختلفة على الرخام، وقد يكون النقاش عادةً هو الحفار.

(1) الديوه جي.(1970م): أعلام الصنائع، ص 164.

(2) ابن الازدي.(2006م): تاريخ الموصل، ج 1، 403 .

- المطعم: وهو الذي يتولى تطعيم ما حفر له من زخارف وكتابات برخام أبيض يختلف عن لون القطعة المطعمة، وقد يقوم بالنقش والحفر والتطعيم شخص واحد ماهر بعمله .

- المركب: ويسمونه مركب الفرش وهو يتولى تركيب القطع الرخامية في المحلات المعدة لها، ويعاونه البناء في هذا، وتتوقف دقة تركيب الرخام على مهارة النقار في عمله، وإتقانه صقل القطع المتصلة مع بعضها، بحيث لا يكون بينها أية فواصل، الذي يشرف على دقة النقر والصقل ويتعاون مع البناء هو صاحب المقطع ويسمونه في الغالب نقار⁽¹⁾.

ومن طرائقهم التي اتبعوها في تركيب الرخام هي طريقة التعشيق أي إنهم يجعلون القطع المترابطة مع بعضها مسننة، تتداخل مع بعضها، وتركب في البناء، وتظهر كأنها قطعة واحدة، نجد هذا في مداخل الأبواب وأقواس الأروقة في دير الجب ومقام الإمام الباهر في الموصل⁽²⁾.

وهكذا من تتبع صناعة مواد البناء أن البنائين في الجزيرة قد استخدموا أنواع مختلفة من الحجارة في البناء وقد دُمجت أصناف مختلفة من الرخام مع بعضها وذلك بهدف إضفاء جمالية للبناء وأيضاً قد تنوع استخدام الحجارة وضخامة البناء وفق الطبقة الاجتماعية المألقة للبناء، وكذلك تعددت وتخصصت مجالات العمل في البناء فكان كلٌّ من العمال مختصاً بقسم معين، وقد تنوعت الزخارف الجصية والرخامية وكانت على أشكال متعددة منها النباتية والحيوانية والهندسية والكتابات التي شملت الآيات القرآنية أو اسم الصانع وتاريخ البناء أو اسم الأمير أو الخليفة ومن هذه الزخارف ما كان بارزاً ونافراً أو محفوراً في البناء ومن الدلائل على هذا الفن المعماري المباني التي لازالت خالدة، والمحاريب المنتشرة في الموصل.

10- صناعة العطور :

انتشرت في الجزيرة الفراتية صناعة العطور، وذلك بسبب وجود أنواع مختلفة من الورود في مدنها إذ

(1) الديوه جي.(1970م): أعلام الصنائع، ص 164.

(2) الديوه جي.(1970م): أعلام الصنائع، ص 125، 126.

اشتهرت مدينة نصيبين بماء الورد الذي لا نظير له في العطاراة والطيب⁽¹⁾، وقد انتشرت في الموصل مادة اللادن التي تأتي من نبتة اللادن ذات الزهور الوردية والبيضاء التي تستخدم في التبخير وتعطير الأشياء وإزالة الرائحة الكريهة⁽²⁾، وقد صنعت العطور من أنواع الورود ومنها الخلق وهو نوع من الطيب يعمل من ورد الزعفران وتغلب عليه الحمرة والصفرة⁽³⁾، وقد ذكر الحموي أنه كان يجلب من أعمال دارا الواقعة بين نصيبين وماردين نبتة المحلب الذي كانت تتطيب به الأعراب⁽⁴⁾.

- طريقة الصناعة:

كانت تُصنع العطور بعملية التقطير وكانت تتم بوضع أواني الورد المراد تقطيرها في إناء التقطير الذي يشبه القرعة التي توضع في فرن ويحرق تحتها الوقود المعتدل الذي لا دخان له، وتبدأ عملية التقطير بجمع ماء الورد في أواني متصلة، وبهذه الطريقة تُنتج أنواع متعددة من ماء الورد مثل ماء الورد الجوري ذي الرائحة الزكية، وكان هناك نوع من ماء الورد من الزهور والورود المختلفة وتتم بحشو إناء العطور بزهر النيلوفر وزهر النارج وكانت تتم عملية التقطير بدون إضافة الماء أبداً عن طريق التقطير البخاري الذي يتم عن طريق إمرار بخار الماء على أوراق الورود المراد تقطيرها فيقوم بخار الماء بسحب العطور من أوراق الورود مع البخار وتقطر مع مرور البخار عبر الإناء الذي يحوي ماءً بارداً فتتم عملية التقطير⁽⁵⁾.

وقد كان في الجزيرة سوق العطر الذي يحتوي على حوانيت العطور والبخور واللادن والمحلب⁽⁶⁾.

(1) ابن بطوطة. (د.ت): رحلة ابن بطوطة، ص 84 .

(2) الخطيب البغدادي. (2002م): تاريخ بغداد، ج 15، ص 191.

(3) محمد. (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 296.

(4) الحموي. (1995م): معجم البلدان، ج 2، ص 418 .

(5) احمد، عبد الجبار حامد. (2013م): صناعة العطور في العصر العباسي، مجلة التربية والعلم، المجلد 19، العراق، العدد 3، ص 10 .

(6) محمد. (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 324 .

11- صناعة الأسلحة :

انتشرت صناعة الأسلحة في الجزيرة الفراتية، بسبب موقعها الاستراتيجي، وكثرة الحروب والنزاعات عليها ولاسيما من جهة بلاد الروم وهذا دفع الدول التي قامت على أرضها بالتوسع في هذه الصناعة ومحاولة تطويرها من أجل استمرار فعاليتها وزيادة جودتها والاعتماد عليها بوصفها مصدر رزق وذلك بسبب توافر المعادن فيها التي تصنع منها، وانتشار الأخشاب بكثرة على أراضيها والصيد الذي كان هواية الكثير من الأمراء والحكام ولم يكن يخلو منزل من سيف عربي أصيل أو خنجر أو ترس للدفاع عن النفس وفي الحروب والمبارزة في الاحتفالات.

وسوف تُذكر أبرز هذه الأسلحة وفق أهميتها:

أ - السيوف:

كانت من أكثر الصناعات انتشاراً، لأن السيف هو السلاح الرئيس في المعارك والمبارزات وكان هنالك العديد من النماذج للسيوف العباسية في الجزيرة مصورة على القطع الأثرية ومن أبرزها النقوش على شمعدان من النحاس الأصفر المكفت بالفضة من صناعة محمد بن فتوح الموصل ي يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي زين بدن الشمعدان العديد من الأشرطة نقش عليها مجموعة من الدوائر، ويظهر في إحدى هذه الدوائر صورة لأمير أو قائد عسكري يجلس القرفصاء، ويحتضن سيفاً مستقيم النصل⁽¹⁾.

ب - النشاب والقوس:

كان لصناعاتها رواج كبير في الجزيرة إذ ذكر المقدسي أنه تنتشر في الجزيرة صناعة النشاب⁽²⁾، فقد

(1) العبيدي.(1970): التحف المعدنية، ص101.

(2) النشاب : مفرداها : نشابة – والجمع : نشايب : وهو السهم والنبيل – والنشاب : هو صانعه ، عمارة.(1993م): قاموس المصطلحات، ص 591 .

اشتهرت مدينة تكريت بصناعة النشاب، وذكر الرحالة ابن بطوطة أنه قام بشراء حمل ثلاثين فرساً وجمالاً من النشاب من تاجر من تكريت (1)، وانتشرت أيضاً صناعة الأسهم التي تستخدم في الصيد في الجزيرة الفراتية كما يظهر في رسم على إبريق أحمد الذكي النقاش الموصلية إذ يظهر صيادان راكعان على جانبي شجرة يصوبان سهميهما نحو طائرين واقفين على شجرة (2)، وقد كان القوس يتألف من ثلاثة أجزاء وهي القوس، والسهم والوتر، والقوس هو عود من شجر لين جداً وقد كان يحني طرفاه كالهمال ويثبت فيها وتر ترمى به السهام وكان يتخذ القوس من شجر التين، وأما الوتر الذي يصل بين طرفي القوس فهو يصنع من الخيوط المفتولة أو من عصب عنق البعير، ويسمى عقب القوس (3).

ج - الرماح:

وقد صنعت الرماح في عهد الأتابكة إذ ذكر أن عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل أهدى صلاح الدين الأيوبي " من النفط الأبيض والرماح والتراس أحمالاً من كل جنس، أحكمه وأقومه وأجوده، وصل السلاح استجيدت التراس والرماح " (4) .

د - التروس:

وكانت التروس التي استخدموها ذات أشكال وأحجام مختلفة تبعاً للغرض الذي استخدمت من أجله، فمنها الترس المستدير الشكل وهو منحنى الأطراف من جهة حامله، وله قمة بارزة إلى الخارج تسهل انزلاق الرمح منه، ومن التروس نوع مستطيل الشكل وكان يستخدم لصد السهام ويحمله الفرسان بالدرجة الأولى، لأن حجمه يكفي لحماية وجه المقاتل وصدرة، وقد عرف الترس المنحني الشكل إلى الخارج الأمر الذي يجعله

(1) ابن بطوطة. (د.ت): رحلة ابن بطوطة، ج3، ص 75.

(2) العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 44.

(3) حميد، عبد العزيز وآخرون. (1982م): الفنون الزخرفية، ص 177.

(4) الاصفهاني. (د.ت): الفتح القسي، ص 188.

صالحاً لصد ضربات السيف والسهم والحجارة ، ولكنه لا يصلح لصد طعنات الرمح بل بالعكس فهو يثبت الرمح فيه ⁽¹⁾، ومن أبرز الأمثلة على التروس في الجزيرة الفراتية النقش الذي ظهر على طست أحمد الذكي النقاش الموصلية إذ رسم عليه صورة تمثل شخصين يبارزان أحدهما الآخر وقد حمل كل منهما سيفاً وفي يساره ترساً وهما يتبارزان ⁽²⁾، وقد تفنن صناع الأسلحة في صنع التروس ونقشوا عليها الآيات القرآنية والحكم والأمثال وأبيات الشعر ⁽³⁾.

وكانت الجواشن ⁽⁴⁾ تصنع على شكل ألواح صغار من الحديد في الأفران، وأومن الجلد وتلبس حول الجزء الأوسط من جسم المحارب فوق الثياب، وكان بعضها من النوع المتين الذي لا تعمل فيه السيوف ولا النشاب.

د - آلات الحصار:

انتشرت في الجزيرة بكثرة ومن أبرز هذه الآلات المنجنيق ⁽⁵⁾ الذي انتشرت صناعته في مدينة آمد التي وجد فيها صلاح الدين عند فتحها في سنة 579هـ / 1183م المنجنيقات وآلات الحصار وبرجاً كاملاً مملوئاً بنصول النشاب ⁽⁶⁾.

وقد كانت مدينة حران أيضاً تشتهر بصناعة المنجنيقات، إذ برز فيها يعقوب بن صابر الحراني المنجنيقي، الذي كان من أشهر صناع المنجنيقات ⁽⁷⁾، كانت هذه المنجنيقات تتكون من الخشب وهي على

(1) حميد، عبد العزيز وآخرون. (1982م): الفنون الزخرفية، ص 193.

(2) العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 117.

(3) حميد، عبد العزيز وآخرون. (1982م): الفنون الزخرفية، ص 192.

(4) الجوشن : الدرع، الصدر، جمعها جواشن، مجموعة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 147.

(5) مجانيق: مفردها منجنيق: آلة قديمة من آلات الحصار كانت ترمى بها الحجارة الثقيلة على الأسوار فتهدمها، مجموعة من المؤلفين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 855 .

(6) أبو شامة. (1997م): عيون الروضتين، ج3، ص 146.

(7) محمد. (1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 283.

شكل آلة تتكون من دفتين قائمتين بينهما سهم كبير وطويل، رأسه ثقيل ومن الخلف خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر، ويجذب حتى يرفع أسفله إلى الأعلى ثم يرسل إلى الأمام فيرتفع مع جانبه الخلفي الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه إلى مسافات بعيدة، ولم يقتصر المنجنيق على رمي الحجارة، بل تعددت استعمالاته فمنه ما هو لرمي النشاب ومنه ما هو لرمي القذائف النارية والعقارب وغيرها (1).

اشتهرت الموصل أيضاً بصنع آلات الحصار فذكر أنه في نهاية العصر العباسي أرسل هولاكو رسولاً إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه آلات حصار ومنجنقات (2).

ومن أبرز آلات الحصار:

الدبابة: وهي آلة كبيرة على شكل برج متحرك تتخذ من الخشب القوي وتغلف جوانبها بالجلود المشبعة بالخل لمنع احتراقها بالنار وتركب على عجل مستدير وتحمل الدبابة بداخلها مجموعة من المقاتلين الذين يندفعون إلى الأسوار ليفتحوا فيها ثغرة وفي الوقت نفسه يقومون برمي الأعداء بالأسلحة والمواد المختلفة كالحجارة وكرات النار الحارقة والنبال.

العرادة: وهي نوع صغير من المنجنقات تلقي الحجارة والسهم إلى مسافات بعيدة جداً، كما ترمي النفط المشتعل باتجاه الأعداء (3) وقد وجدت أيضاً في مدينة آمد عندما فتحها صلاح الدين (4).

هـ - أسلحة مختلفة:

وهي لم تكن بشهرة الأسلحة التي ذكرت ولكن كان لها وجود كبير في الجزيرة ومن أبرزها:

(1) حميد، عبد العزيز وآخرون. (1982م): الفنون الزخرفية، ص 181.

(2) ابن الطقطقي، محمد بن طباطبا العلوي ت. 709هـ/1309م. (1960م): الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ص 47 ؛ الصلابي، علي محمد. (2009م): المغول بين الانتشار والانتكسار، مطبعة الأندلس الجديدة، ط1، مصر، ص 49.

(3) حميد، عبد العزيز وآخرون. (1982م): الفنون الزخرفية، ص 183.

(4) أبو شامة. (1997م): عيون الروضتين، ج3، ص 146.

1- أنبوبة النفخ⁽¹⁾:

وقد كان لهذه الآلة أهمية كبيرة في الجزيرة ومن الآثار على وجودها رسم على أبريق أحمد الزكي النقاش في سنة 620هـ / 1223 م إذ يظهر عليه شخص وهو يصطاد طائراً بأنبوبة النفخ⁽²⁾، ويسمى أيضاً رمي البندق وكان من أهم ممارسات نظام الفتوة أي الفروسية وممن مارس هذه الرياضة الأمير ركن الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ت. 660هـ / 1261م⁽³⁾.

2- الخناجر:

وقد انتشرت هذه الصناعة في الجزيرة وكان الخنجر سلاحاً إضافياً يستخدمه المحارب ويضعه تحت حزامه وقد ذكر المقدسي أن هذه الصناعة كانت منتشرة في الجزيرة⁽⁴⁾.

وقد وجد في الجزيرة سوق النشابين نسبة إلى النشاب وتباع فيه أنواع الأسلحة المختلفة فضلاً عن النشاب مثل السكاكين والتروس والجواشن والرماح والمديات⁽⁵⁾، وكانت تصنع فيها أيضاً أنواع السيوف والخناجر⁽⁶⁾.

ويتضح من تتبع هذه الصناعة مدى اهتمام الدول التي قامت في الجزيرة في تطوير صناعة الأسلحة والحفاظ على تنوعها وذلك لحماية أنفسهم ولأسيما بسبب قرب الجزيرة من الروم وموقعها الاستراتيجي على

(1) أنبوبة النفخ : هي آلة صامطة تستعمل لصيد الطيور الصغير وتسمى أيضاً الزبطانة و هي آلة من خشب مستطيلة كالرمح مجوفة من الداخل يجعل الصائد بندقية من طين صغيرة في فمه، وينفخ بها فيها فنخرج منها بحدّة فتصيب الطير فترميّه، وهي كثيرة الإصابة ، الفلقشندي(1919م): صبح الاعشى، ج2، 132.

(2) العبيدي(1970م): التحف المعدنية، ص 44.

(3) الحارثي(2007م): الأوضاع الحضارية، ص 504.

(4) المقدسي(1991م): إحسن التقاسيم، ص 145 .

(5) المُذَيّة : يضم الميم وسكون الدال وفتح الياء، وهي السكين، عمارة(1993م): قاموس المصطلحات، ص 524.

(6) محمد(1989م): الأحوال الاجتماعية، ص 324.

طرق القوافل التجارية واعتمادها على هذه الصناعة بوصفها موردًا تجاريًا تصدره للدول الأخرى فقد تقنن الصناع بصناعة أجود الأسلحة لكي يزيد الطلب عليها .

12 - صناعة الآلات الموسيقية :

انتشرت صناعة الآلات الموسيقية في الجزيرة الفراتية؛ لتوافر الأخشاب التي تصنع منها وأيضاً لكثرة الموسيقيين فيها والاحتفالات ومجالس الغناء العديدة التي كانت تقام فيها، وستذكر هذه الآلات وفق أنواعها وأهمها:

أ - الآلات الإيقاعية:

من أبرز هذه الآلات كانت الطبول والبوقات التي كانت تقرر في الاحتفالات في أثناء الحرب وفي أثناء الذهاب للحج، وكانت هذه الآلات تصنع محلياً في الموصل، وهناك عوائل تهتم بصناعتها وقد توارث أبناؤها المهنة بعضهم عن بعض، فقد قاموا بصناعة الطبول والنقارات⁽¹⁾، وذكرها الذهبي عند وصفه للموصل⁽²⁾ وكان هنالك مكان خاص لصناعة الطبول يسمى محلة الطبالين ويقع في شمالي الجامع النوري في الموصل وكان الغلمان يحملون الطبول ويستخدمونها للكشف عن الطيور التي لا يرونها⁽³⁾، كما في رحلات الصيد الذي كان يقوم بها عماد الدين زنكي 521 - 541هـ / 1127 - 1146م في نصيبين وسنجار فقد كان الغلمان يقرعون الطبول بشدة، لتسمع الطيور صوتها فتخاف منها وتطير هاربة، فاذا شاهدها المدربون أرسلوا طيورهم لتصيدها⁽⁴⁾، وأبرز الأمثلة على هذه الصناعة طبل يعود إلى أوائل القرن السابع الهجري / الثالث

(1) النقارات: ومفردها نقارة وهي الطبلية المخروطية الصغيرة وقد كانت تصنع مفردة أو مزدوجة وكان لها في الموصل محلة بأكملها يقوم أهلها بصناعتها وهي محلة الطبالين، نخبة من المؤلفين.(د.ت): موسوعة الموصل، ج3، ص 254.

(2) الذهبي.(1993م): تاريخ الإسلام، ج37، ص 46.

(3) ابن منقذ.(د.ت): الاعتبار، ص 192.

(4) السبعوي.(2003م): مدينة نصيبين، ص 113.

عشر ميلادي، مصنوع من برونز مصبوب ومنقوش، ارتفاعه 65 سم، القطر عند الفوهة 49 سم، وقد صنع في ديار بكر ⁽¹⁾ الملحق رقم (44) ص 228.

ومن الآلات الموسيقية الإيقاعية التي كانت معروفة في الجزيرة الفراتية أيضاً الدف وهو الذي يضرب به الرجال وأيضاً النساء ويصنع الدف من غشاء معدة الشاة ويكون مشدوداً على الإطار أو الصندوق الصوتي، وكانت الدفوف على أنواع منها الدائري والمربع الكبير والصغير، ومثال عليها رسم على إبريق معدني وهو إبريق شجاع بن منعة الموصلية ويظهر عليه شخص يضرب على دف مستدير الشكل، وبجانبه الراقصين والعازفين ⁽²⁾.

فضلاً عن أن المغني زلزل الضارب على آلة الصنج ⁽³⁾ الذي كان من أشهر المطربين أيام الرشيد وكان يقيم العديد من الحفلات في قصر الرشيد في الرقة قد قام بصناعة العידان (الشبابيط) ⁽⁴⁾ التي كان يضرب بها على آلة الصنج وكانت قديماً تسمى عیدان الفرس فكانت عجيبة جداً ⁽⁵⁾.

ب - الآلات الوترية:

أبرز الآلات الوترية التي انتشرت في الجزيرة الفراتية:

- آلة العود:

يتكون العود من صندوق صوتي مصنوع من الخشب كأنه نصف كمثرى وله أوتار مثبتة برأسي

(1) فئة من المختصين. (2019م): سورية الحضارة، المؤسسة العامة للطباعة، دمشق، ص 112.

(2) القيسي. (2009م): الفنون الزخرفية، ص 138.

(3) الصنج : صفيحة مدورة من صفر يضرب بها على أخرى، وهي صفائح صفر صغيرة مستديرة الشكل تثبت في أطراف الدف أو أصابع الراقصة يدق بها عند الطرب وجمعها صنوج ، فئة من المختصين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 525.

(4) الشبابيط : مفرداها شبوط وهو نوع من السمك يكثر في نهر دجلة، عريض الوسط دقيق الذنب، ناعم الملمس، وقد كانت هذه العیدان تشبه هذا السمك لذلك سميت بهذا الاسم وكانت تدعى أيضاً المزاهر، فئة من المختصين. (2008م): المعجم الوسيط، ص 470.

(5) الحسون، مصطفى. (1981م): الرقة وأيام العروس، مجلة الحوليات الأثرية، المديرية العامة للآثار، مج 31، ص 15.

العود، وأبرز الأمثلة عليه مشاهد يظهر فيها العود على إبريق أحمد الذكي 620هـ / 1223م، وأيضاً ظهر رسم شخص يعزف على آلة العود في رسومات إبريق شجاع الموصل⁽¹⁾، ولا تزال صناعة العود منتشرة حتى الآن في الموصل بكثرة وهناك عوائل تشتهر بهذه الصناعة.

- القيثارة:

وهي من أقدم الآلات الوترية التي انتشرت في بلاد الرافدين وتتألف من 11 وترًا مربوطة إلى أعلى بمسامير وتظهر القيثارة على شمعدان ابن فتوح الموصل⁽²⁾.

- الجنك:

يتألف من صندوق صوتي ورقبة تخرج منه أوتار وهو من الآلات العراقية القديمة، وقد ظهر الجنك في رسوم بعض التحف المعدنية منها إبريق أحمد الذكي الموصل 620هـ / 1223م، ويظهر أيضاً في رسوم إبريق نحاسي من صناعة شجاع بن منعة الموصل⁽³⁾.

ج - الآلات النفخية:

من أبرز الآلات النفخية التي انتشرت في الجزيرة الفراتية:

- المزمار:

وقد ظهر في رسومات إبريق شجاع الموصل⁽⁴⁾ إذ نقش عليه رسم راجٍ يجلس أمام شجرة ينفخ في المزمار وهذا دليل على انتشار هذه الآلة في الجزيرة⁽⁴⁾.

(1) العبيدي.(1970م): التحف المعدنية، ص 44 .

(2) العبيدي.(1970م): التحف المعدنية، ص 99 .

(3) القيسي.(2009م): الفنون الزخرفية، ص 137 .

(4) العبيدي.(1970م): التحف المعدنية، ص 44 .

- آلة الناي:

وقد ظهرت أيضاً على رسومات إبريق شجاع بن منعة الموصلية إذ كان على نقوش الإبريق شخص يعزف على الناي ⁽¹⁾ وهو دليل على انتشارها في الجزيرة.

ويظهر انتشار هذه الصناعة في الجزيرة مدى اهتمام الناس بالفنون المختلفة وبالموسيقى فقد طوروا العديد من الآلات الموسيقية وأضافوا عليها لمستهم وأعطوها تسميات جديدة وأصبح لها أسواق خاصة ومحلات والفضل بذلك يعود لتشجيع الأمراء والخلفاء لهذه الفنون وتقريب الموسيقيين منهم ومنحهم الهدايا والعطايا والاحتفالات العديدة التي كانوا يقيمونها وأيضاً هذه الصناعة دليل آخر على الاستقرار والرخاء في الجزيرة الفراتية بشكل عام.

ومن تتبع أوضاع الصناعات العديدة في الجزيرة الفراتية يظهر أن الصناع في الجزيرة أقاموا صناعات جديدة خاصة بهم ولم يكتفوا بأخذ بعض الصناعات من المناطق المجاورة بل قاموا بتطويرها أيضاً وأضافوا عليها الكثير من التحسينات حتى أصبحت تنسب إليهم وهذا دليل واضح على أن بلاد الجزيرة قد قدمت إرثاً حضارياً كبيراً ولاسيما الرقة وحران إذ لم تكن تعتمد فقط على الزراعة والصناعات البدائية الشعبية كما يشاع عنها بل إنها كان لها السبق في العديد من الصناعات التي تشهد عليها اللقى الأثرية الكثيرة في هذه المنطقة، وقد تنوعت هذه الصناعات حتى شملت معظم صناعات العصر الوسيط ومن أميزها كان صناعة الآلات الفلكية والدمى المتحركة التي أثبتت عبقرية الصناع العرب والسبق العلمي على الحضارات الأخرى جميعها.

(1) القيسي. (2009م): الفنون الزخرفية، ص138.

الخاتمة

يظهر بالبحث والدراسة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية وعن الصناعات في الجزيرة الفراتية في

العصر العباسي عدة نتائج ويمكن إجمالها بالآتي:

- قامت العديد من الدول على أرض الجزيرة وطورت كل منها حضارة خاصة بها صبغت بها تتميز به كل دولة منها، واستقلت إدارياً عن الدولة العباسية وأصبحت تحكمها بمفردها، وتعين الحكام والولاة بنفسها وهذا أسهم في اعتمادها على نفسها، وقيامها بتكوين كيان اقتصادي وسياسي لها متميز تأثر بسمات كل مرحلة من مراحل العصر العباسي الذي زاد على الخمسة قرون، فقد تأثر الاقتصاد كثيراً بالأوضاع السياسية بسبب النزاعات المستمرة على امتلاك المدن والأراضي بين الحكام والنواب والولاة ولذلك كان يمر الاقتصاد في مراحل انتعاش أو جمود وذلك بسبب الوضع الراهن للدولة ومع ذلك فقد كان هنالك تطور وتنوع في العديد من الصناعات وتنافس بين المدن للتميز بأجود الصناعات.

- كانت الصناعات النسيجية والصباغة في الجزيرة متقدمة تقدماً كبيراً فقد شملت أنواع الأنسجة الصوفية والقطنية والكتانية والوبر والشعر جميعها وقد صنعت فيها السروج والخيام وكافة أنواع الألبسة، التي لاقت شهرة عالمية في ذلك العصر ولاسيما نسيج الموسلين وأيضاً أسهم بتطور هذه الصناعة تنوع الحضارات التي قامت على أرض الجزيرة وكل دولة كان لها ألبسة خاصة بها وتراث مختلف عن الأخرى وهذا أسهم في اختلاف الألبسة وتعددتها وقد تركت كل منها بصمة مميزة على هذه الصناعة.

- حظيت الصناعات الغذائية باهتمام كبير إذ لم يقتصر الإنتاج على تأمين حاجة السكان من هذه الصناعات بل تعداه إلى تصديرها إلى البلدان المجاورة ويلحظ تميز وانفراد بعض البلدان في الجزيرة في إنتاج بعض الصناعات ومنها ما كان يتمتع بجودة كبيرة ولاسيما صناعة زيت الزيتون، وقد برهنت بعض هذه الصناعات على ذكاء الإنسان العربي المسلم بتسخير قوة المياه الجارية في تشغيل الرحى والعروب لطحن الحبوب.

- تعددت الصناعات الاستخراجية في الجزيرة الفراتية فلم يأخذ السكان وضع المتفرج على معادن الجزيرة الثمينة، بل تعمقوا في معرفة خصائصها ودراساتها وقاموا بتطويعها واستخدامها في الصناعات المختلفة منها الدوائية وعلاج الأمراض المختلفة بحنكة وعبقرية وأيضاً قاموا بصناعة الآلات والنقود في العصور المختلفة.
- تقدمت الجزيرة كثيراً في صناعة الحديد، وتطورت الصناعات الحديدية وتنوعت فيها وامتلك صناعها الخبرة وتميز انتاجهم بالجودة والإتقان ولاسيما في صهر هذا المعدن والاستفادة منه وتسخيره بما يخدم حياة السكان وإبداع مصنوعات متميزة قد شهدت المخلفات الأثرية على أهميتها وعظمتها.
- ويتضح من تتبع الصناعات النحاسية في الجزيرة الفراتية إلى أي مدى من التطور وصل سكان الجزيرة في العصر العباسي من تطور في مراحل هذه الصناعة كافة من الدق والنقش على الأواني بعبارات جميلة وآيات قرآنية ووضع اسم صانعها عليها والزخرفات النباتية والحيوانية المذهبة وتلميع هذه المصنوعات بحرفية وإبداع فاق الوصف لدرجة ذهول المؤرخين والرحالة بهذه المصنوعات ووصفها بأجمل العبارات فصنع الحرفيون التحف من النحاس، وزينوا بها منازلهم وقصور الملوك والأمراء.
- ومن تتبع الصناعات الزجاجية ولاسيما في الجزيرة والرقعة، يظهر مدى الإبداع الكبير فيها وساعد على ذلك انتشار الجبال الممتلئة بمعدن الزجاج ونتيجة لتوافر المواد الأولية لهذه الصناعة بكثرة فقد تفنن الصناع في الجزيرة بتزيينها بالذهب والأحجار الكريمة وكانوا يطلونها بطبقة من المينا متعدد الألوان، وقد كانت الجزيرة من المناطق السباقة في هذه الصناعة في البلاد العربية ووصلت شهرتها إلى البلدان كافة وكانت تتباهى في هذه الصناعة وذلك نظراً إلى مهارة الصناع، وجودة معدن الزجاج وصفاقوته.
- ويلحظ في أثناء الدراسة أيضاً تميز الجزيرة بصناعة التحف المعدنية وأنها كانت من أهم الصناعات وأكثرها انتشاراً وتقدماً فقد كان في الموصل مدرسة خاصة بتعليم هذه الصناعة ووصلت شهرتها إلى أرجاء المعمورة كافة ويمكن للمرء القول إنها كانت من أشهر البلدان بالصناعات المعدنية في ذلك العصر، وتظهر هذه الصناعات مدى الخبرة الكبيرة والفن والصبر الذي يتمتع به الصناع في الجزيرة وقد أسهمت هذه

الصناعات بنقوشها بالتعريف بطبيعة الحياة في الجزيرة وأنواع الألبسة والآلات الموسيقية والأسلحة وكانت من أهم المصادر الأولية للتاريخ، وأيضاً تظهر هذه الصناعات سبق العلمي العربي في العديد من المجالات منها الفلكية بمعرفة العديد من الظواهر الفلكية قبل أن تعرفها الحضارات الأخرى جميعها وأيضاً سبق في معرفة صناعة الآلات والدمى المتحركة بشكلها الأولي.

- الانتشار الواسع لصناعة الفخار في الجزيرة ولاسيما بالرقعة وذلك من تتبع التنقيبات الأثرية المختلفة وقد ساعد على انتشار صناعته توفر التربة الملائمة لهذه الصناعة واعتماد الناس الكبير عليه في حياتهم وتصديره إلى المناطق المجاورة بكثرة بسبب شهرة هذا الفخار وجودته.

- تبين اشتهاار الجزيرة في صناعة الخزف أيضاً وتنوع أشكاله ومنها القدور والأواني والقباب والمشكاوات التي زخرفت بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية وآيات قرآنية وأبرز ما أخذ شهرة وانتشاراً في الجزيرة هو الخزف ذو البريق المعدني الذي أصبح ينسب لأرض الجزيرة بسبب كثرة تصنيعه وأيضاً قد كانت أرض الجزيرة ولاسيما الرقعة من أوائل المناطق التي انتشر فيها فن الأرابيسك الذي كان من أبداع الفنون في صناعة الخزف وأكثرها جمالية.

- معرفة الجزيرة بعلم صناعة الأدوية ويرجع ذلك لغناها بالعديد من الأطباء الماهرين الذين أبدعوا في اكتشاف العديد من الأمراض، ووصفوا أسبابها، وطرائق الوقاية منها وابتكروا أدوية لمعالجتها فقد استفادوا من الطبيعة من حولهم، ودرسوا وصنفوا الأعشاب وفائدة كل منها لجسم الإنسان وذكروا أهمية المياه الحارة الكبريتية للإنسان ومعالجتها للعديد من الأمراض، وصنفوا العديد من كتب الأدوية التي طورت من علم الطب في الجزيرة وفي البلاد العربية جميعها.

- وقد عرف المزارعون في الجزيرة فنون الزراعة المختلفة، وقد طوروا منها وأضافوا عليها الكثير ووصل بهم الأمر لاكتشاف خصائصها ومعرفة صناعة أنواع الأسمدة الطبيعية المختلفة التي زادت من جودة المزروعات.

- ويتضح من تتبع صناعة الورق ونسخ الكتب في الجزيرة كثرة عدد الصانع الذين مارسوا هذه المهنة وكان لهم الفضل الكبير في الحفاظ على الكتب للأجيال القادمة والمساهمة في نشر المعرفة والاطلاع على الحضارات المختلفة.

- اشتهار الجزيرة بالصناعات الجلدية، وتنوع استخداماتها من حقائب أو قرب لوضع الماء بها أو أمور مختلفة أو أحذية ومن أبرز هذه الصناعات تجليد الكتب إذ أسهم الصانع في الجزيرة بتطوير هذه المهنة بإضافة بعض العناصر الفنية والزخرفات التي لم تكن قد كانت معروفة من قبل.

- تطور صناعة مواد البناء في الجزيرة إذ قام البناؤون في الجزيرة باستخدام أنواع مختلفة من الحجارة في البناء، ودمجت أصناف مختلفة من الرخام فيما بينها وذلك بهدف إضفاء جمالية للبناء، وأيضاً تعددت وتخصصت مجالات العمل في البناء فكان كل من العمال مختصاً بقسم معين، وتنوعت الزخارف الجصية والرخامية وكانت على أشكال متعددة منها النباتية والحيوانية والهندسية والكتابات التي شملت الآيات القرآنية أو اسم الصانع وتاريخ البناء أو اسم الأمير أو الخليفة ومن هذه الزخارف ما كان بارزاً وناظراً أو محفوراً في البناء ومن الدلائل على هذا الفن المعماري المباني التي لازالت خالدة والمحاريب المنتشرة في الموصل.

- التقدم الكبير في صناعة الأسلحة في الجزيرة فقد اهتمت الدول التي قامت في الجزيرة في تطوير صناعة الأسلحة وذلك بسبب وموقعها الاستراتيجي على طرق القوافل التجارية واعتمادها على هذه الصناعة بوصفها مورداً تجارياً تصدره للدول الأخرى فقد تفنن الصانع بصناعة أجود الأسلحة لكي يزيد الطلب عليها فورد أكثر من دليل على شراء الدول المجاورة للجزيرة الأسلحة منها.

- انتشار صناعة الآلات الموسيقية في الجزيرة وكانت دليل على مدى اهتمام الناس بالفنون المختلفة وبالموسيقى فقد طوروا العديد من الآلات الموسيقية، وأضافوا عليها لمستهم، وأعطوها تسميات جديدة وأصبح لها أسواق خاصة ومحلات والفضل بذلك يعود لتشجيع الأمراء والخلفاء لهذه الفنون، وتقريب

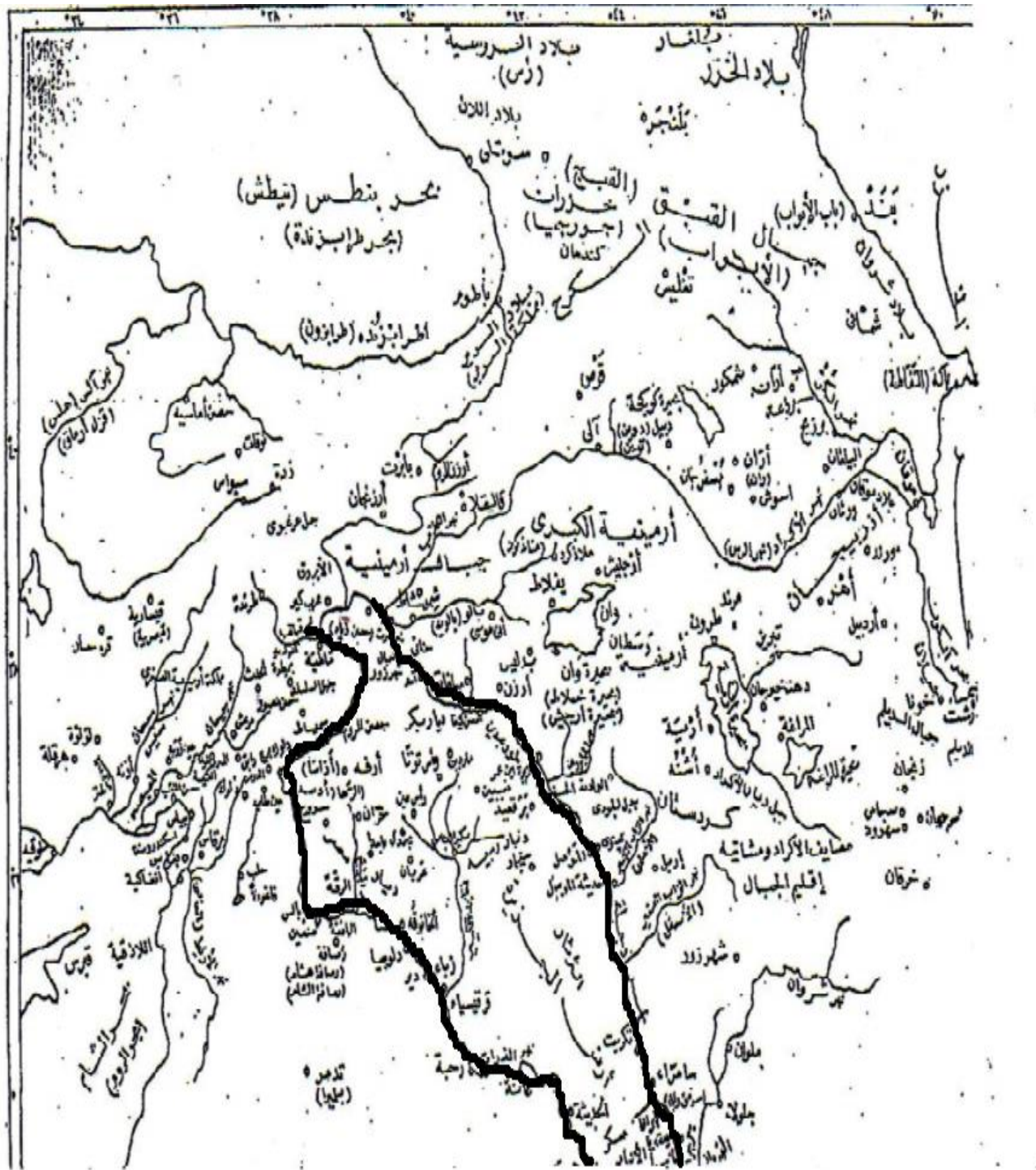
الموسيقيين منهم، ومنحهم الهدايا والعطايا والاحتفالات العديدة التي كانوا يقيمونها وأيضاً هذه الصناعة دليل آخر على الاستقرار والرخاء في الجزيرة الفراتية.

- لم تكن تعتمد الرقة وحران فقط على الزراعة والصناعات البدائية الشعبية كما يشاع عنها بل كان لها السبق في العديد من الصناعات التي تشهد عليها اللقى الأثرية الكثيرة في هذه المنطقة ولاسيما بسبب نقل الخليفة هارون الرشيد العاصمة إلى الرقة، فقد تنوعت فيها الصناعات حتى شملت معظم صناعات العصر الوسيط ومن أميزها صناعة الآلات الفلكية والخزف والزجاج والفخار والأرابسك التي أثبتت عبقرية الصناع العرب والسبق العلمي على الحضارات الأخرى جميعها.

- ومن تتبع هذه الصناعات العديدة في الجزيرة الفراتية يظهر أن الصناع في الجزيرة أقاموا صناعات جديدة خاصة، بهم ولم يكتفوا أيضاً بأخذ بعض الصناعات من المناطق المجاورة بل قاموا بتطويرها وأضافوا عليها الكثير من الأمور حتى أصبحت تنسب إليهم وهذا دليل واضح على أن بلاد الجزيرة قدمت إرثاً حضارياً كبيراً.

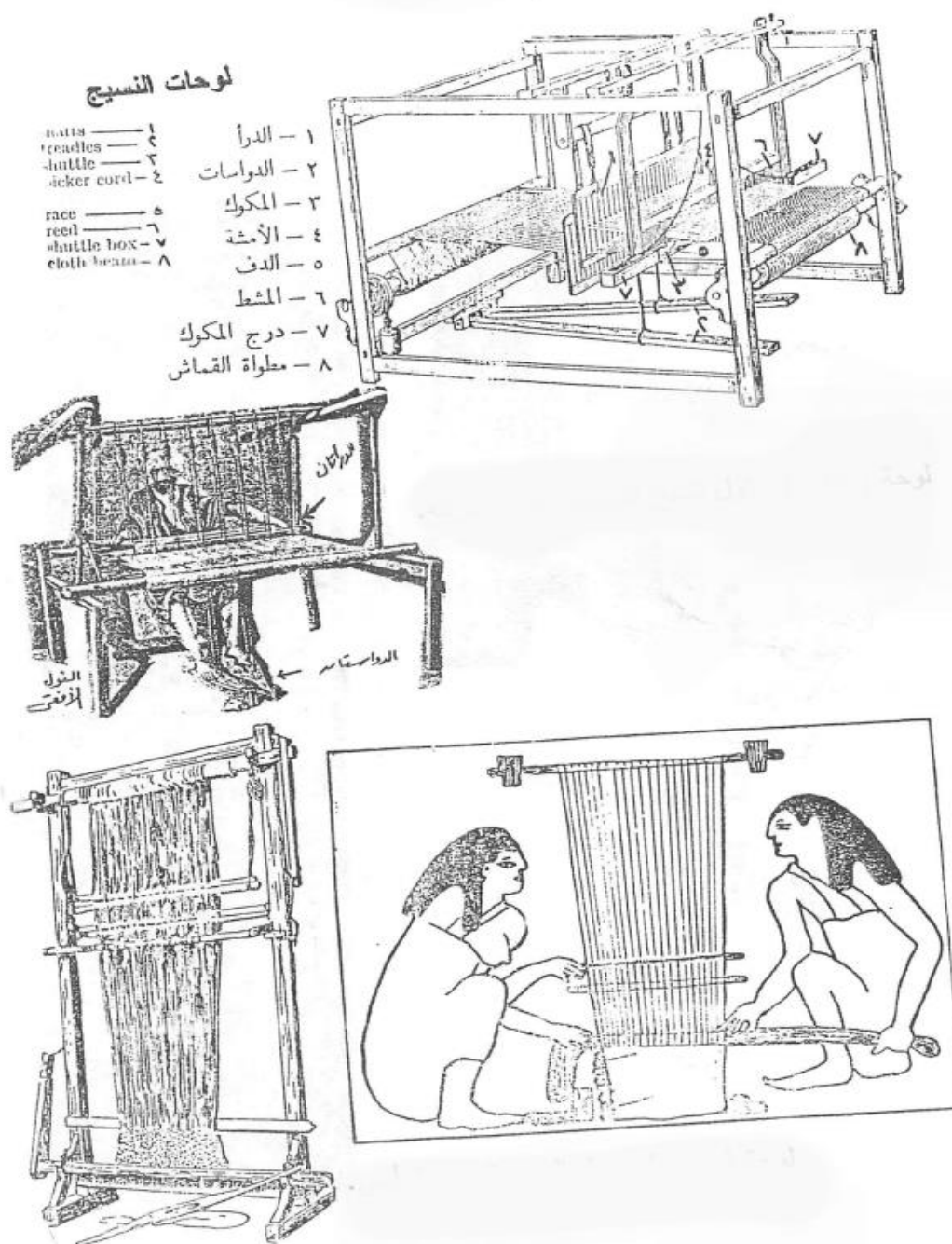
وفي الختام يجب القول إن الجزيرة الفراتية ضمت حضارة قد كانت من أعظم الحضارات العربية الإسلامية في العصر الوسيط وكانت متقدمة في مجالات الحضارة السياسية والاجتماعية والثقافية كافة ولاسيما الاقتصادية فقد طورت العديد من الصناعات، وابتكرت الكثير منها، وتبقى الصناعات في الجزيرة الفراتية مجالاً للبحث والدراسة، وربما تكشف الوثائق والمخطوطات والمكتشفات الأثرية عن بعض الصناعات المتطورة في الجزيرة وكيفية صنعها، وهنا أهيب بالباحثين التوسع في دراسة هذا المجال لما له من أثر في ازدهار الحضارات وتطورها، وكونه أحد العوامل المهمة التي تحدد العلاقات بين القوى المختلفة على مر العصور إذ كان السبب الاقتصادي العامل الرئيس في اندلاع الحروب والأزمات، وأيضاً المجال الحضاري له متعة وجمالية من حيث البحث والدراسة، وأيضاً متابعة عمليات التنقيب في مناطق الجزيرة وإعادة المسروقات الكثيرة التي أخذت من الجزيرة التي تملأ المؤسسات الثقافية والعلمية في الدول الغربية.

الملحق رقم (2)

حدود الجزيرة الطبيعية والبشرية⁽¹⁾.

(1) حميد. (2017م): الوراقون في الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد 46، ص 34.

الملحق رقم (3)



النول اليدوي⁽¹⁾

⁽¹⁾ الطائش، علي أحمد. (2000م): الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 196.

الملحق رقم (4)



رجل يرتدي الطيلسان⁽¹⁾.

⁽¹⁾ نخبه من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل الحضارية، مج 3، ص 399.

الملحق رقم (5)



قاضي يرتدي القلانس الطويلة على رأسه⁽¹⁾.

⁽¹⁾ نخبه من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، مج 3، ص 401.

الملحق رقم (6)



يظهر فيه رجل يرتدي القميص وهو من نقوش إبريق الشجاع الذكي الموصل⁽¹⁾.

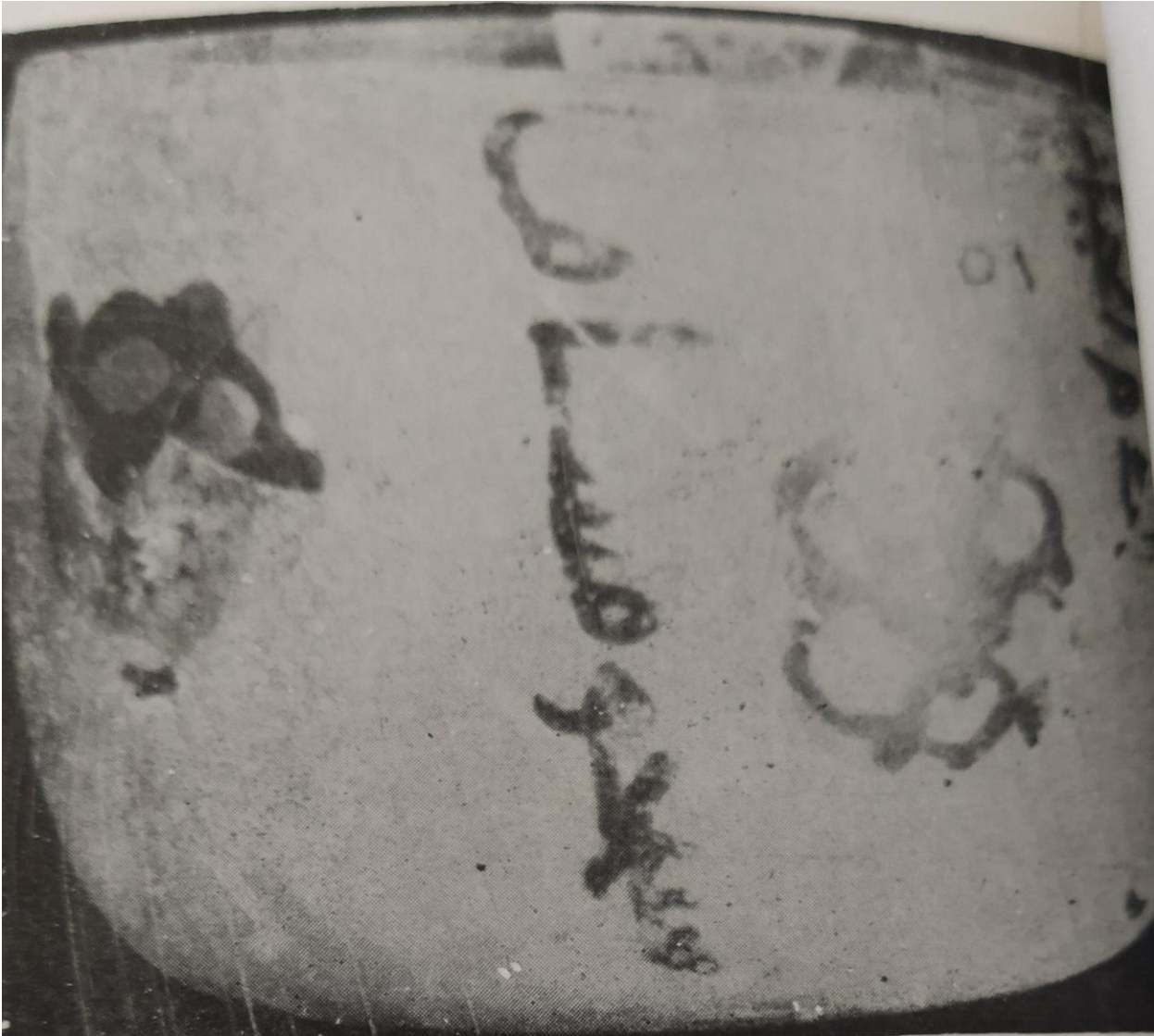
⁽¹⁾ الجمعة، أحمد قاسم. (د.ت): المنسوجات والملابس، موسوعة الموصل، مج3، ص 404.

الملحق رقم (7)

صحن من طراز الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الحمود، أسعد. (1999م): الأنهار والبيوادي، ص 169.

الملحق رقم (8)



قدح من الزجاج ذي البريق المعدني وجد في الرقة في القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العش. (1966م): الزجاج السوري المموه، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج 16، ص 42.

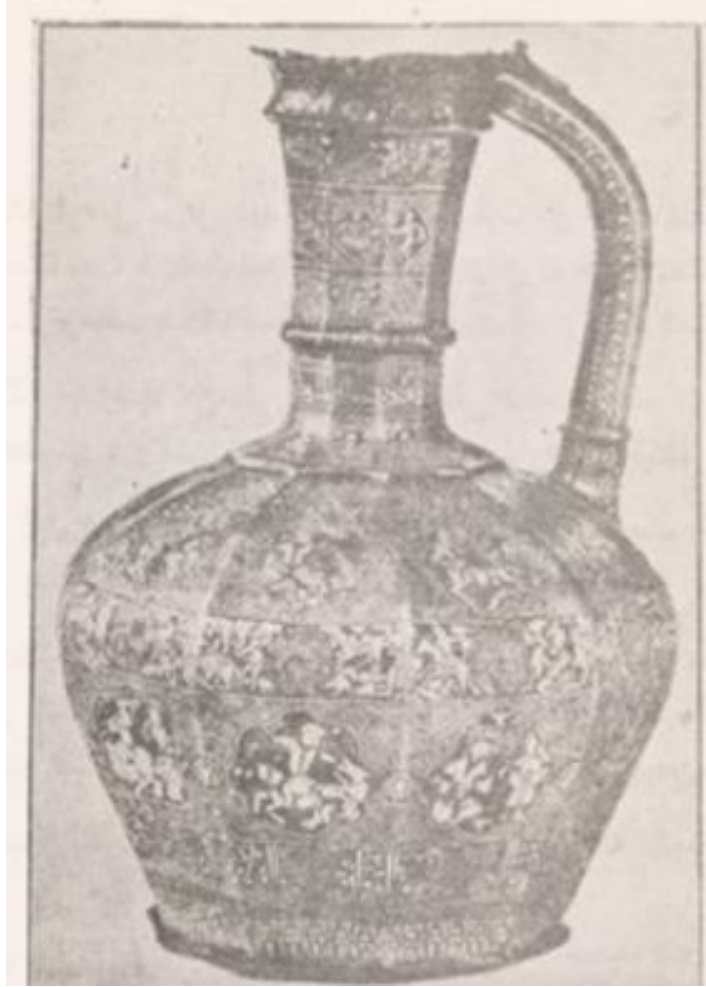
الملحق رقم (9)



زهريّة من النحاس الأصفر مكفّنة بالفضة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 130.

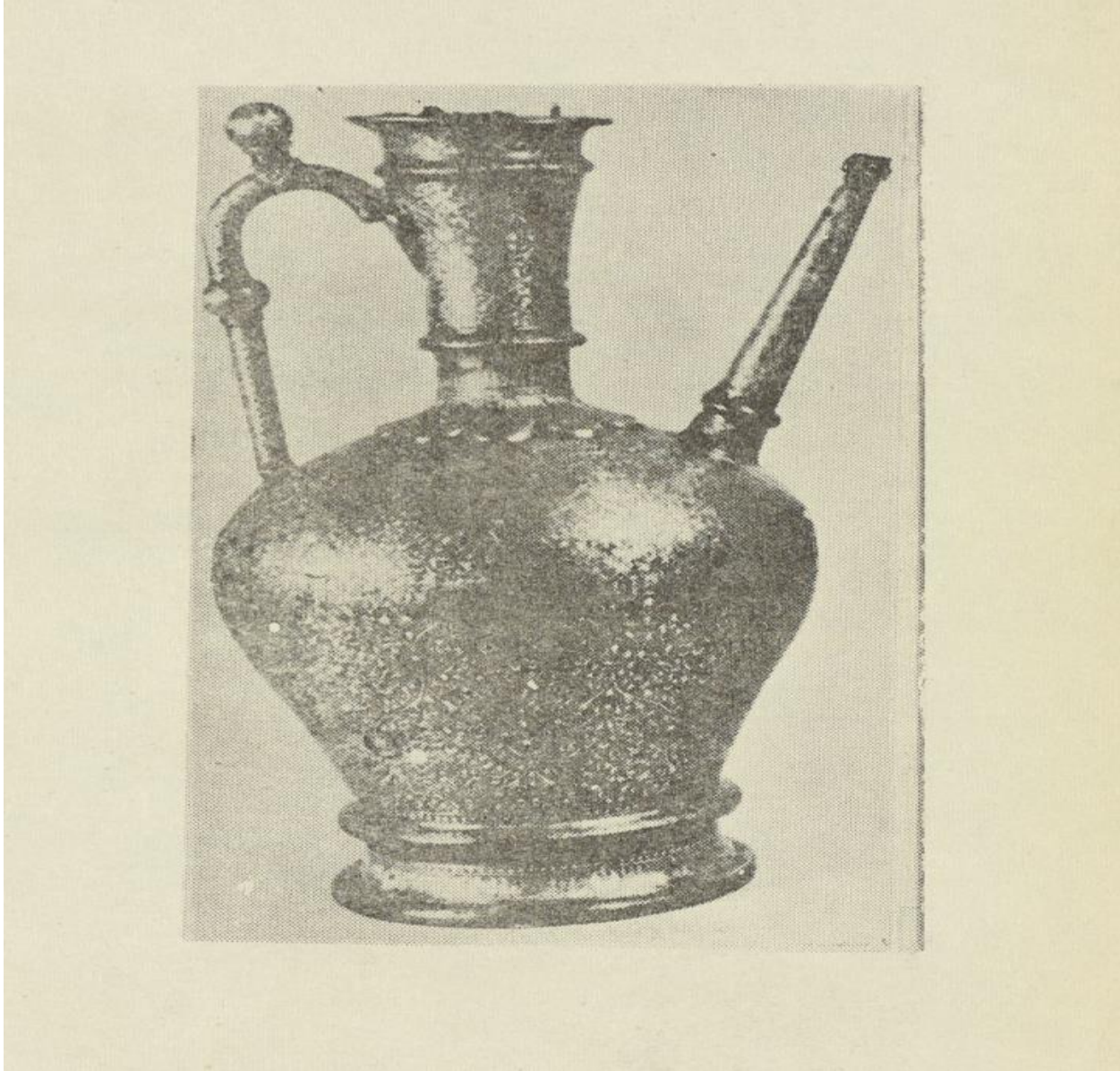
الملحق رقم (10)



إبريق من النحاس الأصفر المطعم بالفضة صنعه شجاع بن منعة الموصل⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجميلي، رشيد. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، ص 367.

الملحق رقم (11)



إبريق من النحاس الأصفر المكفت بالفضة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العبيدي. (1970م): التحف المعدنية، ص 53.

الملحق رقم (12)



شمعدان من النحاس الأصفر مكفت بالفضة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ نخبه من المؤلفين. (د.ت): موسوعة الموصل، مج 3، ص 417.

الملحق رقم (13)



هاون للكحلة يعود للعصر الزنكي أو الأيوبي⁽¹⁾.

⁽¹⁾ المحمود. (1990م): الأنهار والبيادي، ص 165.

الملحق رقم (14)



قاعدة سراج وجدت في مدينة الرحبة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الحمود. (1999م): الأنهار والوادي، ص 165.

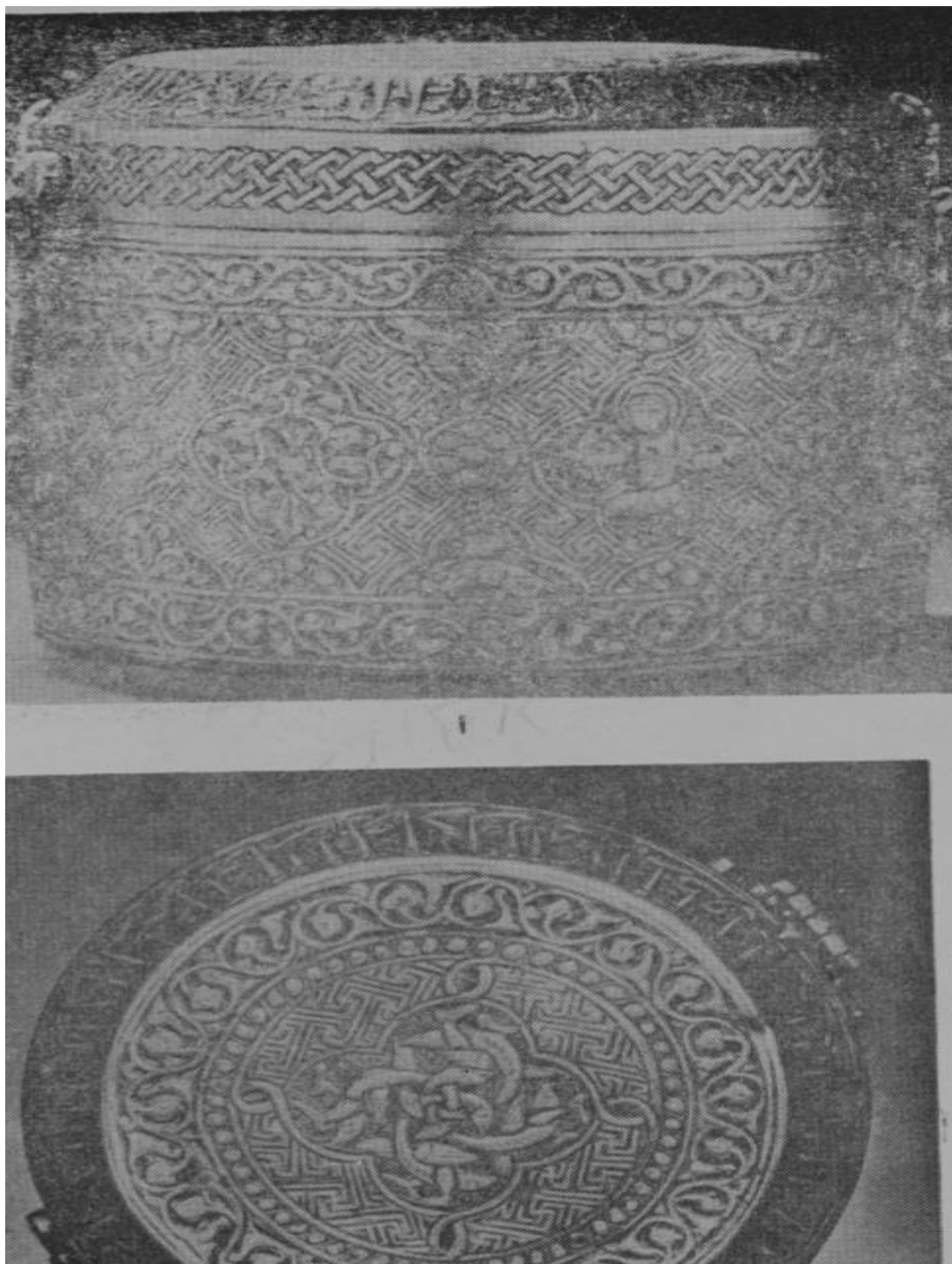
الملحق رقم (15)



مبخرة من الفضة المطعمة بالذهب والفضة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الآشوري، ص 54.

الملحق رقم (16)



علبة من النحاس المطعم صنعت لبدر الدين لؤلؤ وفي الصورة الثانية غطاء العلبة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص54.

الملحق رقم (17)

إبريق من الفخار وجد في الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العش. (د.ت): الفخار غير المطلي، مجلة الحوليات الأثرية، مج 13، ص 33.

الملحق رقم (18)



إناء من الفخار وجد في الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العش. (د.ت): الفخار غير المطلي، مجلة الحوليات الأثرية، مج 13، ص 33.

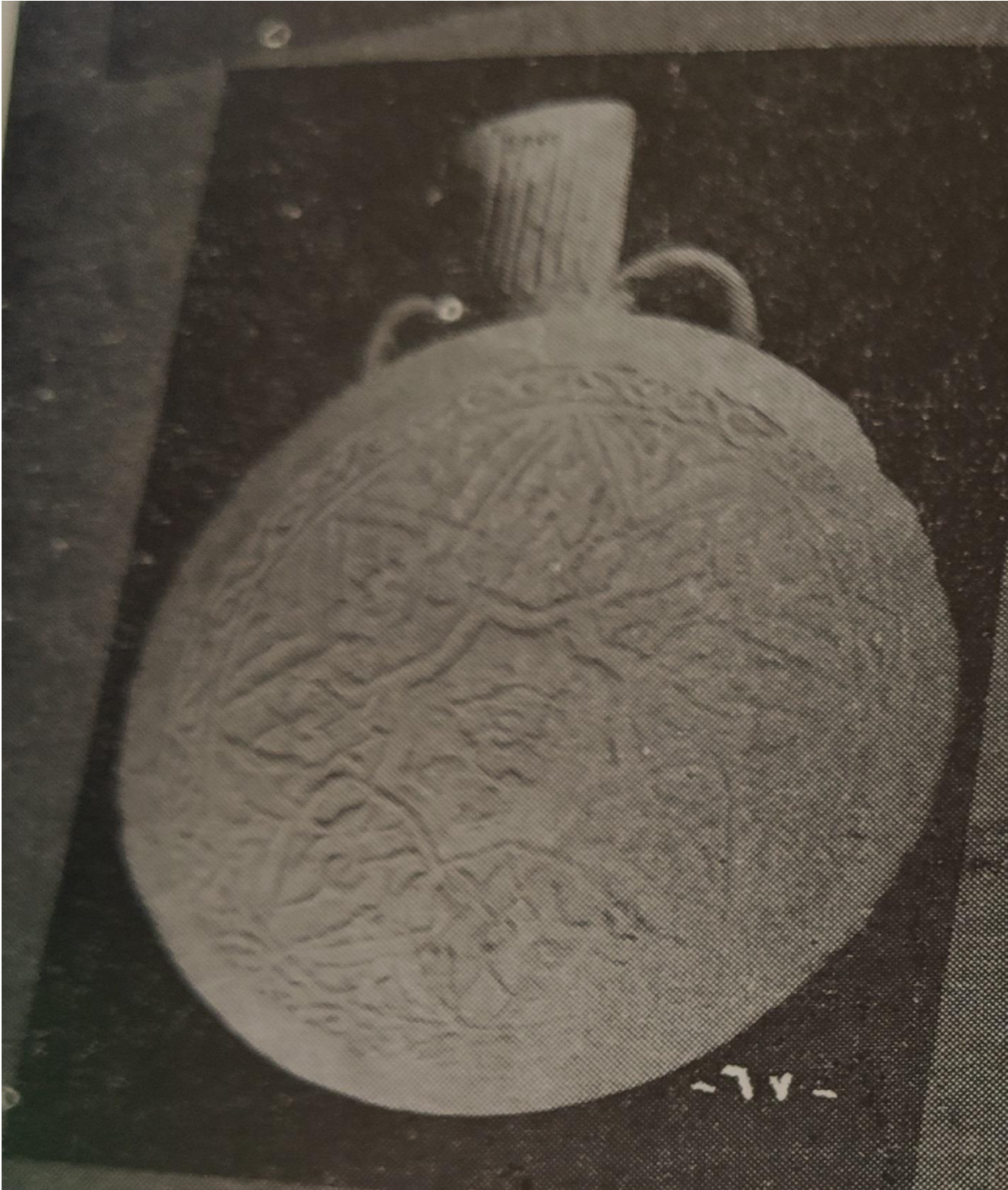
الملحق رقم (19)



إناء فخاري وجد في الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العش. (د.ت): الفخار غير المطلي، مجلة الحوليات الأثرية، مج 13، ص 33.

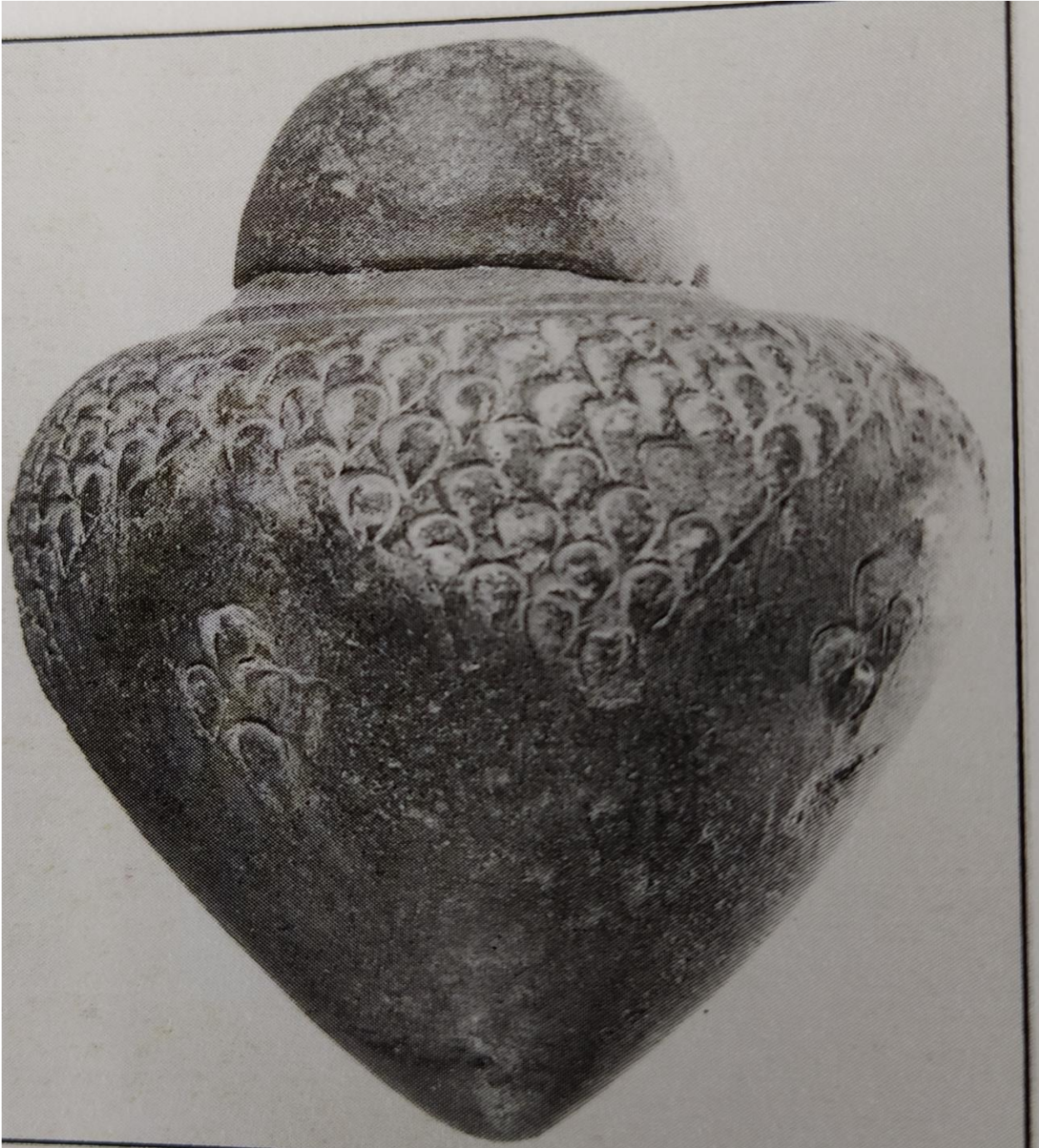
الملحق رقم (20)



مطرة فخارية وجدت في الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ العش.(د.ت): الفخار غير المطلي، مجلة الحوليات الأثرية، مج 13، ص 33.

الملحق رقم (21)



آنية من الفخار (الفقاع) التي تستخدم لحفظ الخمر⁽¹⁾.

⁽¹⁾ المحمود. (1999م): الأنهار والوادي، ص 169.

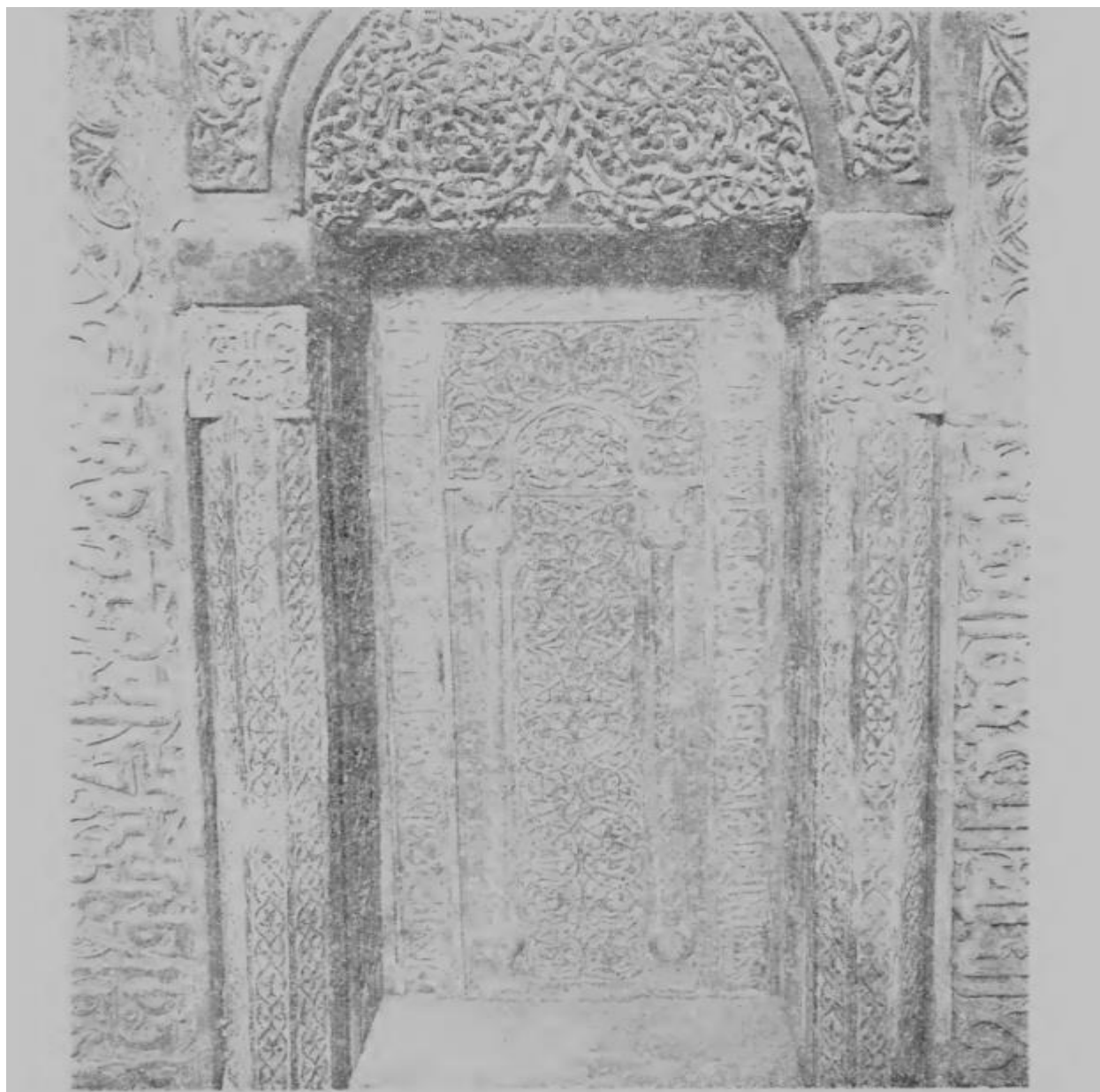
الملحق رقم (22)



إطار زخرفي جصي وجد في الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ المحمود. (1990م): الأنهار والبيوادي، ص 165.

الملحق رقم (23)



المحراب الداخلي في الجامع النوري في الموصل⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، ص 361.

الملحق رقم (24)



تمثال من الجبس لمار بهنام الشهيد وهو في دير كنيسة الجب⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الآتابكي، ص 233.

الملحق رقم (25)



بقايا قصر السلطان بدر الدين لؤلؤ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، ص 357.

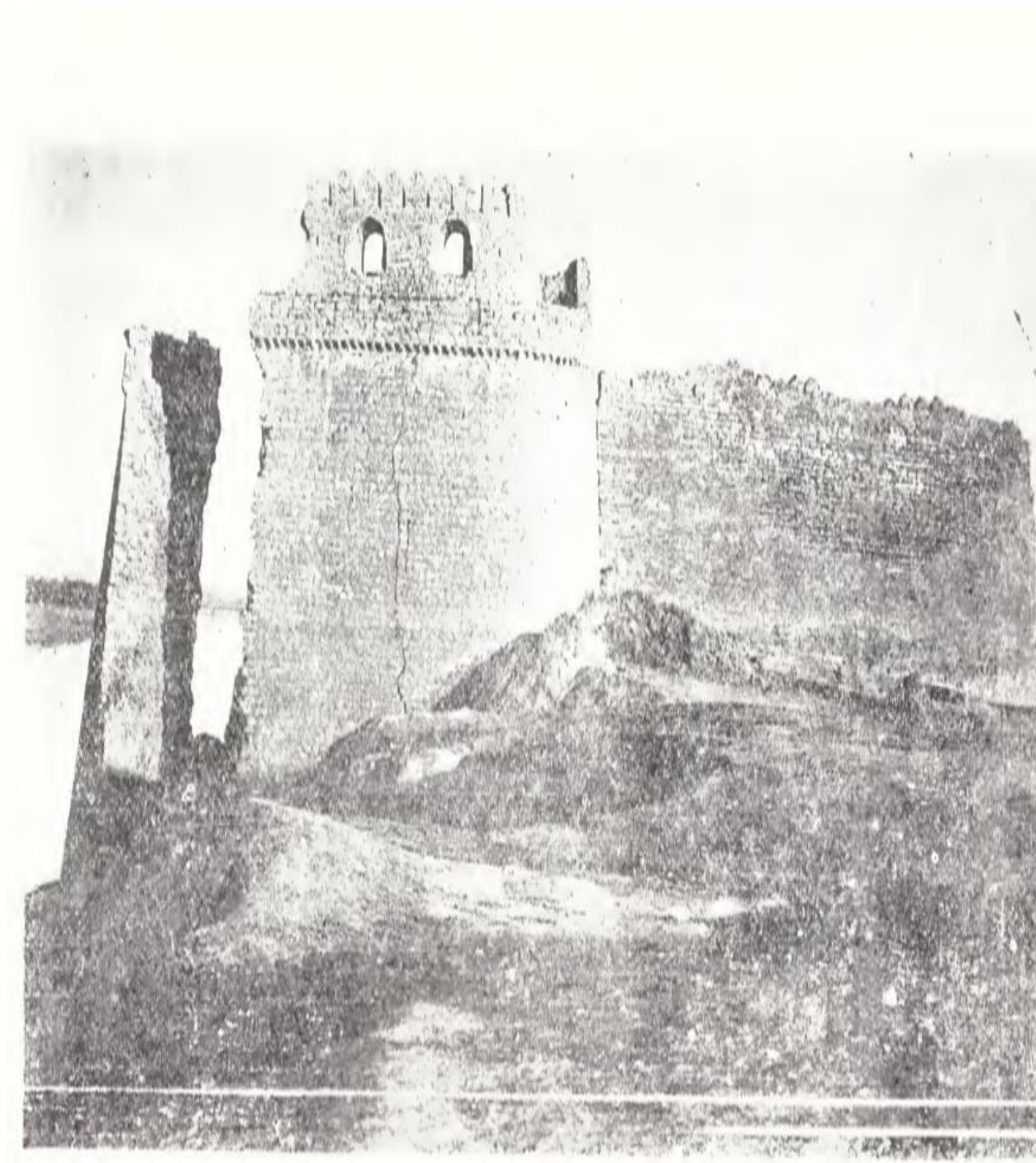
الملحق رقم (26)



زخارف جصية في المحراب الداخلي من الجامع الكبير في الموصل⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، ص 363.

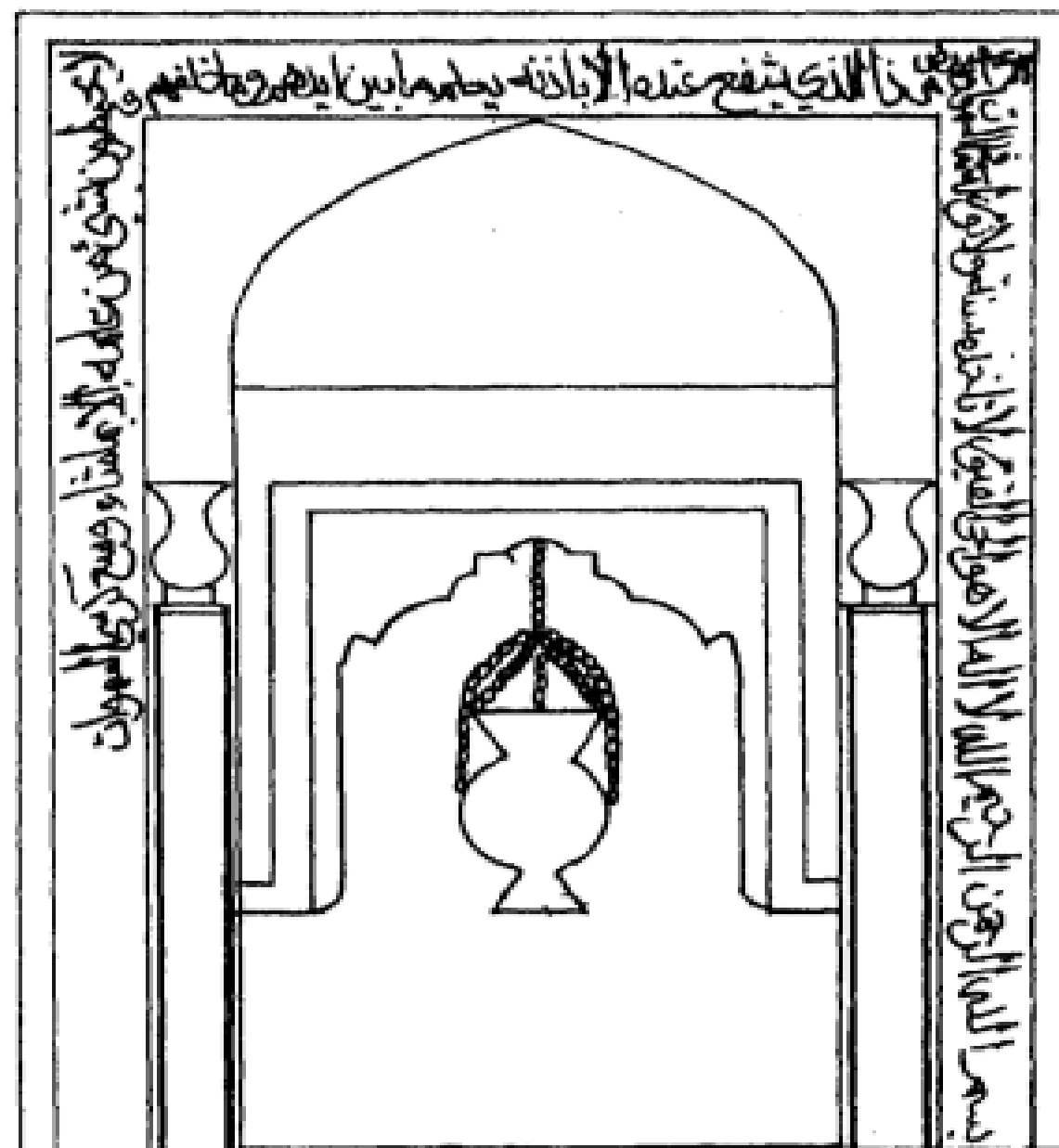
الملحق رقم (27)



قلعة الموصل⁽¹⁾

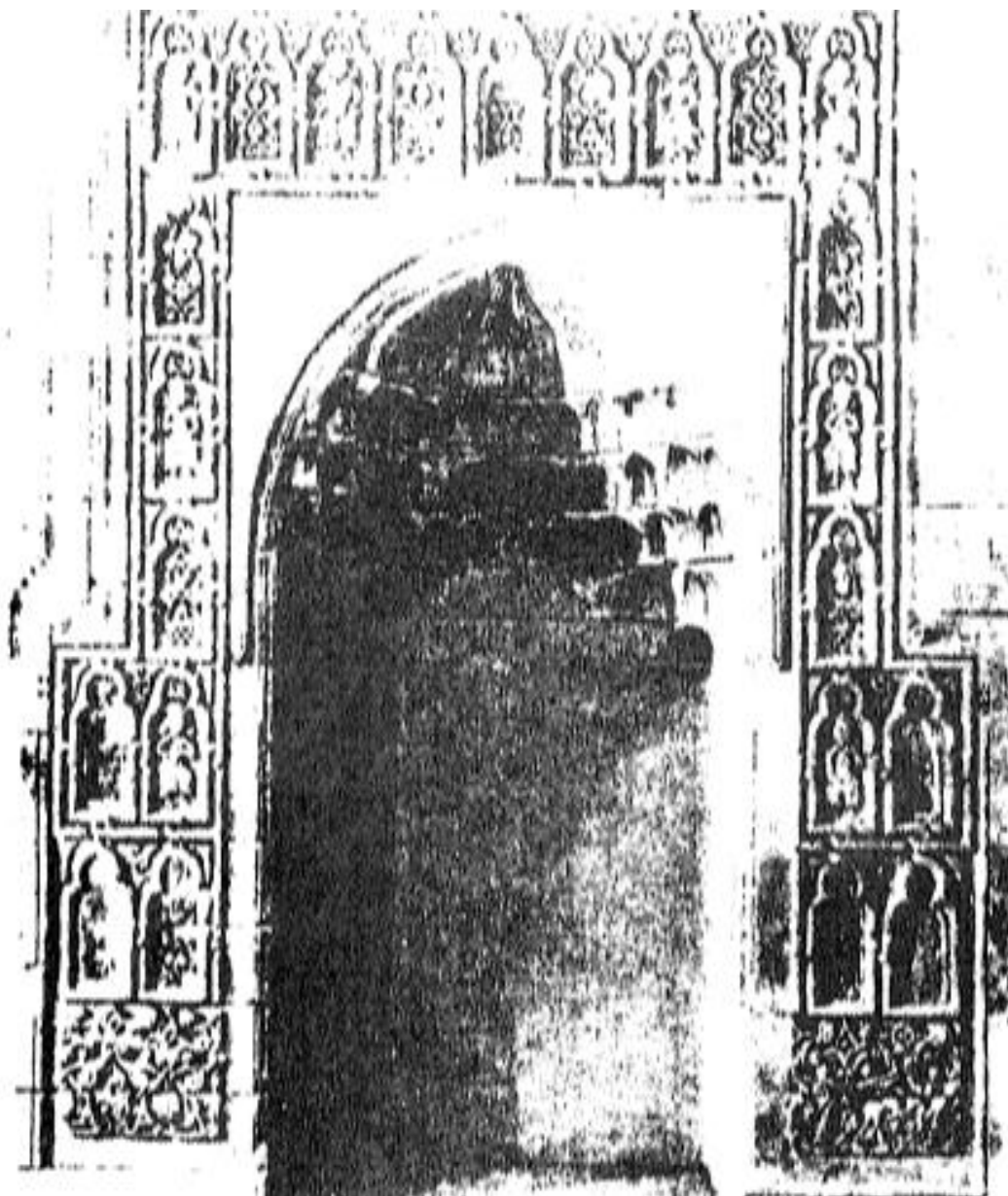
⁽¹⁾ الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة في الموصل، ص 359.

الملحق رقم (28)

محراب الست زينب في سنجار⁽¹⁾.

⁽¹⁾ شميساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 414.

الملحق رقم (29)



محراب كوكمت في مدينة سنجار⁽¹⁾.

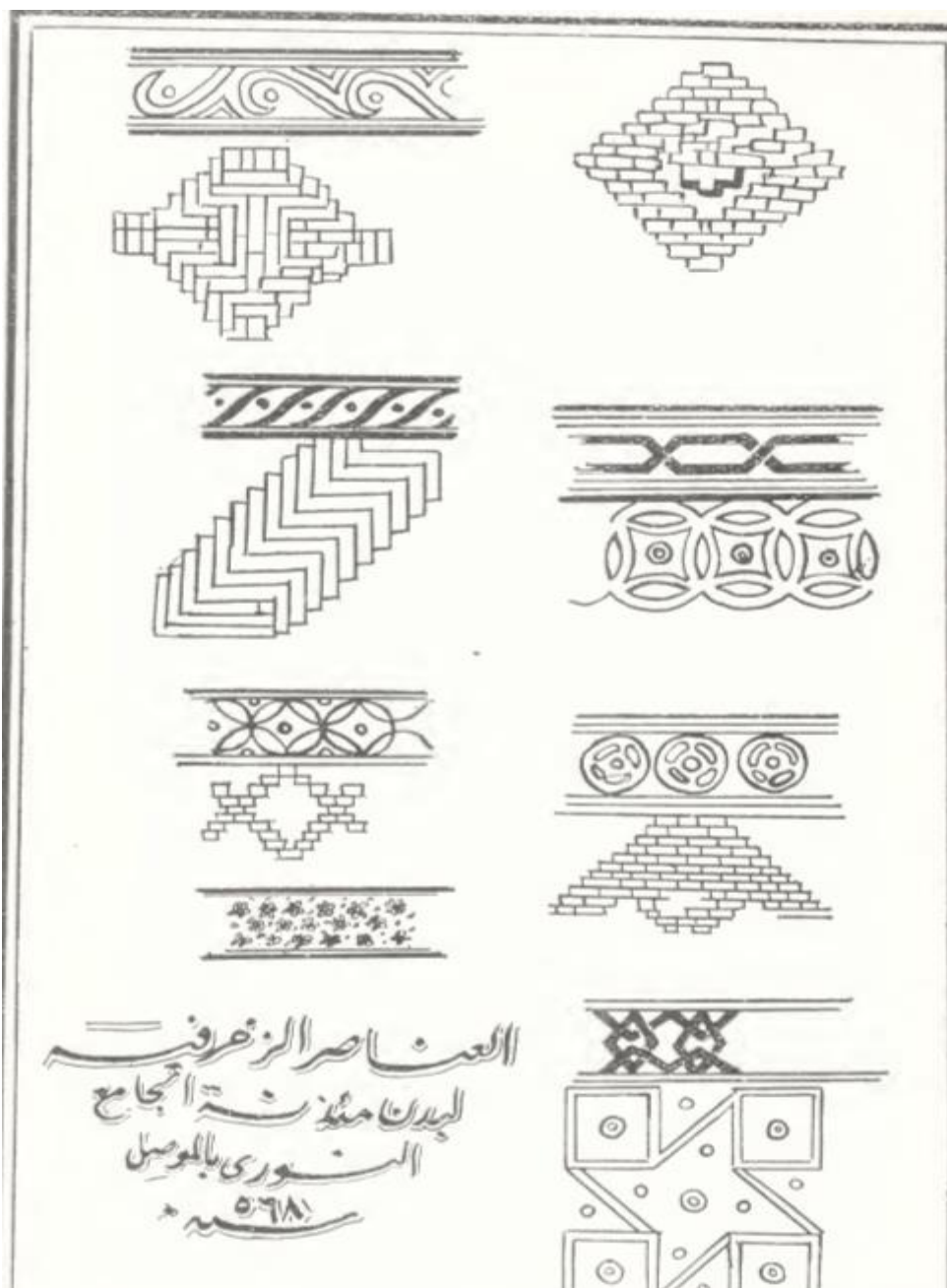
⁽¹⁾ شميساني. (1983م): مدينة سنجار، ص 416.

الملحق رقم (30)

منارة الجامع النوري⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة، ص 371.

الملحق رقم (31)

زخارف مؤننة الجامع النوري⁽¹⁾.⁽¹⁾ الجميلي. (1970م): دولة الأتابكة، ص 373.

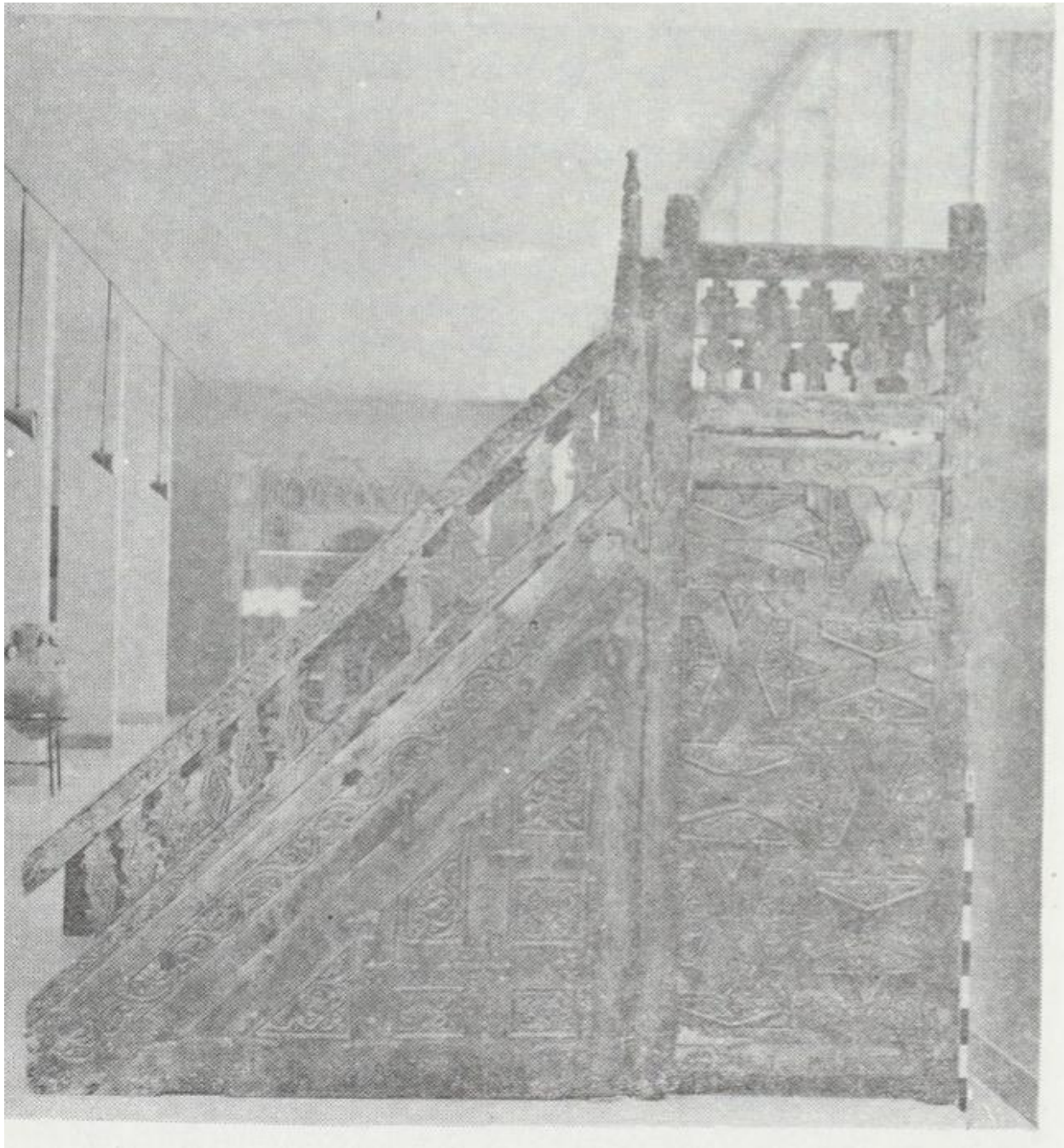
الملحق رقم (32)



شاهد رأس القبر من مسجد الخلال في الموصل⁽¹⁾.

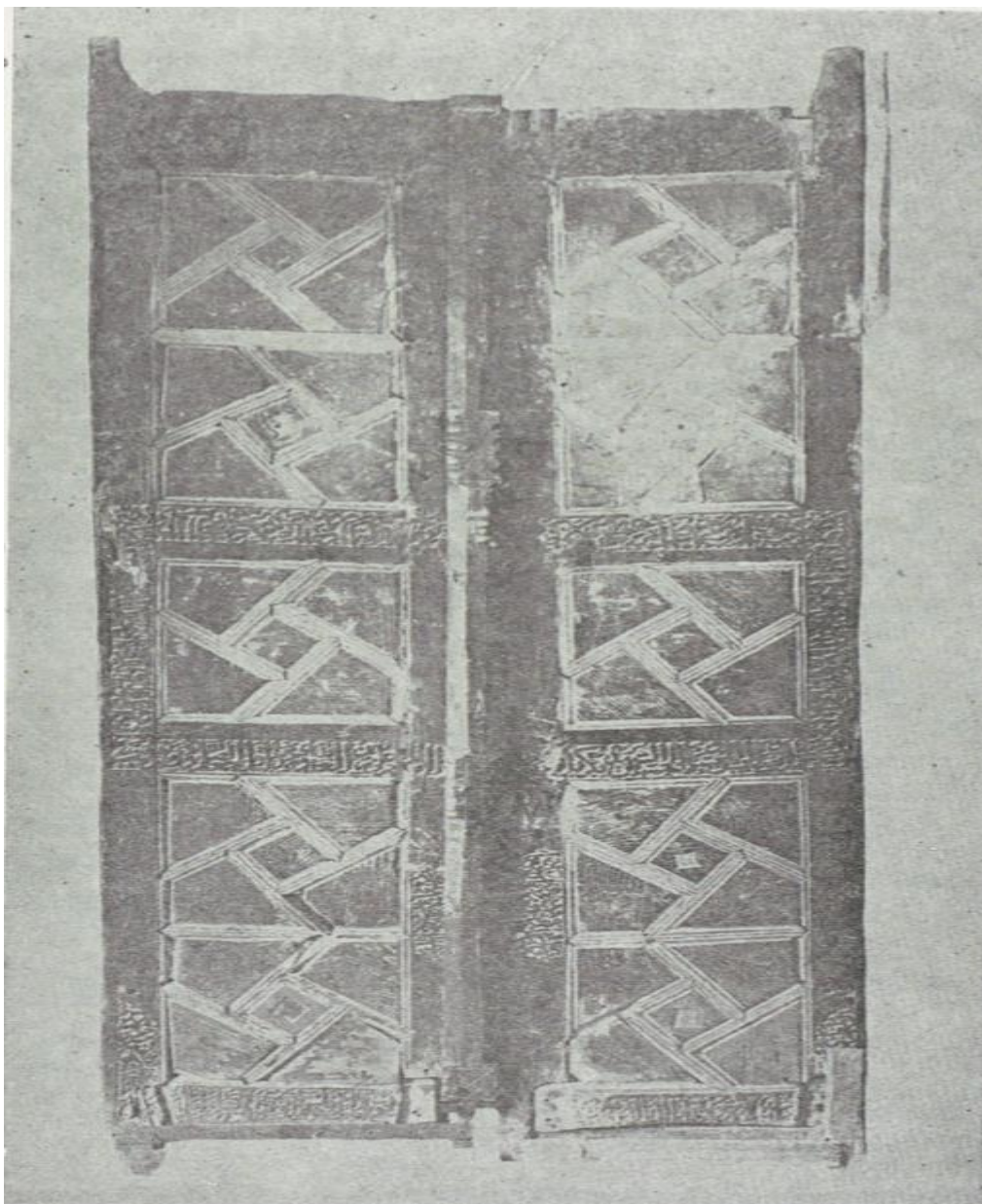
⁽¹⁾ ذنون، يوسف. (1967م): دراسات جديدة لكتابات الموصل الأثرية، مجلة سومر، ج2، مج23، ص234.

الملحق رقم (33)

منبر جامع العمادية⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1970م): أعلام الصنائع، ص 191.

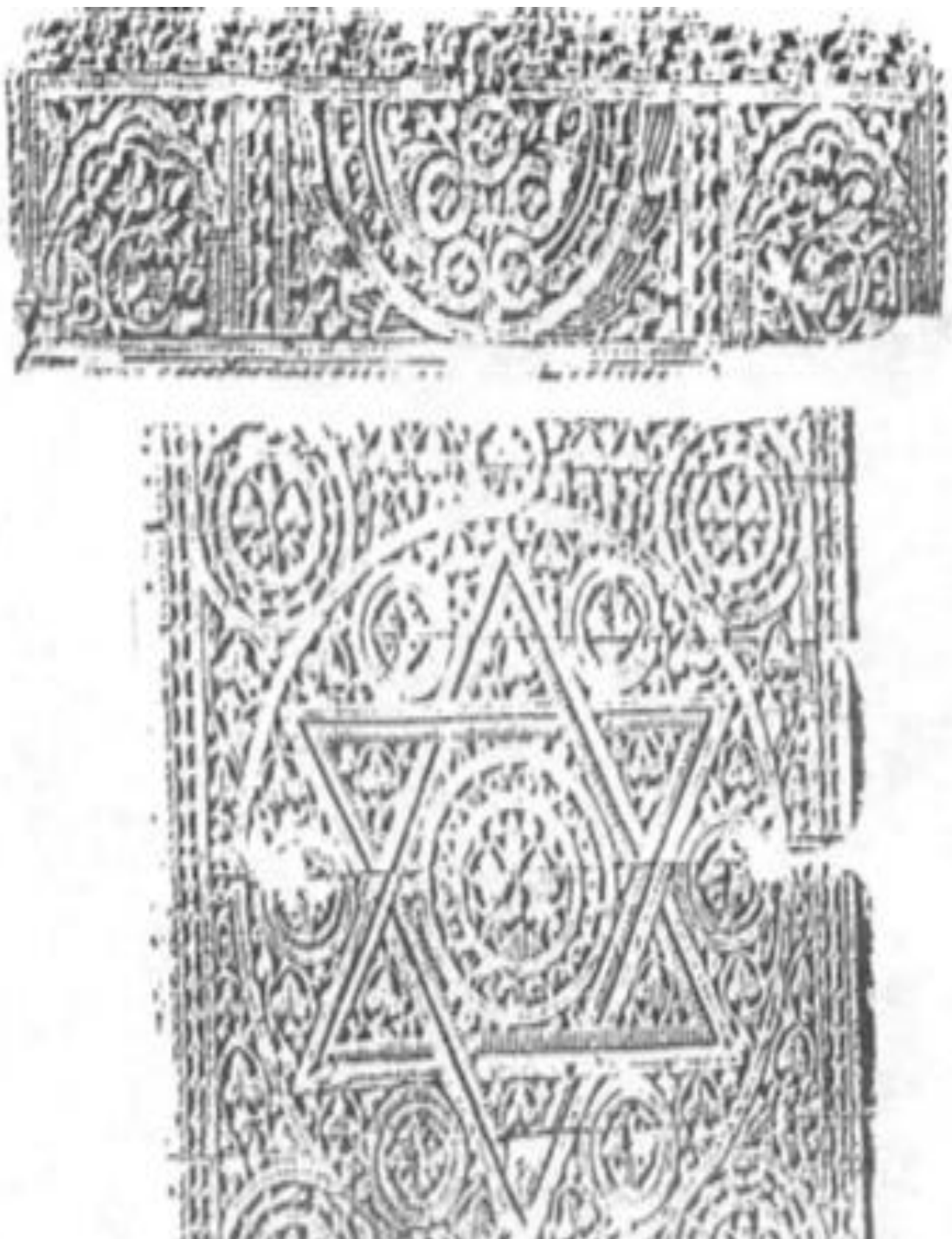
الملحق رقم (34)



باب خشبي كان في مقام الإمام إبراهيم⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص 215.

الملحق رقم (35)



قطع من الخشب من تكريت⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الطائش. (2000م): الفنون الزخرفية الإسلامية ، ص184.

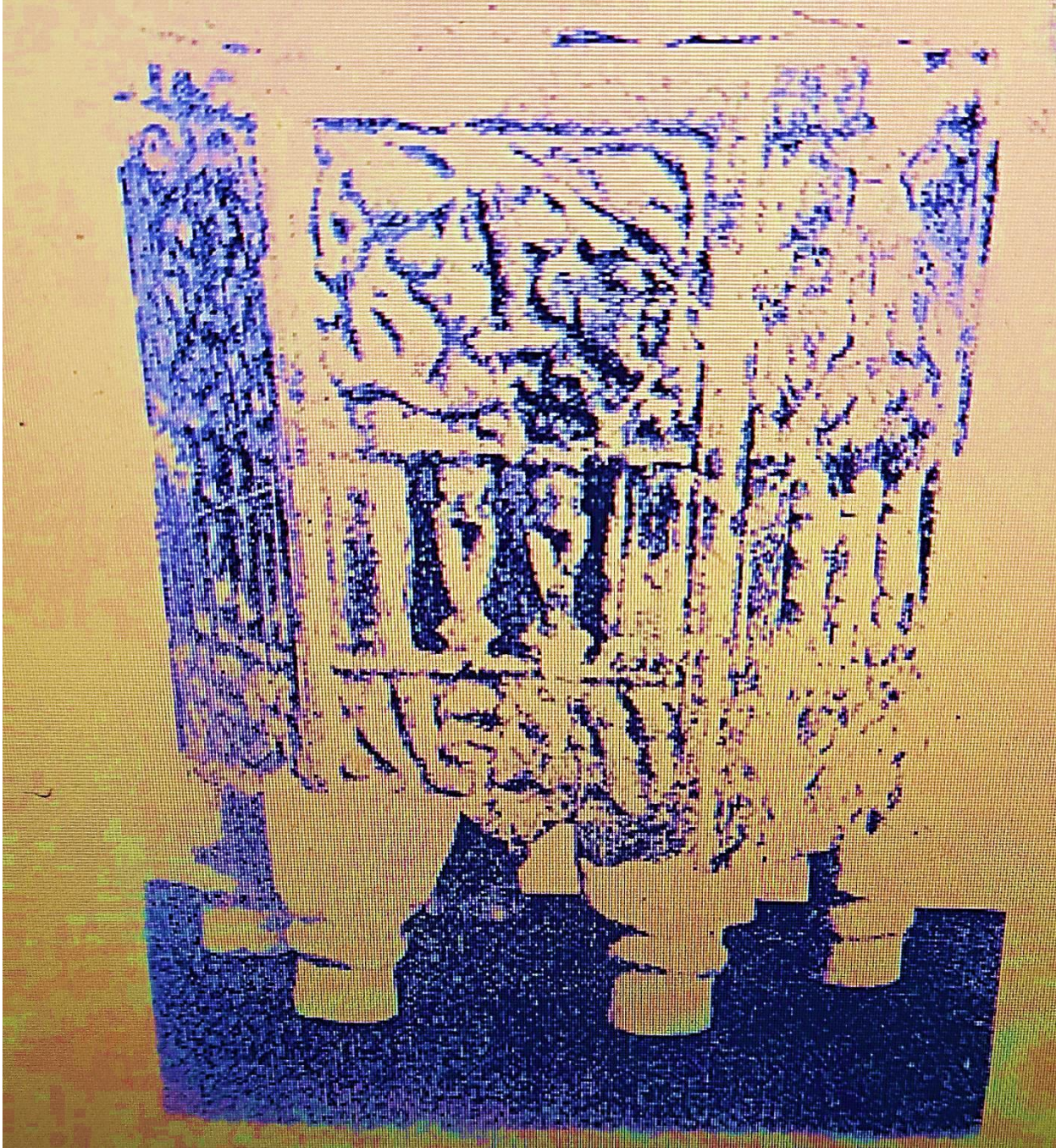
الملحق رقم (36)



صندوق خشبي في مشهد الإمام يحيى⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص 217.

الملحق رقم (37)



مائدة من الخزف صنعت في الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ مرزوق، محمد عبد العزيز. (1964م): فخار العراق وخزفه في العصر الإسلامي، موسوعة الموصل، مديرية الآثار العراقية، مج 19، ص 118.

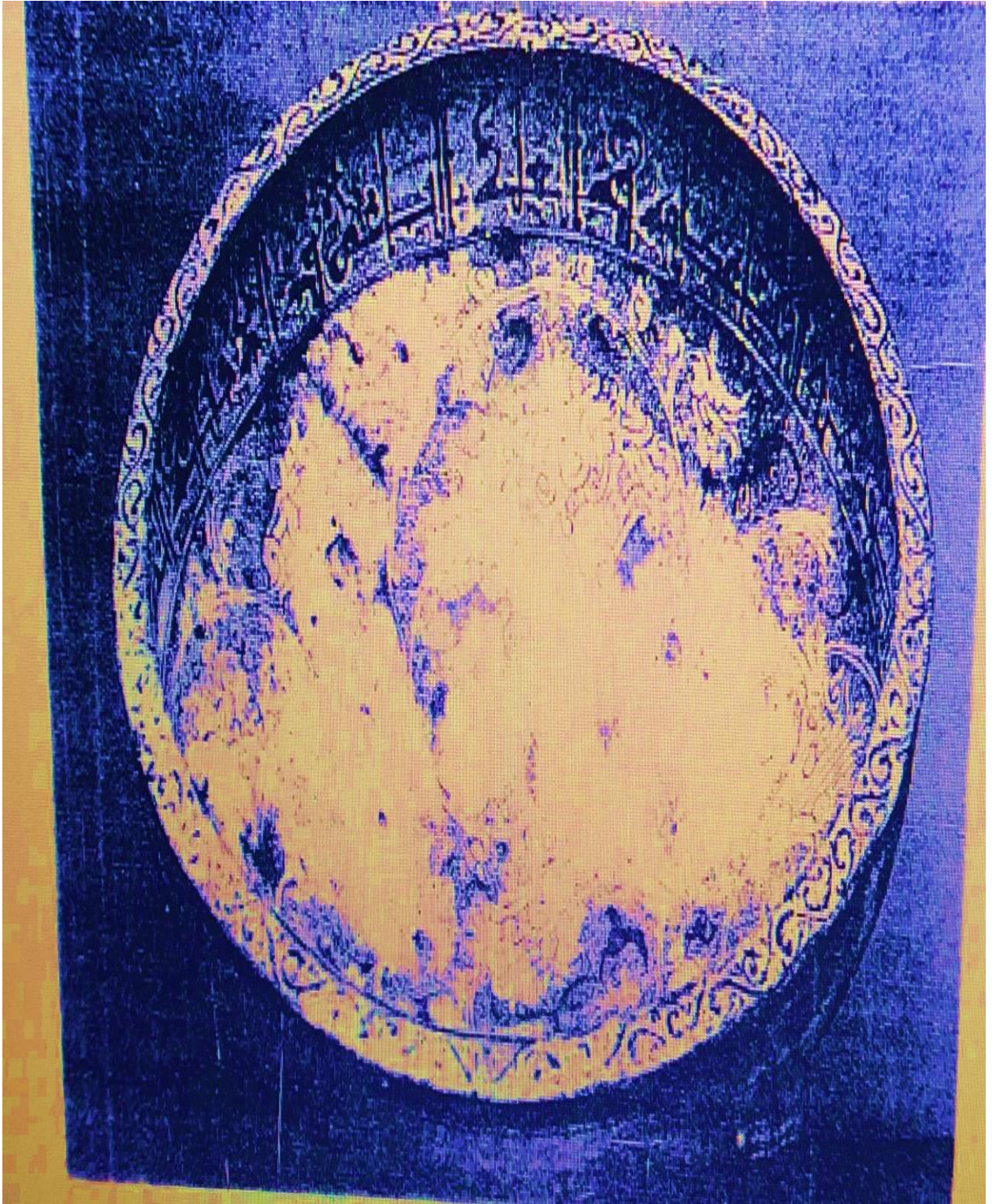
الملحق رقم (38)



صحن من الخزف من صناعة الرقة زخارفه زرقاء تحت الطبقة الزجاجية على أرضي بيضاء⁽¹⁾.

⁽¹⁾ مرزوق. (1964م): فخار العراق وخزفهِ، موسوعة الموصل، مج 19، ص 116.

الملحق رقم (39)



أناء من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة الرقة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ مرزوق. (1964م): فخار العراق وخزفهِ، مج 19، ص 114.

الملحق رقم (40)



مصباح من الخزف صنع في الرقة في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي⁽¹⁾.

⁽¹⁾ مرزوق. (1964م): فخار العراق وخزفاه، موسوعة الموصل، مج 19، ص 116.

الملحق رقم (41)

ساعة الفيل التي صنعها الجزري⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الحسنی. (2011م): ألف اختراع واختراع، ص 15.

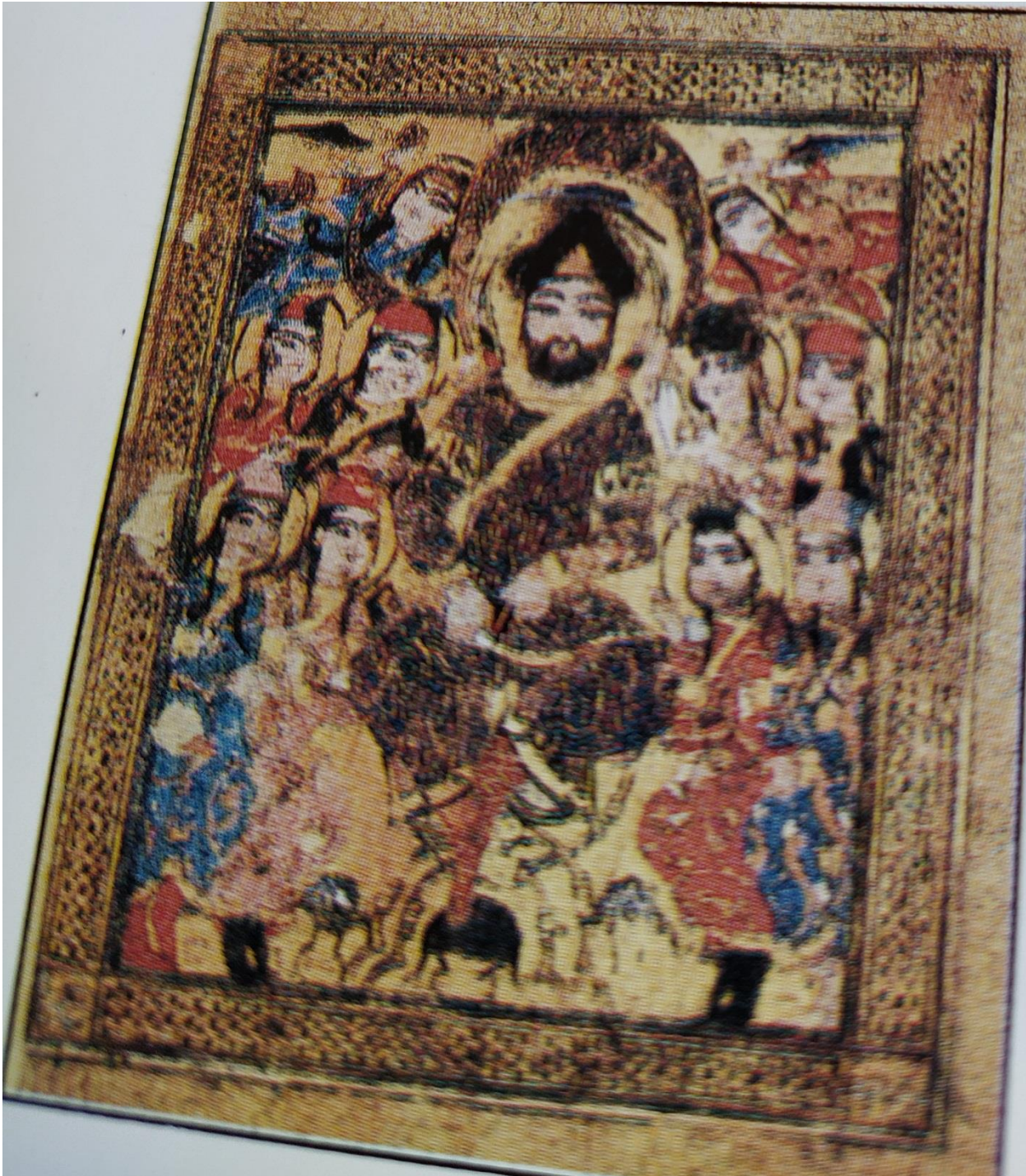
الملحق رقم (42)



جدول للحساب الفلكي عمل لبدر الدين لؤلؤ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الديوه جي. (1958م): الموصل في العهد الأتابكي، ص 45.

الملحق رقم (43)



غلاف كتاب صنع لبدر الدين لؤلؤ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ المحمود. (1990م): الأنهار واليوادي، ص 169.

الملحق رقم (44)



طبل من البرونز صنع في ديار بكر يعود لأوائل القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي⁽¹⁾

⁽¹⁾ فئة من المختصين. (2019م): سورية الحضارة، ص 112.

الملحق رقم (45)

فارس الرقة الخزفي⁽¹⁾

(1) العش، محمد أبو الفرج؛ الجندي، عدنان؛ زهري بشير (1969م): دليل المتحف الوطني بدمشق، المديرية العامة للآثار، مطبعة دار الحياة، دمشق، ط1.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : قائمة المصادر :

1- القرآن الكريم.

• ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ت . 637 هـ / 1239 م :

2- (د.ت). اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، ج2.

3-(1963م). التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمات، مكتبة المثنى، بغداد.

4-(1997م). الكامل في التاريخ، تح: عمر بن عبدالسلام تدمري، 10 أجزاء، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، ج7.

• الإدريسي، محمد بن محمد عبدالله بن إدريس الحسني ت. 560هـ/1164م:

5-(1989م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزأين، عالم الكتب، بيروت، ج2.

• ابن آدم، يحيى القرشي ت. 203هـ/818م:

6-(1987م). كتاب الخراج، دار الشروق، ط1، القاهرة.

• الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن قاسم ت . 334هـ / 946 م :

7- (2006م). تاريخ الموصل، تح : أحمد عبدالله محمود، جزأين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج1.

• الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي ت. 613هـ/1216م:

8-(1970م). بدائع البدائيه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة.

- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت. 346هـ/957م:
- 9-(2004م). المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين ت. 356هـ / 966م:
- 10-(1952م). كتاب الأغاني، 24 جزء، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، ج5.
- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد أبو عبدالله ت. 597هـ/1200م:
- 11-(1987م). البرق الشامي، تح: فالح حسين الناشر، 5 أجزاء، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط1، عمان.
- 12-(د.ت). الفتح القسبي في الفتح القدسي، دار المنار، القاهرة.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم ت. 668 هـ / 1269 م :
- 13-(1996م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح : عامر النجار، دار المعارف، ط1، القاهرة.
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم ت. 779 هـ / 1378 م :
- 14-(1996م). رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.
- 15-(د.ت). رحلة ابن بطوطة، جزأين، دار الشرق العربي، بيروت، ج1.
- البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت. 739 هـ / 1338 م :
- 16-(1992م). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، 3 أجزاء، دار الجيل، بيروت، ج2 .
- البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي ت. 487هـ/1094م:
- 17-(1983م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 4 أجزاء، عالم الكتب، ط3، بيروت، ج2.
- 18-(1992م). المسالك والممالك، جزأين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت. 279 هـ / 892 م :
- 19-(1988م). فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ابن البيطار، ضياء الدين عبدالله ت. 646هـ/1248م:

- 20-(1874م). الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مطبعة الحرية، دمشق.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت . 874 هـ / 1467 م :
- 21-(1938م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 12 جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج7.
- التطيلي، بنيامين الرابي النباري الأندلسي ت. 569هـ/1173م:
- 22-(2002م). رحلة التطيلي، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي.
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي ت. 327هـ/939م:
- 23-(1971م). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، 8 أجزاء، دار صادر، بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت. 429هـ/1037م:
- 24-(2003م). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري ت . 255 هـ / 870 م :
- 25-(1935م). التبصر بالتجارة، عني به وصححه : حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي، ط2، مصر.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي ت . 614 هـ / 1218 م :
- 26-(د.ت). رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- الجوهري، أسماعيل بن حماد ت. 393هـ/1003م:
- 27-(د.ت). تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ت. 597 هـ / 1200م:

28-(1992م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح : مصطفى عبد القادر عطا؛ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

• حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله ت. 1067هـ/1656م:

29 - (1941م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 6 أجزاء، مكتبة المثنى، بغداد، ج1.

• الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ت. 626 هـ / 1229 م :

30-(1995م). معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت.

31-(1998م). الخلز والدال بين الدور والدارات والديرة، تح : يحيى زكريا عبارة، محمد أديب حبران، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

• الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم ت. 900هـ/1494م:

32-(1980م). الروض المعطار في خير الأقطار، تح : إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.

• الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحى بن أحمد بن محمد العكري ت. 1089هـ/1679م:

33-(1986م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، 11 جزء، دار ابن كثير، ط1، دمشق.

• ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي النصيبي ت. 367 هـ / 977 م :

34 - (1938م). صورة الأرض، جزأين، دار صادر، بيروت، ج1.

• ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ت. 280 هـ / 893 م :

35 - (1889م). المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.

• خسرو، أبو معين الدين ناصر علوي المزروي ت. 480 هـ / 1088 م :

36 - (1983م). سفر نامه، تر : يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط3، بيروت.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي بن ثابت أحمد بن مهدي ت . 463 هـ / 1071 م :
- 37-(2002م). تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، 16 جزء، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
- 38-(1996م). تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، 24 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي ت. 808 هـ / 1406 م :
- 39- (1988م). تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت. 681 هـ / 1282 م :
- 40- (1900م). وفيات الأعيان، تح : إحسان عباس، 7 أجزاء، دار صادر، بيروت، ج1.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد ت. 387هـ/997م:
- 41-(1924م). مفاتيح العلوم، المطبعة المنيرية، القاهرة.
- الدمشقي، أبو البقاء عبدالله البدري ت. 894هـ/1489م:
- 42-(1980م). نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، ط1، بيروت.
- الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي:
- 43-(1977م). الإشارة إلى محاسن التجارة، تح: البشري الشوربجي، مطبعة الغد، ط1، الإسكندرية.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود ت. 282هـ/895م:
- 44-(1974م). كتاب النبات، تح: برنهارد ليفن، فيسبادن، ألمانيا.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ت. 748 هـ / 1347 م :
- 45-(د.ت). العبر في خبر من غير، تح: محمد السعيد زغلول، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 46-(د.ت). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 37 جزء، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- 47-(2006م). سير أعلام النبلاء، 18 جزء، دار الحديث، القاهرة، ج17.

- الربيعي، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة ت. 379هـ/989م:
- 48-(1989م). تاريخ مولى العلماء ووفياتهم، تح: عبد الله أحمد سليمان، دار العاصمة، ط1، الرياض.
- ابن رسته، أحمد بن عمر ت. 290هـ/966م:
- 49-(1892م). الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد ت. 380هـ/1143م:
- 50-(1999م). الحيال والأمكنة والمياه، تح: أحمد عبد التواب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت. 562هـ/1166م:
- 51-(1996م). المنتخب من معجم شيوخ العرب، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض.
- 52-(1912م). الأنساب، مطبعة ليدن، لندن.
- ابن سيار، أبو محمد المظفر بن نصر الوراق:
- 53-(د.ت). كتاب الطبخ، تح: إحسان دنون الشامري؛ محمد عبد الله القدحات، دار صادر، بيروت.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن ت. 911هـ/1505م:
- 54-(1968م). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة.
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد ت. 390 هـ / 998 م:
- 55-(1966م). الديارات، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، ط2، بغداد.
- ابن شاعر، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن هارون ت. 764هـ/1362م:
- 56-(1974م). فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت.
- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إبراهيم الدمشقي ت. 665/1267م:

57-(1997م). عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق، 5 أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج3.

• ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري ت. 684 هـ / 1285 م :
58-(1991م). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح : يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

• ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الموصلية ت. 632هـ/1234:
59-(1994م). النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة.

• شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبدالله محمد أبي طالب الأنصاري الدمشقي ت. 727 هـ / 1327 م :
60-(1865م). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية، بطرسبورغ.

• الصابي، أبو أسحاق إبراهيم بن الهلال الحراني ت. 384هـ/994م:

61-(1898م). رسائل الصابي، نشره: شكيب أرسلان، لبنان.

• الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن ت. 448هـ/1056م:

62-(د.ت). تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبدالستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، المدينة المنورة.

• الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك ت. 764هـ/1362م:

63-(1998م). أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبوزيد؛ نبيل أبو عمشة؛ محمد موعد، 5 أجزاء، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، ج3.

64-(2000م). الوافي بالوفيات، تح: محمد الأرناؤوط؛ تركي مصطفى الناشر، 29 جزء، دار إحياء التراث، بيروت.

• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت. 310 هـ / 922 م :

65-(د.ت). تاريخ الرسل والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، 11 جزء، دار سويدان، بيروت.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا ت. 709 هـ / 1309 م :
- 66- (1960م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت.
- ابن العبري، أبو الفرج يوحنا ابن هارون الملطي ت. 685هـ / 1349م:
- 67- (1992م). مختصر تاريخ الدول، تح: أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط3، بيروت.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ت. 660 هـ / 1262 م :
- 68- (د. ت). بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق.
- 69- (1996م). زبدة الحلب في تاريخ حلب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ت. 395هـ / 1004م:
- 70- (1996م). التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط2، دمشق.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد ت. 852 هـ / 1449م:
- 71- (1950م). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، 4 مجلدات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد ت. 580هـ / 1184م:
- 72- (2001م). الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة.
- العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ابن فضل الله ت. 749 هـ / 1349 م :
- 73- (2003م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبدالله بن يحيى، دار الكتب الوطنية، أبوظبي.
- الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق ت. 487هـ / 1094م:
- 74- (1959م). تاريخ الفارقي، تح: بدوي عبداللطيف عوض، الهيئة العلمية لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي محمود بن محمد ت. 732 هـ / 1331م:
- 75- (د.ت). المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، القاهرة.

- ابن الفوطي، أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد ت. 723هـ / 1323م:
- 76-(1932م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مصطفى جواد، بغداد.
- 77-(1962م). تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، تح: مصطفى جواد، د.م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت. 817هـ / 1414م:
- 78-(2005م). القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت.
- بن قرة، أبو الحسن ثابت بن عرفان الحراني ت. 288هـ / 901م:
- 79-(1938م). الذخيرة في علم الطب، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت. 682هـ / 1283م:
- 80-(د.ت) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
- 81-(1978م). عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت.
- ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت 555هـ / 1160م:
- 82-(1983م). تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن محمد ت. 821هـ / 1418 م :
- 83-(1919م). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14 جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2.
- 84-(د.ت). نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: علي الخاقاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي البصري ت. 774 هـ / 1372 م :
- 85-(1986م). البداية والنهاية، دار الفكر، ط1، دمشق.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد حبيب البحري ت. 450هـ / 1058م:
- 86-(1989م). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، الكويت.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت. 346هـ / 958م:

87-(د.ت). التنبيه والأشراف، دار الصاوي، القاهرة.

• مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت. 421هـ / 1030م:

88-(1989م). تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، 8 أجزاء، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1،

الكويت.

• المغربي، أبو الحسن علي بن مؤنس بن سعيد ت. 685هـ/1286م:

89-(1970م). الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للنشر والطباعة، بيروت.

90-(1958م). بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان.

• المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت. 366هـ / 977م :

91-(1991م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.

• المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ت. 845هـ/1442م:

92-(1997م). السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، 8 أجزاء، دار الكتب العلمية،

بيروت.

93-(1997م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت.

• المنشي النسوي، محمد بن أحمد ت. 647هـ/1249م:

94-(1953م). سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، مطبعة الاعتماد، مصر.

• المهلب، الحسن أبو أحمد ت. 380هـ/990م:

95-(2006م). المسالك والممالك، تح: تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، ط1، دمشق.

• ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري ت. 711هـ/1311م:

96-(1993م). لسان العرب، 15 جزء، دار صادر، ط3، بيروت.

• مؤلف مجهول:

97-(2002م). حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، القاهرة.

• ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي أكرم القرشي ت. 687هـ/1288م:

- 98-(2002م). الشامل في الصناعة الطبية، تح: يوسف زيدان، جزأين، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي.
- نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد ت. 1130هـ/1717م:
- 99-(2000م). دستور العلماء وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ت. 676هـ/1277م:
- 100-(د.ت). تهذيب الأسماء واللغات، نشره وصححه: شركة العلماء وإدارة مطبعة المنيرية، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي ت. 611هـ/1214م:
- 101-(2002م). الإشارات في معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف ت. 334هـ/945م:
- 102-(1884م). صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن.
- الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان ت. 584هـ/1188م:
- 103-(1994م). الأماكن ما أتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجابر، دار اليمامة للترجمة والنشر، الرياض.
- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر القرشي ت. 749هـ/1349م:
- 104-(2008م). خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، القاهرة.
- 105-(1996م). تاريخ ابن الوردي، جزأين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن أبي يعقوب بن واضح ت. 292هـ/904م:
- 106-(2001م). البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم ت. 182هـ/798م:

107- (1979م). الخراج، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

• اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت. 726هـ/1326م:

108- (1992م). ذيل مرآة الزمان، 4 أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، ط2، القاهرة.

ثانياً : قائمة المراجع :

• أحمد، أحمد رمضان:

1- (د.ت). الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة.

• أرسلان، شكيب:

2- (2010م). المختار من رسائل أبي أسحاق الصابي، الدار التقدمية، ط1، الشوف، بيروت .

• إقبال، عباس:

3- (2000م). تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، مكتبة المهتدين، أبوظبي.

• أمين، حسين:

4- (1965م). تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد.

• أيوب، إبراهيم:

5- (1989م). التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت.

• البابلي، حسين:

6- (1949م). قاموس النباتات، دار النيل للطباعة، القاهرة.

• البصري، عبدالله بن محمد:

7- (2001م). معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، د.م.

• بيطار، أمينة:

8- (2008م). تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، سورية.

• تركماني، أسامة:

9- (2007م). تاريخ الأتراك والتركماني، دار الإرشاد للنشر، حمص.

• التهانوي، محمد بن علي بن صابر الفاروقي:

10- (1996م). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، بيروت.

• الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن:

11- (2009م). تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 3 أجزاء، دار المعرفة، ط1، بيروت.

• الجميلي، رشيد:

12- (1970م). دولة الأتابكة في الموصل، دار النهضة، العربية، ط1، بيروت.

• الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان:

13- (2007م). الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة، تح:

سعيد عبد الفتاح عاشور، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت.

• الحربي، عاتق بن غيث بن عطية بن صالح البلادي:

14- (1982م). معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، مكة المكرمة.

• حسن، إبراهيم حسن:

15- حسن، حسن إبراهيم. (1996م): تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، جزأين، دار

الجيل، ط14، بيروت، ج2.

• حسن، زكي محمد:

16-(1981م). الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت.

• حسن، حسين الحاج:

17-(1987م). النظم الإسلامية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

• الحسني، سليم:

18- (2011م). ألف اختراع واختراع، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، ط1، المملكة المتحدة.

• الحسيني، محمد باقر:

19-(1966م). العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، مطبعة دار الجاحظ، بغداد.

• حميد، عبد العزيز؛ العبيدي، صلاح؛ قاسم، أحمد:

20- (1982م). الفنون الزخرفية الإسلامية، جامعة بغداد، العراق.

• حميدة، عبد الرحمن:

21- (1995م). أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط1، دمشق.

• الخالدي، صلاح الدين:

22-(1984م). وقائع الندوة الدولية لتاريخ الرقة وآثارها، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف،

دمشق.

• الخطيب العمري، ياسين بن خير الله:

23-(1955م). منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدياء، تح: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل.

24-(1967م). منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء، تح: سعيد الديوه جي، الموصل.

• الخطيب، مصطفى عبد الكريم:

25-(1996م). معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت.

• خليل، عماد الدين:

26-(1980م). الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت.

• أبو خليل، شوقي:

27-(1996م). الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق.

• الدفاع، علي بن عبدالله:

28-(1990م). رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، الظهران.

• الدوري، عبد العزيز:

29-(1995م). تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت.

30-(2009م). العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت.

• الديوه جي، سعيد:

31-(1958م). الموصل في العهد الأتابكي، مطبعة شفيق، بغداد.

32-(1970م). أعلام الصنائع المواصلية، مطبعة الجمهور، الموصل.

33-(1982م). تاريخ الموصل، المجمع العراقي، ط1، بغداد.

• دي طرازي، فيليب:

34-(2012م): عصر السريان الذهبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

• الروضان، عبد عون:

35-(2007م). موسوعة تاريخ العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، عمان.

• الرئيس، محمد ضياء الدين:

36-(1969م). الخارج والنظم المالية في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، مصر.

• الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد بن مرتضى الحسيني:

37-(1791م). تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، ط1، القاهرة.

• الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي:

38-(2002م). الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، د.م.

• زغلول، سعد عبد الحميد:

39-(1986م). العمارة والفنون في الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

• الزياد، حبيب:

40-(2010م). الديارات النصرانية، دار المشرق، ط4، بيروت.

• زيدان، جرجي:

41-(1973م). تاريخ التمدن الإسلامي، 5 أجزاء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

• السامر، فيصل:

42-(1970م). الدولة الحمدانية في الموصل والجزيرة، جزأين، مطبعة الإيمان، ط1، بغداد، ج1.

• السامرائي، كمال:

43-(1990م). مختصر تاريخ الطب، دار النضال للنشر والتوزيع، بغداد.

• سركيس، يوسف بن إليان بن موسى:

44-(1928م). معجم المطبوعات العربية والمعربة، جزأين، مطبعة سركيس، القاهرة، ج2.

• سوادي، محمد:

45-(1989م). الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس هجري، دار

الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

• شرف، عبد العزيز طريح:

46-(د.ت). الجغرافية المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية، ط11، الإسكندرية.

• الشكعة، مصطفى:

48-(2004م). مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، ط15، بيروت.

• شمساني، حسن:

49-(1983م). مدينة سنجار من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت.

• الصالح، صبحي:

50-(1996م). النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، ط1، إيران.

• صالح، عبدالعزيز حميد:

51-(2019م). الأزياء عند العرب عبر العصور المتعاقبة، دار الكتب العلمية، بيروت.

• الصلابي، علي محمد:

52-(2007م). السلطان عماد الدين زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.

53-(2007م). الدولة الزنكية، دار المعرفة، ط1، بيروت.

54-(2009م). دولة المغول بين الانتشار والانكسار، دار المعرفة، ط1، بيروت.

55-(2007م). القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة.

• الصياد، فؤاد عبد المعطي:

56-(1980م). المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ج1.

• الطائش، علي أحمد:

57-(2000م). الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق،

القاهرة.

• طقوش، محمد سهيل:

58-(2009م). تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط7، بيروت.

59-(2009م). تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط3، بيروت.

60-(2008م). تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس للطباعة والنشر، ط2، بيروت.

• الطويل، مناور:

61-(2010م). الرقعة وشعراؤها في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

• عبد الباقي، أحمد:

62-(1991م). معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،

بيروت.

• عبدالخالق، هناء:

63-(1976م). الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد.

• عبدالله، يسري عبدالغني:

64-(1991م). معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، ط1،

بيروت.

• العبيدي، صلاح الدين:

65-(1970م). التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، مطبعة المعارف، ط1، بغداد.

66-(1980م). الملايس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية، دار

الرشيد للنشر، بغداد.

• العسيري، أحمد معمور:

67-(1996م). موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد

الوطنية، ط1، الرياض، ج1.

• العش، محمد أبو الفرج وآخرون:

68-(1969م): دليل المتحف الوطني بدمشق، المديرية العامة للآثار، مطبعة دار الحياة، دمشق، ط1.

• العلي، صال أحمد:

69-(2003م). المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع

والنشر، ط1، بيروت.

• عمارة، محمد:

70-(1993م). المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشرق، ط1، بيروت.

• العودة، سليمان بن حمد بن عبدالله:

71-(2001م). كيف دخل التتر بلاد المسلمين، دار طيبة، الرياض.

• عوض، محمد مؤنس أحمد:

72-(1998م). في الصراع الإسلامي الصليبي، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، ط1، القاهرة.

• عياش، عبد القادر:

73-(1989م). حضارة وادي الفرات، دار الأهالي، ط1، دمشق.

74-(1969م). الرقعة كبرى المدن الفراتية القديمة، منشورات وزارة الثقافة، دير الزور.

• الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن:

75-(1990م). ديوان الإسلام، تح: سيد كسروي حسن، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

• الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي:

76-(د.ت). نهر الذهب في تاريخ حلب، 3 أجزاء، دار القلم، ط2، حلب.

• فئة من المختصين:

77-(2019م). سورية الحضارة، المؤسسة العامة للطباعة، دمشق.

• فهمي، نعيم زكي:

78-(1973م). طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، المكتبة العربية، القاهرة.

• الفيصل، ناديا:

79-(2010م). مدينة الرقة ودورها الحضاري في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

• القوصي، عطية:

80-(1992م). تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة.

• القيسي، ناهض عبد الرزاق:

81-(2009م). الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.

• كحالة، عمر رضا:

82-(1978م). معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

83_ (د.ت). معجم المؤلفين، 13 جزء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج8.

• كرد علي، محمد بن عبدالرزاق بن محمد:

84-(1983م). خطط الشام، 6 أجزاء، مكتبة النوري، ط3، دمشق.

• الكرمل، أنستاس ماري البغدادي:

85-(1939م). النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة.

• كسراني، شاكِر:

86-(2014م). قاموس فارسي وعربي، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت.

• الكعبي، عبدالحكيم:

87-(2009م). الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دار صفحات للطباعة والنشر، ط1، دمشق.

• مجموعة من المؤلفين:

88-(د.ت). موسوعة الموصل الحضارية، 5 مجلدات، دار الكتب للطباعة والنشر، ط1، الموصل، مج 3.

• مجموعة من المؤلفين:

89-(2004م). المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة.

• محمد، سعاد ماهر:

90-(1986م). الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

• المحمود، أسعد؛ بوناتز؛ كونة، هارتموث:

91-(1999م). التراث الحضاري للجزيرة السورية وما حولها، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.

• محمدين، محمد محمود؛ الفراء، طه عثمان:

92-(2002م). المدخل إلى علم الجغرافية والبيئة، دار المريخ، ط4، الجيزة.

• المختار، فريال داوود:

93-(1977م). المنسوجات العراقية الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد.

• المعاضيدي، خاشع:

94-(1968م). دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، ط1، بغداد.

• معلوف، لويس:

95-(2009م). المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

• نخبة من الباحثين:

96-(1992م). الرقعة درة الفرات، مراجعة: سهيل زكار، تقديم: محمد نجيب السيد أحمد، الرقة.

• وجدي، محمد فريد:

97-(د.ت). دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط3، بيروت.

المجلات والدوريات:

• أحمد، عبد الجبار حامد:

98- (2013م). صناعة العطور في العصر العباسي، مجلة التربية والعلم، العراق، العدد 3.

• إسماعيل، عامر بلو:

99- (2009م). الأكلاك في الموصل من خلال كتب الرحلات، مجلة دراسات موصلية، العدد السادس

والعشرون، الموصل.

• الجبوري، سعد رمضان:

100-(2011م). الحبوب في العراق خلال العصر العباسي الأول، مجلة التربية والعلم، العدد 4.

• حميد، مها سعيد:

101-(2017م). الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية، مجلة دراسات موصلية، كانون الأول، العدد 46.

• الديوه جي، سعيد:

102-(د.ت). صناعة الموصل، مجلة سومر، وزارة الإعلام العراقية، مديرية الآثار العامة، بغداد، مج 7، ج1.

• العش، محمد أبو الفرج:

103-(1966م). الزجاج السوري المموه بالميناء والذهب، مجلة الحوليات الأثرية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية، مج 16.

• عواد، يوسف:

104-(د.ت). أسئلة وأجوبة، مجلة لغة العرب العراقية، مطبعة الآداب، بغداد، العدد 77، د.ت.

• ماهر، سعد:

105-(1954م). خزف الرقة، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، مج 16.

الرسائل العلمية:

• السباعوي، حنان عبد الخالق علي:

106-(2003م). مدينة نصيبين في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عبد الجبار

أحمد، منشورات جامعة الموصل.

• الوريكات، هالة عبدالحميد إبراهيم:

107-(2001م). الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجزيرة الفراتية (رسالة ماجستير غير منشورة)،

الجامعة الأردنية، عمان.

المراجع المعربة:

• دوزي، رينهارت:

108-(1971م). المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، مطبوعات وزارة الإعلام

العراقية.

• ديمانند، موريس سفن:

109-(1953م). الفنون الإسلامية، تر: أحمد عيسى، دار المعارف، مصر.

• كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانونوفتش:

110-(1957م). تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، جزئين، لينينغراد.

• لسترنج، كي:

111-(1985م). بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس؛ كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2،

بيروت.

المراجع الأجنبية:

• Buckingham. J.S:

112- (1897.A.D) Travels in Mesopotamia . London .

• Marco-polo:

113– (1903.A.D). **Travel of Marco- polo**, London.

- Diamond, Maurices:

114 -(1930.A.D). **A hand book of Muhammeden Art**, New York.

- Rice.D.s:

115 - (1949.A.D). **The Oldest Dated Mosul**, Candlesick Burlinton Magazine, New jersey.

Abstract

Al- Djezira Al- Foratiah is considered one of the most cultural centers in the Abbasid era 132–656 AH/ 750–1258 AD, due to its strategic location on global trade and between the Degla and Al-Forat rivers, which are considered among the most important water sources in the Arab countries, Because of its moderate climate and fertile soil and her varied terrain, These components have contributed to the stability of many countries and on the territory of Al-Djezira and development of distinguished civilization documented by history, One of the most important of these civilizational manifestations was the industry, which was developed advanced in the Al- Djezira. It included most industries of the Middle Ages and some of these industries were reason to Al- Djezira Al- Foratiah in their spread in the Islamic Arab countries and the world and have contributed to the renaissance of Arab civilization and its prosperity, as it was a multiplicity of markets and diversified, and the centers of civilization abounded in Al- Djezira, and trade has developed in it, and it had a scientific superiority in many fields of civilization, and due to this importance, I chosen as a subject for research and study.

This topic is divided introduction and four chapters:

Introduction:

The first: this chapter provides a summary for the geography of Al- Djezira, its topography, cities and political and administrative conditions on the Al- Djezira.

The second: This chapter is looking for economic life on Al- Djezira in terms of agriculture, situation, trade on Al- Djezira and the most prominent components.

The third: this chapter studies the food industry and clothes in terms of its kinds of presence.

The Fourth: The study of extractive, metal, wooden industries, glass and other industries.

The conclusion: The findings made through the scientific article provided by the studying.

The Thesis followed by antiquities pictures that has been found by the archaeological excavations and the architectural remains of the Al- Djezirah Al- Foratiah, It enriched the thesis and served as a supporting guide on the condition of important industries.

Damascus University
Faculty of Literatures
And Human Sciences
Department of History



Industry In The Euphrates Island(Al- Djezilah-Al- Foratiah)
During The Abbasid Age

132 – 656 AH / 750 – 1258 AD

Thesis prepared for a master degree in the history of
And Islam

Prepared By:

Fedaa Aaref Farhat

Supervision:

D. Noha Homaid

1442 AH/2021 AD